مئة قاعدة
في
التخطيط العسكري الاستراتيجي
عند
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

مع الربط الإلكتروني للمواقع الواردة فيه، والتوضيح ببعض المخططات

بقلم

د. نزار محمود قاسم الشيخ

دكتوراه تخصص فقه مقارن
وباحث في السيرة النبوية

مئة قاعدة
في
التخطيط العسكري الاستراتيجي
عند
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

مع الربط الإلكتروني للمواقع الواردة فيه، والتوضيح ببعض المخططات

بقلم

د. نزار محمود قاسم الشيخ

دكتوراه تخصص فقه مقارن وباحث في السيرة النبوية

n٠٥٠٩١٨١٩١٦@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ٣٨ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٩ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة].

اللهم ببابك أوقفنا ركائب الذُّلِّ والانكسار

وبجنابك ألحقنا بجائب العجز والافتقار

ولعطائك مددنا يد الفاقة والاضطرار

اللهم ارزقنا شهادة ننال بها أعلى رُتَبِ الزُّلفى لديك

وبيِّض وجوهنا يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه

فأنت ذو الطَّول العظيم والفضل العميم

ولا حول ولا قُوَّة إلا بك يا الله

اللهم وصلِّ أفضل صلاةٍ وأكملها منزلةً وأشرفها قدراً على سيدنا محمد الذي أذْهَبْتَ ظُلَمَ الشِّرك باجتهاده، وأرْهَبْتَ أُمَمَ الإفك بجهاده، وعلى آله الأعيان الأمجاد، وصحبه الشجعان الأنجاد، رضوان الله عليهم جميعاً، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً.

مقدمة

الحمد لله الذي عظَّمَ الجهاد على منهج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ..١٢١} [التوبة].

والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد أفضل قائد، وخير مجاهد، ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم منه، ولا غازياً أَرْأَفَ منه، رسولُ المرحمة ونبيّ الملحمة.

وبعد فلقد بلغت مواقف النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في القيادة العسكرية القمَّة التي لمْ يرقَ إليها أحدٌ، فما مِنْ قضية مهمَّة في أمر الحرب إلا وكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سبَّاقاً إلى المعرفة فيها، ورائداً في جميع تفصيلاتها، مع أعلى القيم الحضاريَّة والإنسانيَّة.

فالجهاد عنده صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ليس مقصوداً لذاته، بل لغايات عظمى أعلاها تبليغ دين الله تعالى، ولم يبدأْ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحداً بالعدوان عليه، بل كان يشرع بقتال عدوه إذا علم عزمه على الاعتداء على الدين، أو على بلاد المسلمين.

فإذا عزم صلى الله عليه وعلى آله وسلم على القتال، خطط لخوض المعركة، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة في أمور الحرب إلا وضعها في الحسبان، بل كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطِّط للخسارة في المعركة على احتمال وقوعها، ويضع

الخطط البديلة في حال تغير مجريات الحرب.

هذا والآية السابقة من أعظم الأدلة على وجوب اتباع منهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الجهاد، حيث غاب في هذا العصر هذا المنهج النبوي عن فكر كثير من الشباب المتَحَمِّس للقتال، دون معرفةٍ بالأحكام الشرعية، والآدابِ الجهادية النبوية، فبعض من جنَّد نفسه لا يعرف مَنْ يقاتل، ولِمَ يقاتل، وكيف يقاتل، وفي سبيل مَنْ يقاتل؟!

لأجل ما سبقَ عظمت الأخطاء الجهادية مع بداية الثورات العربية، وظن بعض الثوار أنهم من المجاهدين، وهم بأفعالهم أبعد الناس عن ربِّ العالمين، لِمَا استباحوه من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وظنوا أنهم يتقربون بذلك إلى الله تعالى وهم أبعدَ المسلمين عنه.

عزيزي.. إنَّ مَنْ عبدَ اللهَ على جهلٍ كأنَّما عصاه، والجهاد هو كأحدِ الفروضِ على المؤمن يجب عليه أن يتعلم أحكامه، قبل أن يبدأ الخوض فيه، فقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل أن يبعث أي واحد في مهمة دعوية أو جهادية يفقهه في الدين، ويأمر الصحابة بتعليمه، كما فعل مع عُمَيْرَ بْنِ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ ﷺ لما أسلم وأراد أن يرجع إلى مكة ليدعو قومه لدين الله تعالى، فقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ..[1].

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٥٨، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ٢٨٦.

لزوم الطاعة والتزام الجماعة..

لذا جاء الهدي النبويُّ واضحَ المعالم في بيان الجهاد الصحيح منَ السَّقِيم، فكان من أكبر حدوده لزوم الطاعة لولي الأمر في غير معصية الله تعالى ممن وجبت طاعتهم، والتزام الجماعة، والعمل بشرع الله تعالى قدر الاستطاعة، ومن أوضح الأدلة على ذلك قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ.. ٥٩} [النساء].

وروى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنَّهُ قال: مَنْ خَرَجَ من الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أو يَدْعُو إلى عَصَبَةٍ أو يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ على أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ولا يتحاشى من مُؤْمِنِهَا، ولا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ منه[1].

لأجل ما سبق عمدت إلى جمع مئة قاعدة في منهج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التخطيط العسكري، مُتَضَمّنة بعض الآداب النبوية في جهاده صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقسمتها وفق خمسة منطلقات، ووسمت الكتاب بـ "**مئة قاعدة في التخطيط العسكري الاستراتيجي عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم**".

مميزات هذا البحث عن غيره:

امتاز هذا البحث بمميزات كثيرة بمجموعها لم يسبقني إلى مثلها ممن كتب

(١) صحيح مسلم رقم١٨٤٨.

في هذا الموضوع، ومن أهمها:

١ــ هيكلة القواعد العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفق قواعد يسهل على أي مطالع لها حفظها وفهمها.

٢ــ الاستدلال لتلك القواعد بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.

٣ــ أكثر هذه القواعد تناولت الجانب الأخلاقي في سيرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم العسكرية.

٤ــ لغة البساطة في الكتابة كي تكون مقدورة الفهم لكل صغير وكبير ومثقف وغير مثقف.

٥ــ ومن جميل هذا البحث أني زودت في آخره ببعض المصورات لعدد من الغزوات التي صارت فيها مواجهة، واقتصرت على أخذ الصورة من جوجل إيرث، ثم الشرح عليها.

٦ــ تزويد المصورات السابقة بالإحداثيات عن طريق الباركود (كيو آردريود)، بحيث يستطيع المطالع الوصول لموقع الغزوة عن طريق هاتفه النقال، بواسطة برنامج Qr Droid.

وهذا هو شكل الباركود

ومن أراد الاستزادة في مطالعة المزيد من الصور الواقعية لمواقع الغزوات فعليه مراجعة كتابي **"مصور غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة"**.

٧ــ ومما لم أسبق له أيضاً التعريف بجميع المواقع الجغرافية من مدن أو غيرها مما وردت في البحث وفق الطريقة السابقة.

خطوات عمل (كيو آردريود)

وللوصول إلى الموقع عن طريق هذا الباركود اتبع الخطوات التالية:

١ــ إنزال برنامج قارئ الباركودات من المتجر عن طريق خانة البحث على الهاتف واسمه: Qr Droid

وهذا هو شكل البرنامج

٢ــ تقوم بفتح البرنامج وتقريب الهاتف إلى أمام الباركود، وبعد قراءة الباركود سينقلك إلى مكان الغزوة، بواسطة جوجل إيرث، وأحياناً لا يقرأ الباركود فهنا تضغط على زر MAPS.

وبهمسة..

فشخصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم العسكرية لا تتحدد في هذه المئة، بل ما ذكرته هو قطرة في بحر المعرفة العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لكن هذا هو جهد المقِل، وأرجو من الله القبول لي ولمن قرأ

هذا الكتاب، ولمن ساهم بالزيادة عليها.

وقد راعيت في هذه القواعد تسمية القاعدة، مع شرح بسيط عليها، ومن ثَمَّ الاستدلال عليها من القرآن الكريم، ومن كتب السنة المطهرة والسيرة النبوية العطرة، مما وقفت عليه ووجدته مناسباً.

فجاء هذا البحث قد احتوى على مقدمة وستة فصول وهي كالتالي:

المقدمة:

وتناولت في هذه المقدمة بعض العناوين الهامة للدخول في صلب البحث، وهي تعريف التخطيط العسكري الاستراتيجي، وأهمية التعرف على مواقع غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم بيان الأقسام الجهادية في التخطيط الاستراتيجي، وختمت التمهيد ببيان فضل الجهاد والرباط، وأهمية التعرف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية.

ثم بدأت ببيان منطلقات التخطيط الاستراتيجي في قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية، وهي كالتالي:

الفصل الأول: منطلق التعامل مع غير المسلمين في الحرب.

وهذا الفصل يبيِّن المنهج الحضاري في معاملة غير المسلمين من خلال عشرين منطلقاً وهي:

١. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢. حوار الأديان قبل التحام السِّنَان.

٣. لغة التأثير في العدو.

٤. كسب العدو بالطرائق الودية.

٥. رعاية أسرى الحرب.

٦. وفاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعدائه.

٧. إعلام العدو بالحرب عند نقض العهد.

٨. العفو والصفح والسماحة مع المغلوب.

٩. منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم.

١٠. حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حق.

١١. النهي عن قتل غير المقاتلين.

١٢. الوفاء بتأمين المحاربين والمسْتَأْمَنِين.

١٣. الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت.

١٤. قبول جوار غير المسلم.

١٥. حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان.

١٦. الرفق بالعدو إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده.

١٧. عرض الإسلام العملي على الأسير.

١٨. رعاية حق الرَّحِم.

١٩. تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب.

٢٠. حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حق.

الفصل الثاني: منطلق المجلس العسكري.

وهذا الفصل يتحدَّث عن مهام المجلس العسكري من خلال عشرين منطلقاً:

٢١. الشورى.

٢٢. رسم الخطة الحربية.

٢٣. الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية.

٢٤. تعزيز القيم الحضارية.

٢٥. اختيار القادة.

٢٦. لغة المحبة بين القائد وجنده.

٢٧. بين المركزية واللامركزية في القيادة العسكرية.

٢٨. صلاحية ولي الأمر في الأسرى.

٢٩. السمو الأخلاقي مع الجند.

٣٠. العناية بأُسرِ الشهداء.

٣١. رعاية الحالة النفسية عند الجنود.

٣٢. المكافأة المادية للجند.

٣٣. المكافأة المعنوية للجند.

٣٤. وجوب طاعة القائد.

٣٥. تعويض الحقوق المعنوية للجند.

٣٦. الاهتمام بفك أسرى المسلمين.

٣٧. التربية البدنية للجنود.

٣٨. تأمين رسل العدو.

٣٩. الموازنة بين المرونة والحزم.

٤٠. العدل بين جند المسلمين.

الفصل الثالث: منطلق التربية الأخلاقية في الحرب.

وهذا الفصل هو الأساس في كل ما تقدَّم وما تَأَخَّر من أمور الحرب، وبيانه في خمسة عشر منطلقاً وهي:

٤١. تحديد المنطلق إلى الله تعالى.

٤٢. التعبئة الإيمانية.

٤٣. شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند.

٤٤. استنهاض الهمم وجمع الشمل.

٤٥. الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار.

٤٦. تعزيز الولاء للدين وسرعة حل الخلافات الداخلية.

٤٧. التربية الروحية والأخلاقية للجنود.

٤٨. جهاد النساء والكهول والصبيان.

٤٩. التماس الرخص.

٥٠. الصبر.

٥١. التحري في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر.

٥٢. الخطأ في دماء المسلمين في الحرب.

٥٣. الإخلاص لله تعالى.

٥٤. الشكر لله تعالى واليقين بنصره.

٥٥. معالجة حالات الضعف في الجُنْد.

الفصل الرابع: منطلق الاستعداد العسكري.

وهي القواعد الأساس قُبيل البدء بأي عمل عسكري، وبيانه في عشرين منطلقاً، وهي كالتالي:

٥٦. الإعداد المادي الشامل.

٥٧. المبادرة بغزو العدو إن همَّ بالحرب.

٥٨. التخذيل بين الأعداء.

٥٩. التجسس على الأعداء.

٦٠. أفضل الجهات في الحرب.

٦١. المعرفة التامة بعتاد العدو وعُدَّته ومكانه.

٦٢. استغلال الظروف الجوية.

٦٣. السرية التامة في التخطيط العسكري.

٦٤. تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية.

٦٥. تأمين الجبهات الداخلية.

٦٦. هيكلة الجيش.

٦٧. تحصين الجند.

٦٨. اختبار كفاءة الجند.

٦٩. تفقد الموارد الطبيعية.

٧٠. تحسس الأحوال الجوية والاستعداد لكوارثها.

٧١. اتخاذ المساندين في أرض المشركين.

٧٢. لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد.

٧٣. العدد الأكمل في تعداد الجيش.

٧٤. تعليم الجند الفنون الحربية.

٧٥. تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها.

٧٦. الدعاية الحربية.

٧٧. الإعلام الحربي.

٧٨. رفع الكفاءة الحربية.

٧٩. استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية.

٨٠. تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله.

٨١. تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية.

٨٢. استراتيجية الاستثمار في المؤسسة العسكرية، والمحافظة على أموالها.

٨٣. تعلم العلوم الشرعية، والحفاظ على الكفاءات العلمية.

٨٤. دعم المؤسسة العَسْكَرِيَّة بالعلوم النفسية.

٨٥. حماية الحدود وتحصينها.

الفصل الخامس: منطلق الخطط العسكرية.

وهي القواعد الأساسية للإدارة الميدانية لأي معركة، وهي:

٨٦. الجاهزية القتالية.

٨٧. التورية المكانية.

٨٨. اختيار المواقيت الزمانية.

٨٩. اختيار المواقع الاستراتيجية.

٩٠. استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب.

٩١. قطع الإمداد عن الأعداء.

٩٢. حرب العصابات في أرض الأعداء.

٩٣. الترشيد في استخدام الأسلحة.

٩٤. السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.

٩٥. تجنب المواجهة القتالية.

٩٦. مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها.

٩٧. نقل الحرب إلى أرض العدو.

٩٨. تبييت الغارات.

٩٩. المراسلات في المهمات العسكرية.

١٠٠. توحيد صفوف المسلمين.

الفصل السادس: التخطيط العسكري المستقبلي.

وهذا الفصل الأخير يتحدث عن تخطيط الإدارة العسكرية في المستقبل، من خلال محورين:

المحور الأول: وضع تصور عن آلية تحقيق المنظور العسكري في التخطيط المستقبلي.

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري.

ثانياً: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية.

ثالثاً: آلية استمرار التخطيط العسكري.

المحور الثاني: بيان سمات التخطيط العسكري المستقبلي.

الخاتمة: وفيها أهم ما يؤخذ من البحث وعن وجوب اتباع شخصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في القيادة العسكرية.

تنبيه: في صيغة الصلاة على الحبيب الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

إنَّ العُرف الذي درج عليه أكثر المؤلفين هو ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دون ذكر الصلاة على الآل، فأحببت ذكر الصلاة على الآل لوصية الله تعالى ووصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهم، سواء أكان تفسير مفهوم الآل حسب المعنى الخاص؛ وهم قرابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أم حسب المفهوم العام، وهو أن كل تقي من آل بيته صلى الله

عليه وعلى آله وسلم.

فاجعل النية أخي الكريم تشمل الأمرين، فلعله أبلغ في الأجر والله أعلم.

وأضفت أيضاً حرف "على" قبل الآل، فهذه تتوافق مع أكثر روايات البخاري عند ذكره لصيغة الصلاة على آل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهي من الناحية البلاغية أكبر بلاغةً، فمع وجودها تصبح الصلاة عليهم مُبْتَدَأَة، وكأنك أفردتهم بالصلاة عليهم، وهذا أبلغ في كمال حقِّهم.

وأخيراً إن الأَوْلى عند ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن تكون مكتوبة على السطر دون ترتيبها بهذا الشكل ﷺ ؛ ولا تليق الإشارة إليها برمز (ص)، تعظيماً لحق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علينا، وليقف قلب القارئ عندها، ويرددها بلسان فمه وحال قلبه، حتى يأخذ كمال الأجر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويستفيد من بركاتها وأنوارها وتجلياتها.

فحقيقة الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي أنك تصلي على النبي بصلاة الله عليه، وتطلب من الله تعالى أن يصلي ويسلم على هذا النبي العظيم بأن يعطيه الله جميع الكمالات من رحمات ومقامات وتجليات ومِنَحٍ ربَّانيَّة ليس لها حدٌّ ولا انقطاعٌ ولا يعلم بمقدارها إلا الله تعالى.

فإذا صليت على هذا النبي الكريم تَشَرَّفْت في الدخول في حزب الله وملائكته الذين يصلون عليه؛ قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ } [الأحزاب].

واعلم أخي الكريم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تمتاز عن باقي جميع الأذكار في قبولها مِنَ الله تعالى ولو كانت مع الرِّياء، فكيف إذا كانت مع الإخلاص وحضور القلب؟! لأنها من حقوق المصطفى الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأكثِرْ منَ الصلاة والسلام عليه قدر ما تستطيع؛ لما فيه من خيريِّ الدنيا والآخرة، فقد روى الطبراني وغيره بإسناد حسن عن حَبَّانَ بْنِ مُنْقِذٍ الأنصاري ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجْعَلُ ثُلُثَ صَلَاتِي عَلَيْكَ؟ [أي يجعل الثلث من الوقت غير الوقت المشغول بالفرائض، ومما تمس له الحاجة كالنوم].

قَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ.

قَالَ: الثُّلُثَيْنِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَصَلَاتِي كُلَّهَا؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إِذَنْ يَكْفِيكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ(١).

وختاماً أرجو من الله عز وجل أن تكون هذه الرسالة منارة يهتدي بها كل

(١) المعجم الكبير للطبراني رقم٣٥٧٤.

المسلمين، وخاصة المجاهدون في جهادهم، والقادة في إدارتهم، والمفكرون في تفكيرهم، والمسلمون في تعاملهم مع إخوانهم ومع خصومهم.

والله ولي التوفيق.

وكتبه د. نزار قاسم محمود الشيخ

dr.nezar.alshiekh@gmail.com

nezar.alshiekh@gmail.com

ولمراجعة كتب المؤلف يراجع: **موقع صيد الفوائد**

- تعريف التخطيط الاستراتيجي.
- أهمية التعرف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي.
- الأقسام الجهادية في التخطيط الاستراتيجي.
- فضل الجهاد والرباط وفضل الشهادة في سبيل الله.
- البعد الروحي في التعرف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية.

تعريف التخطيط الاستراتيجي العسكري.

إن مصطلح الاستراتيجية يُعدُّ من المصطلحات القديمة المأخوذ من الكلمة الإغريقية Strato وتعني الجيش أو الحشود العسكرية، ومن تلك الكلمة اشتُقَّت اليونانية القديمة مصطلح Strategos وتعني فنُّ إدارة الحروب وقيادتها.

فالاستراتيجية تعني أصول القيادة الذي لا اعوجاج فيه، فهي تخطيط عالي المستوى، ومن ذلك الاستراتيجية العسكرية أو السياسية التي تضمن للإنسان تحقيق الأهداف من خلال استخدامه وسائل معينة، ثم استعملت هذه الكلمة في المجالات المتعددة في شتى شؤون الحياة العامة.

فأصل الكلمة يعود إلى التعبير العسكري، ولكنها الآن تستخدم بكثرة في سياقات مختلفة مثل استراتيجيات العمل، واستراتيجيات التسويق والتصنيع..، فلذا تُعَرَّفُ الاستراتيجية حسب ما يقترن بها من إضافات.

ويصير معنى التخطيط الاستراتيجي العسكري: **فن وضع خُطط الحرب والعِلمِ بها، وإدارة العمليَّات الحربيَّة**[1].

وإن الناظر في القيادة الاستراتيجية العسكرية لدى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليرى شمولية التخطيط الحربي عنده من حيث الابتداء بالحرب فهو حسب مواءمة الزمان والمكان، وحسب ملاءمة المُقاتِلِين والمُقاتَلِين، ومن حيث الانتهاء فهو حسب وضع الأهداف والوصول إليها، وبيان هذا الجانب في العناوين الآتية.

---

(١) يراجع ويكيبيديا مصطلح استراتيجية.

أهمية التعرف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي.

إن التَّعَرُّفَ على أماكِنِ غَزَواتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وأزمنتها حَسْبَ المعْطَياتِ الجُغْرافيَّةِ اليَومَ، لمِنْ أهَمِّ الوَسائِلِ المفيدَةِ في التَّعَرُّفِ على شَخْصيَّةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العَسْكَريَّةِ، فإذا عرفت التخطيط العسكري الذي عمله النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حسب الزمان والمكان الَّذَيْنِ قاتل فيهما، تعرَّفت على أسباب النصر التي أعدها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في تلك المواقع حتى حصل على تلك النتائج.

ومن أساليب التعرف على مواقع الغزوات معرفة الجبال والوديان والآبار التي مرَّ بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو المساجد التي بناها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في تلك الأماكن وصلَّى فيها، فهي شواهد على وُصولِ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى تلك الأماكن.

وقد ارتبطت كثير من المساجد بأماكن الغزوات، فقد كان من أعمال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواته أنه إذا انتهى إلى مكانٍ وعَسْكَرَ فيه ابتنى به مسجداً، كما فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في خيبر(١)، وبنى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بين تبوك والمدينة مساجدَ كثيرة نحو ستة

---

(١) السيرة الحلبية ٢/٧٣١.

وخيبر مدينة على بعد ١٥٠كم شمال المدينة المنورة على طريق تبوك.

الاحداثيات: "٤.٨٦'١٦°٣٩ "٤٩.٢٩'٤٣°٢٥

عشر مسجداً، أولها في تبوك[١] وآخرها بذي خُشُب[٢].

لذا اهتم السَّلَفُ الصّالِحُ مِنَ الصَّحابَةِ وغَيرُهُمْ في تَتَبُّعِ المساجد التي بناها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواته وأسفاره فصلوا فيها، كَما فَعَلَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، فقد روى البخاري رحمه الله بسنده ــفي بَاب الْمَسَاجِدِ التي على طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَالْمَوَاضِعِ التي صلى فيها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَــ إلى مُوسَى بن عُقْبَةَ أنه قال: رأيتُ سَالِمَ بن عبد اللَّهِ [بن عمر رضي الله عنهما] يَتَحَرَّى أَمَاكِنَ من الطَّرِيقِ فَيُصَلِّي فيها، وَيُحَدِّثُ أَنَّ أَبَاهُ كان يُصَلِّي فيها، وَأَنَّهُ رَأَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُصَلِّي في تِلْكَ الْأَمْكِنَةِ[٣].

وكان عدد غزوات الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ التي غزاها بنفسه الكريمة سبعاً وعشرين غزوة، قاتل في تسع غزوات منها:

---

(١) ويسمى المسجد في تبوك بمسجد التوبة أو مسجد الرسول، وقد صلى فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أثناء إقامته في تبوك، وهي مدينة تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨كم.

الاحداثيات: "٢٨°٢٢'٥٨.٧٦"٣٦°٣٣'٢٣.٥٥

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير تأليف ابن عبد البر١/٢٤٢.

و((ذي خُشُب)) هي المندسة على طريق المدينة المنورة/تبوك نحو ٣٥كم عن المدينة.

الاحداثيات للمنطقة: "٢٤°٣٥'٢٧.١٧ "٣٩°٢١'٣٣.٩١

(٣) صحيح البخاري رقم ٤٨٢.

بدر[١]، وأحد[٢]، والخندق[٣]، وقريظة[٤]، وبني المصطلق[٥]، وخيبر[٦]، وفتح مكة[٧]، وحنين[٨] والطائف[٩].

---

(١) الاحداثيات: "٣٨°٤٧'٢٨.٣١ "٢٣°٤٦'٢٠.٤٦.

(٢) "٣٩°٣٦'٤٥.٧٥ "٢٤°٣٠'١٣.٤١.

(٣) أول الخندق عند أطمي الشيخين: "٣٩°٣٦'٤٤.٤١"٢٤°٢٩'١٣.٦٢

آخر الخندق عند أطم المزاد: "٣٩°٣٥'٣٢.٥١"٢٤°٢٨'٢٢.٢١.

(٤) الاحداثيات: "٣٩°٣٨'١٤.٧٤"٢٤°٢٦'٤٤.٣٧.

(٥) الاحداثيات: "٣٩°٣٩'١٠.٤٠ "٢٢°٣٣'٣٢.٧٤.

(٦) الاحداثيات: "٣٩°١٦'٤.٨٦ "٢٥°٤٣'٤٩.٢٩.

(٧) الاحداثيات: "٣٩°٥٠'١٧.٥٧"٢١°٢٦'٣١.٥٤.

(٨) الاحداثيات: "٤٠° ٠'٤.٩٧ "٢١°٣٤'٧.٧٥.

(٩) الاحداثيات: "٤٠°٢٣'١١.٩١ "٢١°١٥'٢٣.٩٧.

ومنذ أن أُمر النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالجهاد في آخر السنة الأولى للهجرة لم يتركه إلى آخر لحظة من عمره المبارك، فلا تمر بضعة شهور إلا وللنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فيها غزوة أو سرية(١).

ولما كان العمل العسكري هو أحد أقسام الجهاد وهناك أقسام أخرى تجتمع كلها لتكون الأساس الأول للتخطيط العسكري، لزم بيانها على وجه الاختصار.

الأقسام الجهادية في التخطيط الاستراتيجي.

مما لا خلاف فيه بين أهل العلم أن الجهاد فُرِضَ في المدينة المنورة، وأنه لم يُبِحِ الله تعالى للمسلمين القتال في الفترة المكية الدعويَّة، بل كانوا مأمورين بالصبر والعفو والصفح، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة، بالقرآن والحجة والبرهان، وذلك لأمور عدة ومنها قلة عددهم، ومن أجل تهيئة نفوسهم بالإيمان الراسخ(٢).

لكن وردت ثلاث آيات في القرآن المكي ذُكِرَ فيها (الجهاد) والمعنى فيها منصرف إلى غير القتال بالسيف، قال الله تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ٥٢} [الفرقان]، وقال تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٦} [العنكبوت]، وقال تعالى:

---

(١) سمى العلماء العمل العسكري الذي خرج فيه النبي صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ بنفسه غزوة، سواء حارب فيه أو لم يحارب، وما أَخرج فيه أحد قادته دون أن يخرج هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم سُمِّي سَرِيَّة.

(٢) يراجع تفسير ابن كثير ٣٥٩/٢.

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٦٩} [العنكبوت].

فورود الجهاد في القرآن المكي يؤكِّد أمرين اثنين؛ الأول وجوب تزكية النفس والاستعداد للجهاد، والثاني أن أنواع الجهاد الأخرى ــ كما سيأتي ذكرها ــ لا تقل أهمية في لزوم الاعتناء بها عن جهاد القتال.

لذا كان المعيار الحقيقي للنصر في الجهاد في جميع ميادينه العسكرية هو بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، مع التوكل على الله تعالى حق التوكل في الأخذ بأسباب النصر؛ لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ٧} [مُحَمَّد]، ولقول الله تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ١٦٠} [آل عمران].

وعلى هذا دأب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في الأخذ بأسباب النصر قدْرَ ما يستطيعونه، والباقي يتكفَّل الله تعالى به، ومن شواهد ذلك ما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن عِيَاض الْأَشْعَرِي، قَالَ: شَهِدْتُ الْيَرْمُوكَ[1]، وَعَلَيْنَا خَمْسَةُ أُمَرَاءَ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَابْنُ حَسَنَةَ،

(١) معركة اليرموك وقعت عام ١٥هـ ــ٦٣٦م بين المسلمين والروم (الإمبراطورية البيزنطية) في شمال الأردن قرب نهر اليرموك في محافظة إربد، عند بلدة سحم الكفارات.

الاحداثيات: "٣٢°٤١'٤٦.٧٠"٣٥°٤٦'٣٤.٦١

وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعِيَاضٌ.

قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: إِذَا كَانَ قِتَالٌ فَعَلَيْكُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ.

قَالَ: فَكَتَبْنَا إِلَيْهِ، إِنَّهُ قَدْ جَاشَ [أي تدفَّق] إِلَيْنَا الْمَوْتُ، وَاسْتَمْدَدْنَاهُ [أي طلبنا منه أن يمدَّنا بمزيد من الجنود].

فَكَتَبَ إِلَيْنَا: إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكُمْ تَسْتَمِدُّونِي، وَإِنِّي أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَعَزُّ نَصْرًا وَأَحْضَرُ جُنْدًا: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْتَنْصِرُوهُ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَدْ نُصِرَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي أَقَلَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ، فَإِذَا أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَقَاتِلُوهُمْ، وَلا تُرَاجِعُونِي.

قَالَ: فَقَاتَلْنَاهُمْ فَهَزَمْنَاهُمْ(١).

هذا وإن من أكبر طامات الفكر الجهادي لدى بعض الشباب هو قصر الجهاد على جهاد القتال والجهل بأحكامه، مع أن أصناف الجهاد في القرآن جاءت متساوية في وجوب الأخذ بها، وإليك بيان أقسام الجهاد في التخطيط الاستراتيجي:

١ــ جهاد العلم: ويكون بتعلمنا وتعليمنا الأحكام الشرعية خاصة، وغيرها من العلوم الكونية كالطب والفيزياء والرياضيات وهذه على الكفاية، ولا تخفى أهميتها على بصير في التخطيط الاستراتيجي العسكري؛ قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٢٢}

(١) مسند الإمام أحمد ٣٢٦.

[التوبة].

ومن هذا القبيل الجهاد بالقرآن الكريم، ويكون بتعلم القرآن الكريم وتعليمه قال الله تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ٥٢} [الفرقان][1].

ومن جهاد العلم هنا المعرفة بمشروعية الجهاد وأحكامه، ومعرفة الراية التي يجاهد تحتها، وكيفية إخلاص النية لله تعالى في الجهاد، وإلا كان جهاده وبالاً عليه؛ لما رواه مسلم وغيره عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: إن أَوَّلَ الناس يُقْضَى فيه يوم الْقِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ؛ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِي بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فقال: وما عَمِلْتَ فيها؟

قال: قَاتَلْتُ فِيكَ حتى قُتِلْتُ.

قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ هو جريء فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَيُسْحَبُ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ..[2].

٢ــ جهاد اللسان: ويأتي بالدرجة الثانية بعد أن نتعلم العلوم الشرعية، والأحكام المخْتَلَف فيها؛ وذلك بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر مع مراعاة الخلاف في المذاهب الفقهية، أو بالدعوة إلى الإسلام وشرائعه، أو بإقامة الحجة على الباطل، أو ببيان الحق وإزالة الشبهات، أو بتحريض المؤمنين على القتال، أو الدعاء لهم..؛ قال الله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً٨٤}

---

(١) تفسير الطبري ١٨/١٥.

(٢) صحيح مسلم رقم ٥٠٣٢.

[النساء]، ولما رواه أبو داود وغيره رحمه الله تعالى عن أنسٍ ﷺ، أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: جَاهدُوا المشركينَ بأموالِكم وأنفسِكُمْ وألسنتِكم(١).

ومن أنواع الجهاد العمل الإعلامي والدعائي بمثل ما سبق في صفحات التواصل الاجتماعي والمرئي والمنتديات وصفحات الإنترنت وغيرها؛ لما روى مسلم رحمه الله عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ قَالَ: اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لاَ تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ.

ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

---

(١) سنن أبي داود رقم٢٥٠٤، سنن النسائي الكبرى رقم٤٣٠٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/٨١.

وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ: هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى.

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ

يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ

وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ[1].

---

(١) صحيح مسلم رقم٦٤٧٨.

الأسل: الرماح، الظماء: الرقاق العطشى لدماء الأعداء، الأعنة: جمع عنان وهو سير اللجام

٣_ جهاد القلب والنفس: بأن نجاهد الشيطان والنفس عن الشهوات المحرمة، ونجاهد أنفسنا بالصبر على الطاعات، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠} [آل عمران].

وقال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ١٠} [الشمس].

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧} [مُحَمَّد].

وروى الترمذي رحمه الله تعالى وغيره عن فُضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ﷺ.. أنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: المجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ(١).

وجهاد النفس على أربع مراتب: أُولَاها حمْلُها على تعلم أمور الدين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم مَنْ لا يعلم من أهل الإسلام وحضِّهم على التمسك بالدين، ثم الدعوة إلى توحيد الله في حق مَنْ لمْ يُسلم.

الذى تمسك به الدابة والمقصود الخيل، أفري: أمزق أعراضهم بالهجاء كما يمزق الجلد، النَّقع: الغبار.

وقال في نهاية الأرب في فنون الأدب (١/٣٤٥) : قال حسان في أبي سفيان بن الحارث قبل إسلامه:

أبوك أبٌ حرٌ وأمك حرةٌ ... وقد يلدُ الحرانِ غيرَ نجيب

فلا تعجبن الناس منك ومنهما ... فما خبثٌ من فضةٍ بعجيب

(١) سنن الترمذي رقم: ١٦٢١، وقال أبو عيسى:"..حديثُ فُضَالَةَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ".

٤ــ جهاد اليد: ويتجلى بإنفاق الأموال في سبيل الله تعالى، وبزجر أهل المنكر، على حسب استطاعة الناهي عن المنكر وصلاحياته؛ لقول الله تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١} [التوبة].

ولما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَقُولُ: مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ(١).

ولما رواه الشيخان عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: الخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعَلى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فأمَّا الَّذي لَهُ أَجْرٌ؛ فَرَجُلٌ ربَطَهَا في سَبِيلِ الله فأطالَ في مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أصابَتْ في طِيَلِها ذَلِكَ مِنَ المرْجِ أو الرَّوْضَةِ كانَتْ لَهُ حَسَناتٍ، ولَوْ أنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها فاسْتَنَّت شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كانَتْ أَرْوَاثُهَا وآثَارُهَا حَسَناتٍ لَهُ، ولَوْ أنَّها مَرَّتْ بِنَهْرٍ فشَرِبَتْ مِنْهُ، ولمْ يُرِدْ أنْ يَسْقِيَهَا، كانَ ذَلَكَ حَسناتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا، وَلاَ ظُهُورِهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ.

وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَنِ الحُمُرِ، فَقَالَ: مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلاَّ هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧

(١) صحيح مسلم رقم٨٦.

وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨} [الزلزلة][1].

٥ــ جهاد القتال: أن نقاتل المشركين بالسلاح من أجل الإسلام؛ دفاعاً عنه، أو نقاتل من وقف في طريق دعوته؛ حتى يسلم الكفار أو يسالموا؛ لقوله تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١} [التوبة].

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إِلَهَ إلا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدَاً رسولُ الله، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزَكاةَ، فإن فَعَلُوا عَصَمُوا دِمَاءَهُم وأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّها وحِسَابُهُمْ على اللهِ[2].

ولما رواه أبو داود وابن ماجه رحمهما الله تعالى ــ بإسناد حسن ــ عَنْ أَبي أُمَامَةَ ﷺ أنه قَال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِياً، أَوْ يخلُفْ غَازِياً في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِقَارِعةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَة[3].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٧٣٥٦، صحيح مسلم رقم ٩٨٧.

قوله: ((في مرج أو روضة)) المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيها الدواب أي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت والروضة الموضع الذي يستنقع فيه الماء، قوله: ((طِيَلها)) وهو الحبل الذي ترتبط به ويطول لها لترعى، قوله: ((فاستنت)) من الاستنان وهو العدْوُ، و((الشرف)) الشوط. عمدة القاري ١٤/١٥١، النهاية لابن الأثير ٤/٣١٥.

(٢) البخاري رقم ٢٥، ومسلم رقم ٢٢.

(٣) أبو داود رقم ٢٥٠٣، وسنن ابن ماجه رقم (٢٧٦٢). وانظر رياض الصالحين ١/٢٤٧.

٦ــ جهاد الرباط: الرباط هو قسيم جهاد السلاح، إذْ كلُّ مرابطٍ مجاهدٌ وليس العكس.

وقد أمر الله تعالى به في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠} [آل عمران].

ومن الأدلة على فضل الرباط ما رواه الطبراني رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أولُ هذا الأمرِ نبوةٌ ورحمةٌ، ثم يكونُ خلافةٌ ورحمةٌ، ثم يكونُ مُلكاً ورحمةً، ثم يكونُ إمارةٌ ورحمةٌ، ثم يتكادَمونَ عليها تكادمَ الحميرِ، فعليكم بالجهادِ، وإن أفضلَ جهادِكم الرباطُ، وإن أفضلَ رباطِكم عَسْقلان(١).

وروى النَّسَائيُّ والحاكم وغيرهما رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: ألا أُنبئكم بليلةٍ

ومشارع الأنوار ص١١١.

قوله (أو يخلف) أي لم يقم بعده في خدمة أهله، بأن يصير خليفة له ونائباً عنه في قضاء حوائجه، قوله (بقارعة) أي: بداهية مهلكة، يقال: قرعه أمر، إذا أتاه فجأة، وجمعها قوارع.

(١) معجم الطبراني رقم١١١٣٨، ورجال الحديث ثقات. انظر مجمع الزوائد رقم٨٩٦٤.

وقوله ((يتكادمون عليها)): الكدم: العضُّ، والمراد أنهم يتنافسون على أخذها وقبضها كما يعض الحمار على عشبه.

وعسقلان: مدينة في فلسطين على ساحل البحر الأبيض بين غزة وبيت جِبْرين ويقال لها عروس الشام، ويقال لدمشق عسقلان أيضاً. ينظر معجم البلدان ١٢٢/٤.

الاحداثيات: "١١.٤٧'٣٢°٣٤ "٩٦.٤٤'٣٩°٣١

أفضلَ من ليلةِ القدر؟! حارسٌ حَرَسَ في أرضِ خوفٍ لعله أن لا يرجعَ إلى أهله[1].

وتدخل هذه الأقسام جميعها في قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ٧٨} [الحج]، فكل من أتعب نفسه في ذات الله تعالى فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد إذا أُطْلِقَ لا يقع إلا على مجاهدة الكفار بالسلاح.

فمن وجب عليه الجهاد وجبت عليه المشاركة فيه بنفسه، فإن لم يستطع فعليه دفع المال لتجهيز الغزاة، فيجب على الموسرين النفقة في سبيل الله، وعلى هذا فيجب على النساء الجهاد في أموالهن إن كان فيها فضل، وكذلك في أموال الصغار إذا احتيج إليها، أو يجاهد بتعليم الناس الخير، ويكف عنهم أذاه، أو يخلف الغازين في أهلهم بخير، فإن لم يستطع فعليه بالدعاء.

فأما إذا هجم العدو على بلد مسلم، صار الجهاد فرض عين على جميع أهل هذا البلد الكبير والصغير القادِرَين ذكراً كان أو أنثى؛ ثم تتوسع دائرة فرض العين على من حولهم من المسلمين شيئاً فشيئاً حتى يتم دفع العدو، أو يشمل الجهاد فرض عين على كل مسلم على وجه الأرض؛ لأن دفْع ضرر العدو عن الدين والنفس والحرمات واجب إجماعاً.

---

(١) سنن النسائي الكبرى رقم ٨٨٦٨، المستدرك على الصحيحين رقم ٢٤٢٤.

فضل الجهاد والرباط وفضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

إنَّ من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى الجهاد والرباط، لما فيهما من بذل الروح في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، ونصرة المؤمنين وإعزاز كلمتهم.

ولقد كان العلم واليقين بفضل الجهاد والرباط والشهادة في سبيل الله هو الأساس الروحي الأول في التخطيط الاستراتيجي في المعارك الجهادية، فالروح إذا رَخُصَت مقابل الأشياء السابقة، سمت بالتفكير العقلي في تدبير إدارة المعارك، لذا كثرت الأدلة على فضل الجهاد والرباط والشهادة ومنها:

قال الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١١} [التوبة].

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لاَ

أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ (١).

وعَنْ قَتَادَةَ ﷺ أنه قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، أنه قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

قَالَ : لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ.

قَالَ : فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى (٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى

---

(١) صحيح مسلم رقم٤٨٩٢.

(٢) صحيح مسلم رقم٤٩٠٢.

(٣) صحيح مسلم رقم٤٩٠٣.

آلهِ وسلَّمَ: لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ.

فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ.

ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِئَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ(٢).

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ أَنَّهُ قال: أَنَّ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قام فِيهِمْ: فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: كَيْفَ قُلْتَ؟

---

(١) صحيح مسلم رقم٤٩٠٧.

(٢) صحيح مسلم رقم٤٩١٣.

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلاَّ الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِي ذَلِكَ[1].

وعَنْ مَسْرُوقٍ رحمه الله أنه قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ بنَ مسعود عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٧٤} [آل عمران].

قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟

قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبُّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا[2].

وأما عن فضل الرباط في سبيل الله فهو كثير وكبير، والأدلة على ذلك كثيرة ومنها:

ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد السَّاعِدِيّ رضي الله

---

(١) صحيح مسلم رقم٤٩١٤.

(٢) صحيح مسلم رقم٤٩١٩.

عنه: أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: رباطُ يومٍ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعُ سوطِ أحدكم منَ الجنةِ خيرٌ منَ الدنيا وما عليها، والروحةُ يروحُها العبدُ في سبيلِ اللهِ أوِ الغدوةُ، خيرٌ منَ الدنيا وما عليها(١).

وأخرج أحمد رحمه الله تعالى عن أم الدرداء ﵂، أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: مَنْ رَابَطَ في شيءٍ من سواحلِ المسلمينَ ثلاثةَ أيامٍ أجزأتْ عنه رباطُ سنةٍ(٢).

وروى الطبراني عن أبي الدرداء عن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أنه قال: رباطُ شهرٍ خيرٌ من صيامِ دهرٍ، ومنْ ماتَ مرابطاً في سبيلِ اللهِ أمِنَ مِنَ الفَزعِ الأكبرِ، وغدا عليهِ برزقِهِ، وريحَ منَ الجنةِ، ويجري عليه أجرُ المجاهدِ حتى يبعَثَهُ اللهُ عزَّ وجل(٣).

وروى الترمذي رحمه الله تعالى عن فُضَالَةَ بنِ عُبيْدٍ ﵁ أنه قال: قال رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ على عَمَلِهِ إلاّ الّذِي مَاتَ مُرَابِطاً في سبيلِ الله، فإنّهُ يُنْمِّي لَهُ عَمَلَهُ إلى يَوْمِ القيامَةِ، ويَأْمَنُ من فِتْنَة الْقَبْرِ..(٤).

---

(١) صحيح البخاري رقم٢٧٣٥. و قوله: موضع سوط في الجنة يريد ما صغر في الجنة من المواضع كلها من بساتينها وأرضها.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم٢٧٠٨٥.

(٣) مجمع الزوائد رقم٩٥٠٤.

(٤) سنن الترمذي الحديث رقم١٦٢١، قال الترمذي رحمه الله: ((حديثُ فُضَالَةَ حديثٌ حسنٌ

البعد الروحي في التعرف على شخصية النبي صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلّمَ العسكرية.

إن التعرف على جوانب التخطيط العسكري عند سيدنا مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يعني التعرف على الأرض التي وصل إليها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواته، والطرق التي سلكها.

ويعني التعرف على الزمان الذي قاتل فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ويعني التعرف على الوسائل والخطط التي استخدمها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أثناء غزواته.

ويعني استشعار تأييد الله نُصْرة للمسلمين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩} [الأحزاب].

بل يعني اتصال مدد السماء بمدد الأرض وحضور الملائكة فزعة للمسلمين: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١٢٦} [آل عمران].

صحيحٌ)). مسند أحمد بن حنبل، رقم ٢٣٩٩٧.

عندها لا بُدَّ لك من وقفة روحيَّة وفكرية تستشعر بها الرحمات الربانية التي هبطت على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة الكرام وإكرامهم بالنصر: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ٣ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٤ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ٥... إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١٠} [الفتح].

وتستشعر مدى الجهد الذي بذله النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وكذا جهد صحابته الكرام في تبليغ دين الله تعالى، وكيف خطَّطَ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لغزواته وانتصر فيها.

وتنظر كيف قطع النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ والصحابة رضوان الله عليهم تلك المسافات راجلين وراكبين، وأكبر همهم تبليغ الدين، وكيف أنه كانت عقولهم وقلوبهم متيقظة للتخطيط والتدبير للأمور العسكرية.

وفي المحصلة ستقطع شوطاً كبيراً في محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومحبة صحابته الكرام، لما قدَّموه لنا وللبشرية من هداية كانت السبب الأول لسعادتنا، ونسأل الله تعالى أن يتمم هذه السعادة بأن يحشرنا مع النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته الكرام في أعلى جنات الخلد.

وفي الحقيقة فإنَّ أعظم عمل عسكري مُخَطَّطٍ وغير مُسلَّح هو الهجرة النبويَّة، وهجرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، إذْ لولاها لما ابتدأت دولة الإسلام، لذا عظَّمَ الله من شأنها في قوله: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ١٠} [الحشر].

ثم إن الله تعالى عظم من شأن جهاد الصحابة بالمال والنفس في كل مكان يصلون إليه ويغيظ الكفار فيه، فقال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ١٢٠ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [التوبة].

ومن النماذج على جهد الصحابة وحبهم الجهاد قول النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: لقد تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ رِجَالاً ما سِرْتُمْ من مَسِيرٍ، وَلاَ

أَنْفَقْتُمْ من نَفَقَةٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ من وَادٍ، إلا وَهُمْ مَعَكُمْ فيه، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قال: حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ(١).

وما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن أنس ﷺ أنه قال: عَمِّي الذي سُميتُ به لَمْ يشهد مع رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بدراً قال فشقَّ عليه، قال: أول مشهدٍ شهدَهُ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ غُيِّبْتُ عنه، ولئن أشهدني الله تعالى مشهداً مع رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع، قال: فهابَ أن يقولَ غيرها.

قال: فشهد مع رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أُحداً، قال: واستقبله سعدُ بنُ معاذٍ، فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟!

قال: واهاً لريحِ الجنةِ، أجدُه دونَ أحدٍ.

قال: فقاتلَهم حتى قُتِل.

قال: فوُجِد في جسدهِ بِضْعٌ وثمانونَ ما بينَ ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ.

قال: وقالت أخته عمتي الرَّبيع بنتُ النَّضرِ: فما عرفت أخي إلا بِبَنَانِه، ونزلت هذه الآية مِنَ: {الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ٢٣} [الأحزاب] قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه، وفي أصحابه(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم١٢٦٥٠.

(٢) صحيح البخاري رقم٣٨٢٢، صحيح مسلم رقم١٩٠٣.

وروى مسلم رحمه الله تعالى عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه، قال سمعت أبي، وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إن أبوابَ الجنةِ تحتَ ظلالِ السيوفِ.

فقام رجل رثُّ الهيئة فقال: يا أبا موسى! أأنتَ سمعتَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقولُ هذا؟

قال: نعم.

قال: فرجعَ إلى أصحابِه فقال: أقرأُ عليكمُ السلامَ، ثم كسرَ جَفْنَ سَيفِهِ [غِمد السيف] وألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدوِّ فَضَرَبَ به حتى قُتل[1].

وأخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مرَّ بخِباءِ أعرابي وهو في أصحابه يريدونَ الغزو، فرفعَ الأعرابي ناحيةً من الخباءِ، فقال: مَنِ القومُ؟

فقيلَ: رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وأصحابه يريدونَ الغزوَ، فسارَ معهم.

فقال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: والذي نفسي بيدهِ إنهُ لمنْ ملوكِ الجنةِ.

فلقوا العدوَّ فاستشهدَ وأُخبرَ بذلك رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فأتاهُ فقعدَ عندَ رأسهِ مستبشراً يضحكُ ثم أعرضَ عنه، فقلنا: يا رسول الله رأيناكَ مستبشراً تضحكُ، ثم أعرضتَ عنه؟!

---

(١) صحيح مسلم رقم١٩٠٢.

فقال: أما ما رأيتمْ من استبشاري فَلِمَا رأيتُ منْ كرامةِ روحهِ على الله، وأما إعراضي عنه فإنَّ زوجتهُ منَ الحورِ العينِ الآن عند رأسه[١].

وأخرج البيهقي رحمه الله عن مَالِك بْن دِينَارٍ، أنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الزَّاوِيَةِ[٢]، قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ غَالِبٍ: إِنِّي لَأَرَى أَمْرًا مَا لِي عَلَيْهِ صَبْرٌ، رُوحُوا بِنَا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَكُسِرَ جَفْنُ سَيْفِهِ، وَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، قَالَ: وَكَانَ يُؤْخَذُ مِنْ قَبْرِهِ رِيحُ الْمِسْكِ، قَالَ مَالِكٌ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى قَبْرِهِ فَأَخَذْتُ مِنْهُ تُرَابًا فَشَمَمْتُهُ، فَوَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ الْمِسْكِ[٣].

ويستدل من الأحاديث السابقة على أن الجنة بنعيمها وحورها تقترب من المجاهدين حيث يصير قتالهم، اقتراباً لا تحيط به عقولنا، وأنهم ينتقلون إليها فور استشهادهم، لذلك جاءت السنة باستحباب دفن الشهداء في أمكنة

---

(١) شعب الإيمان رقم٤٣١٧، وإسناد الحديث حسن. انظر الترغيب والترهيب٢/٢١٤، رقم ٣٠٧.

(٢) معركة الزاوية: معركة كبيرة بين جيش التابعي الفقيه عبد الرحمن بن الأشعث وجيش الحجاج بن يوسف الثقفي، في ولاية عبد الملك بن مروان، في أوائل سنة(٨٢هـ/٧٠١م) التقى الفريقان في مكان يدعى (الزاوية) جنوب العراق في ناحية البصرة، انهزم في النهاية جيش ابن الأشعث وفرَّ ابن الأشعث، وكانت الغلبة للحجاج. انظر تاريخ خليفة بن خياط ص٢٨٢، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١/ ٢٠٣.

الاحداثيات: "٣٠°٢٣'٣.٠٢ "٤٧°٤١'٥٥.٦٠

(٣) شعب الإيمان رقم٤٠١٤.

قتلهم[١]، فقد روى الترمذي رحمه الله تعالى عن جابر ﷺ أنه قال: لما كانَ يومُ أُحد جاءت عمتي بأبي لتدفِنَهُ في مقابرنا، فنادى منادي رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم[٢].

والحكمة في ذلك ــ والله أعلم ــ أن مكان استشهادهم هو محل تشريف اقتربت الجنة إليه ــ كما مرَّ ــ بل هو محل مدد الله تعالى ورحمته وتَنَزُّل ملائكته.. فأصبح لهذا المكان مزية على غيره، وهذا تشريف عظيم للشهداء لشبَهِهِمْ بالأنبياء؛ حيثُ يُدفنُ النبي في المكان الذي مات فيه، فألحق بهم الشهداء[٣].

ومن الأدلة على ترحم النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على من دفن من الصحابة في أرض المعركة ما قاله ابن سعد رحمه الله تعالى: ثم غزوة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بني لِحْيَانَ، وكانوا بناحية عُسفان[٤] في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره، قالوا وجد رسول الله

---

(١) فائدة: قال البهوتي الحنبلي رحمه الله في الروض المربع ص١٣٣ ويُستحب جمع الأقارب [أي الموتى] في بقعة؛ لتسهيل زيارتهم، قريباً من الشهداء والصالحين لينتفع بمجاورتهم في البقاع الشريفة وانظر المبدع ٢/٢٧٦ــ٢٧٧، ونحو هذا الكلام في الشرح الكبير ١/٤٢١، وانظر فيض القدير ٤/٣٢، راجع صحيح البخاري، رقم الحديث ١٣٣٩.

(٢) سنن الترمذي رقم ١٧١٧، قال أبو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح.

(٣) فيض القدير ٤/ ٣٢.

(٤) إحداثيات موقع غزوة بني لحيان في عسفان: "٣١.٨٢'٢١°٣٩"٣٦.٥٢'٥٧°٢١

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشَّام، وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبدَ الله بنِ أمِّ مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطنِ غُرَانٍ(١)، حيث كان مصابُ أصحابه، فترحَّم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لِحْيَان، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد.

فأقام يوماً أو يومين فبعث السرايا في كل ناحيةٍ، فلم يقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عُسفان، فبعث أبا بكر في عشرة فوارس؛ لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا الغميم(٢)، ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً، ثم انصرفَ رسولُ

---

(١) اسم السَّرِيَّة التي ذهب فيها عاصم بن ثابت وأصحابه ﷺ سرية الرَّجِيع وهي سرية استطلاع، ليجمعوا له المعلومات عن تحركات قريش التجارية والعسكرية، حتى إذا كانوا في منطقة الرجيع أغار عليهم بنو لِحْيان فقتلوا بعضهم، وأسروا البعض، والرجيع ماء ويعرف اليوم باسم الوطية، ويبعد عن مكة نحو٧٠كم على اليمين للمتجه منها إلى عُسفان شمال غرب قرية الشامية.

إحداثيات سرية الرجيع: "٣٥.٨٦'٢٦°٣٩"٢٣.٨٣'٥٣°٢١

(٢) الغميم أي كُراع الغميم: يقع جنوب عسفان بـ ١٦كم بين الجموم وعسفان، على الطريق المتجهة لمكة على بعد ٦٤كم من مكة، وتعرف اليوم ببرقاء الغميم. معجم المعالم الجغرافية ٢٦٣/١. ومن قراه الشامية.

الاحداثيات: "١٧.٦٦'٢٧°٣٩"٣٨.٥٥'٤٩°٢١ .

الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى المدينة، وهو يقول: آيبونَ تائبونَ عابدونَ لربنا حامدونَ، وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة(١).

وروى الشيخان عن عقبة بن عامرٍ ﷺ أنه قال: إن النبي ﷺ خَرَجَ يوماً، فَصَلَّى على أَهْلِ أَحُدٍ صلاتَهُ على الميِّتِ، ثم انصرف إلى المنبرِ، فقال: إني فَرَطٌ لكُمْ(٢)، وأنا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وإني واللهِ لأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآنَ، وإنِّي أُعْطِيتُ مفاتيحَ خَزَائِنِ الأرضِ، أو مفاتيحَ الأرضِ، وإني واللهِ ما أخَافُ عليكُمْ أَنْ تُشْرِكوا بعدِي، ولكنْ أَخافُ عليكُمْ أن تَنَافَسُوا فيها(٣).

وبعد الجولة في بيان الأقسام الجهادية في الاستراتيجي العسكرية، وبيان البعد الروحي في التعرف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية إليك معالم قيادته الكريمة.

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٧٨.

(٢) قوله: فَرَطٌ لكم أي مُتَقَدِّمُكُمْ إليه، يُقال: فَرَطَ يَفْرِطُ، إذا تَقَدَّمَ القومَ لِيَرْتَادَ لهم الماءَ، ويُهَيِء لهم الدِّلاءَ. انظر النهاية ٣/٤٣٤.

(٣) أخرجه البخاري رقم١٣٤٤، ومسلم رقم٢٢٩٦.

منطلقات التخطيط الاستراتيجي في قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية

لقد بلغت مواقف النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في القيادة العسكرية القمة التي لم يرقَ إليها أحد، فما من قضيَّة مهمَّة في أمرِ الحرب إلا وكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سبَّاقاً إلى المعرفة فيها، ورائداً في جميع تفصيلاتها، مع أعلى القيم الحضارية، من عفو عن الأعداء والرحمة بهم، وصدق في المواثيق والعهود، وكرم وشجاعة، والحرص على سلامة العباد والبلاد.

وهذه الصفات قَلَّمَا توجدُ في قائد، فالجهاد عنده صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ليس مقصوداً لذاته، بل لغايات عظمى أعلاها تبليغ دين الله تعالى إلى الناس كافَّةً، فكان لا يبدأ أحداً بالعدوان، ولكنه إذا علم بعزم الأعداء على قتاله، بادر إلى قتالهم.

هذا وتعددت سمات القيادة العسكرية عند النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وقد وُفِّقْتُ إلى بيان مئة قاعدة منها، وإليك بيانها حسب عناوين الفصول الآتية:

الفصل الأول: منطلق التعامل مع غير المسلمين في الحرب.

١. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢. حوار الأديان قبل التحام السِّنَان.

٣. لغة التأثير في العدو.

٤. كسب العدو بالطرائق الودية.

٥. رعاية أسرى الحرب.

٦. وفاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعدائه.

٧. إعلام العدو بالحرب عند نقض العهد.

٨. العفو والصفح والسماحة مع المغلوب.

٩. منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم.

١٠. حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حق.

١١. النهي عن قتل غير المقاتلين.

١٢. الوفاء بتأمين المحاربين والمِسْتَأْمَنِين.

١٣. الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت.

١٤. قبول جوار غير المسلم.

١٥. حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان.

١٦. الرفق بالعدو إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده.

١٧. عرض الإسلام العملي على الأسير.

١٨. رعاية حق الرَّحِم.

١٩. تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب.

٢٠. حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حق.

١.الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال الله تعالى: { قُمْ فَأَنذِرْ ٢} [المدثر].

وقال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.. ١٢٥} [النحل].

وقال تعالى: { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ.. ١٥} [الشورى].

مما لا شك فيه أن الإسلام انتشر بصدق الكلمة وحسن المعاملة، وبحجة الإقناع لا بسلطة الإخضاع، وبلسان العدل لا بسيف الظلم، فلم يشهد التاريخ فاتحين رحماء داعين إلى الله أرحم من المسلمين، عملاً بقول الله تعالى السابق، وبهذا شهد القاصي والداني، والمستشرق والمستغرب.

ومن الشواهد على ذلك أيضاً تَأَخُّر فَرِيضة الجهاد إلى أواخر السنة الأولى من الهجرة، إذ لولا الحاجة إليه لما فُرض، وهو ما حل بالمسلمين من الظلم والاضطهاد والتشريد والتغريب: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠} [الحج] وفي المقابل كان تأخُّر فرض الجهاد له دور كبير في ترسيخ الإيمان في نفوس الناس، وانتشاره بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالقتال جاء في الإسلام بمثابة الدواء الأخير، وهو لأحد أمرين؛ إما

للدفاع عن حرمة الدين وأهله، أو لتبليغ دعوة الدين، فمن وقف في وجه الدعوة الإسلامية حُورِبَ حتى يصل الدِّين إلى مَنْ وراءه، فالقتال هو الحلُّ الأخير، أو كما يقولون آخر الدواء الكي.

وحتى بعد فرض الجهاد لا يجوز البدء بالقتال قبل وصول دعوة الإسلام، ومما يدل على هذا الكتبُ والرسائلُ التي بعثها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى الملوك والرؤساء، وكذا استراتيجية إرسال السرايا من قبل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأول ما يُبْدأ مع غير المسلمين هو الدعوة، وكَمْ مِنْ بلادٍ غير مسلمةٍ تحولت إلى بلاد مسلمة بسبب الدعوة إلى الله تعالى.

ومن الشواهد على وجوب تبليغ دين الله تعالى قبل إعلان أي قتال ما رواه مسلم رحمه الله عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ أنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ:.. إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ: فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ.

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ.

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ.

فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ؛

يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُم الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ.

فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ..[1].

ومن شواهد السلف الصالح على تقديم الدعوة على الجهاد ما حدث بين أهل سمرقند[2] وعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لما تولى زمام الخلافة فقد بعثوا له: أن قُتَيْبَة ظلمنا وغدر بنا، وأخذ بلادنا مباغتة، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأْذنْ لنا فليقدمْ منا وفدٌ على أمير المؤمنين، فأذن لهم، فوجهوا وفداً إلى عمر وذكروا مظلَمَتَهم من قُتَيْبة.

فكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى سليمان والي سَمَرْقند: إنَّ أهلَ سمرقند شكوا ظلماً وتحاملاً من قُتَيْبَةَ عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلسْ لهمُ القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجِ العربَ إلى معسكرهم كما كانوا قبل أن يَظهرَ عليهم قُتَيْبَة.

---

(١) رواه مسلم رقم ٣٢٦١.

(٢) تقع مدينة سَمَرْقَنْدُ في آسيا الوسطى، في بلاد أوزبكستان ومعنى الاسم "قلعة الأرض"، تم الفتح الإسلامي لمدينة سمرقند على يد القائد المسلم قُتَيْبَة بن مسلم الباهلي رحمه الله في سنة (٨٧هـ. ٧٠٥ م). معجم البلدان (٣/ ٢٤٨)، ويكيبيديا.

الاحداثيات: "٣٢.٣٢'٥٨°٦٦"١٤.١٧'٣٩°٣٩

فأجلس لهم سليمانُ جُميع بن حاضر القاضي، وبعد انتهاء جلسة القضاء، قضى أن تَخرجَ العربُ إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً، فقال أهل الصُّغْد (اسم لما يضم سمرقند وغيرها من تلك الناحية): نرضى بما كانَ، ولا نحدثُ شيئاً وتواصوا بذلك[1]، ودخل الكثير منهم في دين الله تعالى بسبب هذا العدل.

٢. حوار الأديان قبل التحام السِّنَان.

قال الله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ٦} [التوبة].

إن من أعظم ما تميَّز به هذا الدِّين الحنيف أنه انتشر بسلطان العدل، لا بسلطان الظلم، بل أوجب الإسلام تبليغ الدعوة قبل إحداث أيِّ قتال كما مرَّ في مقدمة القواعد، وأوجب إمهال مَنْ ندعوهم، وسماع حجتهم، وحوارهم بالتي هي أحسن، قال الله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ١٢٥} [النحل].

وروى البخاري رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خَالِدَ بن الْوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ[2]

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٦/٩٦.

(٢) سرية خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة، وكانت في شوال سنة ٨هـ، وكان بنو جذيمة في ناحية الْغُمَيْصَاء وفي تقديري أنه قبيل ميقات يلملم وهو في جنوب مكة بنحو ٦٠كم.

فَدَعَاهُمْ إلى الْإِسْلَامِ، فلم يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ منهم وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إلى كل رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ حتى إذا كان يَوْمٌ، أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ.

فقلت: والله لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي ولا يَقْتُلُ رَجُلٌ من أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حتى قَدِمْنَا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يديه فقال: اللهم إني أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ، مَرَّتَيْنِ(١).

قاعدة: الخطأ في العفو خير من الخطأ في القتل.

٣.لغة التأثير في العدو.

قال الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ..٢٩} [الفتح].

إن من أعظم ما كان بين النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وبين صحابته الكرام هو ذاك الحب الذي تجسدت معانيه في أصعب الساعات وأحلك الظروف وهي ساعات الشدة في الحرب، فقد آثروه على أنفسهم، وجعلوا أجسادهم دون جسده ستار، وأرواحهم دون روحه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فداء، حتى انعكست آثار هذه

الاحداثيات: "٣٩°٥٤'٥٩.١٤ ٢٠°٥٥'١٧.٣٣" .

(١) صحيح البخاري رقم ٤٠٨٤.

المحبة على غير المسلمين، هيبة منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وخوفًا منه، ورغبة في الدخول في هذا الدين، أو مسالمته.

ومن أمثلة هذا ما حصل مع عُرْوَةَ بنِ مسعودٍ ﷺ [وذلك قبل إسلامه] في قصة الحديبية، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في قصة صلح الحديبية أنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِعَيْنَيْهِ.

قال: فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ نُخَامَةً إلا وَقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهم، فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإذا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وَضُوئِهِ، وإذا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إليه النَّظَرَ تَعْظِيمًا له.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إلى أَصْحَابِهِ فقال: أَيْ قَوْمِ والله لقد وَفَدْتُ على الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ على قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، والله إنْ رأيت مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُحَمَّدًا... وَإِنَّهُ قد عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا(١).

ومن مظاهر الفداء ما فعله أبو دجانة يوم أحد حيث ترَّس بنفسه دون رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فكانت النبل تقع في ظهره وهو ينحني عليه حتى كثرت فيه النبل(٢).

---

(١) صحيح البخاري رقم٢٥٨١.

(٢) السيرة النبوية لابن حبان ٢١٨/١.

ومن شواهد ذلك أيضاً ما ذكره الواقدي في مغازيه عن أَبي بَكْرٍ الصّدّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: جِئْت إلَى النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ [رغم ما حل برسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ من جراح] فَقَالَ: عَلَيْك بِابْنِ عَمّك، فَأَتَى طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، وَقَدْ نَزَفَ الدّمُ، فَجَعَلْتُ أَنْضَحُ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ، وَهُوَ مَغْشِيّ عَلَيْهِ، ثُمّ أَفَاقَ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ؟ فَقُلْت: خَيْرًا، هُوَ أَرْسَلَنِي إلَيْك، قَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَهُ جَلَلٌ [أي قليلة][1].

٤.كسب العدو بالطرائق الودية.

قال الله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة].

الأصل في شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الحربية السِّلم، ولا يجنح إلى القتال إلا بعد استنفاذ وسائل الدعوة الأخرى، فكان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يعمل على كسب العدو بترغيبه بأشياء مادية أو معنوية، أو إجراء الصلح معه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً كما يفهم من الآية السابقة، فإذا كسب عدوه وضعه في المكان الصحيح له، واستخدمه فيما هو أهل له.

والأمثلة على كسب العدو وترغيبه في الإسلام واستخدامه كدرع

---

(١) مغازي الواقدي ١/٢٥٥.

عسكري لما وراءه من الكفار ما قاله ابن هشام أنه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سأل وَفْدَ هَوَازِنَ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ: مَا فَعَلَ؟

فَقَالُوا : هُوَ بِالطّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَخْبِرُوا مَالِكًا: أَنّهُ إنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْت عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَيْتُه مِئَةً مِنْ الْإِبِلِ.

فَأُتِيَ مَالِكٌ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ إلَيْهِ مِنْ الطّائِفِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ خَافَ ثَقِيفًا عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَالَ لَهُ مَا قَالَ، فَيَحْبِسُوهُ، فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ، فَهُيّئَتْ لَهُ وَأَمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ فَأُتِيَ بِهِ إلَى الطّائِفِ، فَخَرَجَ لَيْلًا، فَجَلَسَ عَلَى فَرَسِهِ فَرَكَضَهُ حَتّى أَتَى رَاحِلَتَهُ، حَيْثُ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُحْبَسَ فَرَكِبَهَا، فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَدْرَكَهُ بِالْجِعْرَانَةِ[1] أَوْ بِمَكّةَ، فَرَدّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَاهُ مِئَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ.

فَقَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ حِينَ أَسْلَمَ :

مَا إنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... فِي النّاسِ كُلّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمّدِ

---

(١) وهي بلدة بين مكة والطائف، نزلها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين، وأحرم منها للعمرة، حيث يمر منها حد الحرم من الجهة الشمالية الشرقية. راجع المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٩٠.

الاحداثيات: "٤٠.٤٠'٥٧°٣٩ "٨٣.٥'٣٤°٢١ .

أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اُجْتُدِي ... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمّا فِي غَدِ

وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرّدَتْ أَنْيَابُهَا ... بِالسّمْهَرِيّ وَضَرْبِ كُلّ مُهَنّدِ

فَكَأَنّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ ... وَسْطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ

فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ ثُمَالَةُ وَسَلِمَةُ وَفَهْمٌ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ إلّا أَغَارَ عَلَيْهِ حَتّى ضَيّقَ عَلَيْهِمْ(١).

وبهذا أمَّن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الجبهة الجنوبية للمدينة المنورة، كي يتوجه للجبهة الشمالية منها.

٥.رعاية أسرى الحرب.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٠} [الأنفال].

هذه الآية أصلٌ عظيمٌ في رعاية الأسرى والإحسان إليهم، فمن عظيم رحمته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالأسرى أنه كان يطعمهم، ويسقيهم، ويبعد عنهم ما يؤذيهم، فلا يجوز قتلهم صبراً، ولا تعذيبهم، ويجوز العفو عنهم أو قبول الفداء منهم، وكان هذا الخلق أهم الأسباب في دخولهم الإسلام، حتى جاء في هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره عن أبي

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤٩٠.

هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عَجِبَ الله من قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ(١).

معناه: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ ثُمَّ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

وقد مدح الله تعالى الإحسان للأسير فقال: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨} [الإنسان].

وقال الله تعالى في قضية إطلاق الأسير والعفو عنه: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا.. ٤} [مُحَمَّد].

ومن الشواهد على الإحسان للأسير ما قَالَه ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي نُبَيّهُ بْنُ وَهْبٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدّارِ أَنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حِينَ أَقْبَلَ بِالْأُسَارَى فَرّقَهُمْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: اسْتَوْصُوا بِالْأُسَارَى خَيْرًا.

قَالَ: وَكَانَ أَبُو عَزِيزٍ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمٍ، أَخُو مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمّهِ فِي الْأُسَارَى.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَزِيزٍ: مَرّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ: شُدّ يَدَيْك بِهِ، فَإِنّ أُمّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ لَعَلّهَا تَفْدِيهِ مِنْك.

قَالَ: وَكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فَكَانُوا إذَا

(١) صحيح البخاري رقم ٣٠١٠.

قَدّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصُّونِي بِالْخُبْزِ، وَأَكَلُوا التّمْرَ؛ لِوَصِيّةِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إيّاهُمْ بِنَا، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إلّا نَفَحَنِي بِهَا، قَالَ: فَأَسْتَحْيِيَ فَأَرُدّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ فَيَرُدّهَا عَلَيّ ما يَمَسّهَا(١).

وذكر الواقدي رحمه الله تعالى أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال في بني قريظة: أَحْسِنُوا إسَارَهُمْ وَقَيّلُوهُمْ وَأَسْقُوهُمْ حَتّى يُبْرِدُوا فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِيَ، لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرّ الشّمْسِ وَحَرّ السّلَاحِ، وَكَانَ يَوْمًا صَائِفًا..

وَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ – إلَى سَلْمَى بِنْتِ قَيْسٍ ، وَكَانَتْ إحْدَى خَالَاتِهِ وَكَانَتْ قَدْ صَلّتْ الْقِبْلَتَيْنِ وَبَايَعَتْهُ وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ سَمَوْأَلٍ لَهُ انْقِطَاعٌ إلَيْهَا وَإِلَى أَخِيهَا سَلِيطِ بْنِ قَيْسٍ وَأَهْلِ الدّارِ، وَكَانَ حِينَ حُبِسَ أَرْسَلَ إلَيْهَا أَنْ كَلّمِي مُحَمّدًا فِي تَرْكِي، فَإِنّ لِي بِكُمْ حُرْمَةً وَأَنْتِ إحْدَى أُمّهَاتِهِ فَتَكُونَ لَكُمْ عِنْدِي يَدًا إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مَا لَك يَا أُمّ الْمُنْذِرِ؟

قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ! رِفَاعَةُ بْنُ سَمَوْأَلٍ كَانَ يَغْشَانَا وَلَهُ بِنَا حُرْمَةٌ فَهَبْهُ لِي.

وَقَدْ رَآهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَلُوذُ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: نَعَمْ هُوَ لَكِ.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٦٥٤.

ثُمّ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إنّهُ سَيُصَلّي وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ، فَتَبَسّمَ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ثُمّ قَالَ: إنْ يُصَلّ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَإِنْ يَثْبُتْ عَلَى دِينِهِ فَهُوَ شَرّ لَهُ[1].

٦.وفاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعدائه.

قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨} [الممتحنة].

إن الإحسان من أكبر وسائل أسر الإنسان، ويزيد الأمر جمالاً إذا كان المحْسَنُ إليه عدواً مسالِمَاً، فجميلُ المعاملة معه من أفضل الوسائل لترغيبه في الدخول في دين الله تعالى، وبهذا أمر الله تعالى وشهدت السنة المطهرة به ودرج عليه عمل السلف الصالح.

فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُغلِّب جانب الصفح على الانتقام، بل ويُسْدي بالمعروف على أعدائه.

فبعد أنِ انتصرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في حنين على هوازن وثقيف، وأسر منهمُ الكثير قَدِمَ إليه وَفْدُ هَوَازِنَ، وهم أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا أسلموا وَجَاؤوا بِإِسْلَامِ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فَكَانَ رَأْسَ الْقَوْمِ وَالْمُتَكَلّمَ أَبُو صُرَدٍ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدٍ عَمُّ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْ الرّضَاعَةِ.

قَالَ يَوْمَئِذٍ: يَا رَسُولَ اللهِ! إنّمَا فِي هَذِهِ الْحَظَائِرِ مَنْ كَانَ يَكْفُلُك مِنْ

(١) مغازي الواقدي ٥/٥١٥.

عَمّاتِك وَخَالَاتِك وَحَوَاضِنِك، وَقَدْ حَضَنّاك فِي حُجُورِنَا، وَأَرْضَعْنَاك بِثُدِيّنَا، وَلَقَدْ رَأَيْتُك مُرْضَعًا فَمَا رَأَيْت مُرْضَعًا خَيْرًا مِنْك، وَرَأَيْتُك فَطِيمًا فَمَا رَأَيْتُ فَطِيمًا خَيْرًا مِنْك، ثُمّ رَأَيْتُك شَابّا فَمَا رَأَيْتُ شَابّا خَيْرًا مِنْك، وَقَدْ تَكَامَلَتْ فِيك خِلَالُ الْخَيْرِ وَنَحْنُ مَعَ ذَلِكَ أَهْلُك وَعَشِيرَتُك، فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنّ اللهُ عَلَيْك.

وكان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَدْ اسْتَأْنَى بِهِمْ حَتّى ظَنَّ أَنّهُمْ لَا يقْدُمُونَ، فَقُسِّمَ السّبْيُ وَجَرَتْ فِيهِم السُّهْمَانُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إنّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ أَصْدَقُهُ وَعِنْدِي مَنْ تَرَوْنَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبّ إلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ خَيّرْتنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَبَيْنَ أَمْوَالِنَا، وَمَا كُنّا نَعْدِلُ بِالْأَحْسَابِ شَيْئًا، فَرُدّ عَلَيْنَا أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا.

فَقَالَ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَمّا مَا لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَأَسْأَلُ لَكُمُ النّاسَ.

وَإِذَا صَلّيْتُ الظّهْرَ بِالنّاسِ فَقُولُوا: إنّا لَنَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ إلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إلَى رَسُولِ اللهِ، فَإِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ: مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ وَسَأَطْلُبُ لَكُمْ إلَى النّاسِ.

فَلَمّا صَلّى رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الظّهْرَ بِالنّاسِ قَامُوا فَتَكَلّمُوا بِالّذِي أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ،

فَقَالُوا: إنّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ إلَى الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إلَى رَسُولِ اللهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَمّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ.

فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: فَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ، وقَالَتْ الْأَنْصَارُ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ، وَقَالَ الْأَقْرَع بْن حَابِس: أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيم فَلَا.

وَقَالَ عُيَيْنَةُ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو فَزَارَة فَلَا.

وَقَالَ الْعَبَّاس بْن مِرْدَاس: أَمَّا أَنَا وَبَنُو سَلِيم فَلَا.

فَقَالَتْ بَنُو سَلِيم: بَلْ مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّه.

ثُمّ قَامَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي النّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ: إنّ كُلّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ جَاؤوا مُسْلِمِينَ، وَقَدْ كُنْت اسْتَأْنَيْت بِهِمْ فَخَيّرْتهمْ بَيْنَ النّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَمْوَالِ، فَلَمْ يَعْدِلُوا بِالنّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنّ شَيْءٌ فَطَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَرُدّهُ فَلْيُرْسِلْ، وَمَنْ أَبَى مِنْكُمْ وَتَمَسّكَ بِحَقّهِ فَلْيَرُدّ عَلَيْهِمْ، وَلْيَكُنْ فَرْضًا عَلَيْنَا سِتّ فَرَائِضَ [الإبل] مِنْ أَوّلِ مَا يَفِيءُ اللهُ بِهِ عَلَيْنَا. [والفرائض هي الإبل].

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ رَضِينَا وَسَلّمْنَا.. (١)

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بَكْرَة أبيهم، فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديماً وحديثاً وخصوصاً وعموماً.

(١) مغازي الواقدي ١/٩٥٠.

٧.إعلام العدو بالحرب عند نقض العهد.

قال الله تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ ٥٨} [الأنفال].

أي: إن واجهتَ أقواماً ناقضينَ للعهود والمواثيق في المعركة، فأنزِلْ بهم من العذاب ما يُدْخل الرُّعبَ في قلوبهم، ويشتت جموعهم؛ لعلهم يذّكرون، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون، وإن خفت -أيها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من قومٍ خيانةً ظهرت بوادرها فألقِ إليهم عهدهم، كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم بينكم، إن الله لا يحبُّ الخائنين في عهودهم الناقضين للعهد والميثاق.

وإن لم يكن بالمشركين غدر وخيانة وتمَّ الصلحُ بينهم وبين المسلمين وفق معاهدة ذات شروط، إلى مدة محددة، وجبَ على المسلمين الوفاء بتلك المعاهدة، ولا يجوز نقضها من غير علم الطرف الآخر، وبالتالي يحرم الغدر.

ومن الشواهد على وجوب إعلام العدو بالحرب عند نقض العهد ما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن سُلَيْم بن عَامِرٍ أنه قال: كان بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وبَيْنَ أهلِ الرّومِ عَهْدٌ، وكانَ يَسِيرُ في بِلاَدِهم، حتى إذا انْقَضَى العَهْدُ أغَارَ عليهمْ، فإذا رَجُلٌ على دَابَّة أو على فَرَسٍ وهو يقولُ: اللهُ أكْبَرُ وَفَاءٌ لاَ غَدْرٌ، وإذا هُوَ عَمْرو بن عَبَسَةَ، فَسَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ عن ذلكَ، فقالَ سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَقُولُ: مَنْ كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فلا يَحُلّنَّ عَهْداً ولا يَشُدّنّهُ حتّى يَمْضِيَ أمَدُهُ، أو يَنْبِذَ إليهِم عَلَى سَوَاء.

قال: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ ﷺ بالناسِ[1].

٨.العفو والصفح والسماحة مع المغلوب.

قال الله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤} [فصلت].

العفو والصفح مع المغلوب لَمِنْ أكبر الأسباب التي استخدمها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مع أعدائه حين الظفر بهم لتأليف قلوبهم وترغيبهم في هذا الدين، وكانت مواقفه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الصفح مع المغلوب أكثر مما تحصى، وبهذا أمر القرآن الكريم كما في الآية السابقة.

ومن شواهد العفو في الحديث الشريف ما أخرجه أحمد وغيره عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ أنه قال: قَاتَلَ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ[2]، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ منهم يُقَالُ له

---

(١) سنن الترمذي رقم١٥٨٣، وقال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢) هذه الغزوة هي غزوة نجْد أو ذاتِ الرِّقاع أو غزوة الأعاجيب، وكانت بعد غزوة خيبر أي في السنة السابعة للهجرة.

وحدثت في وادي الشُقْرة قريباً من قرية النُخيل التابعة لمحافظة الحناكية، حيث نزل فيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو ما يزال بهذا الاسم، وهو واد يمر من الطرف الجنوبي الغربي من النُخيل، وينزل في قرية الشقرة، ويبعد عن المدينة ١١٥كم.

الاحداثيات: "٤٠°١٦'٣٠.٤٣ "٢٤°٤٧'١٢.٦٨ .

غَوْرَثُ بن الحارث، حتى قام على رَأْسِ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِالسَّيْفِ، فقال: من يَمْنَعُكَ مني؟

قال: الله عز وجل، فَسَقَطَ السَّيْفُ من يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

فقال: من يَمْنَعُكَ مني؟

قال: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ.

قال: أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله؟

قال: لاَ، ولكني أُعَاهِدُكَ أَنْ لاَ أُقَاتِلَكَ وَلاَ أَكُونَ مع قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ.

قال: فَذَهَبَ إلى أَصْحَابِهِ قال: قد جِئْتُكُمْ من عِنْدِ خَيْرِ الناس![1].

وروى أيضاً عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ أنها قالت: لَمَّا قَسَمَ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارث في السَّهْمِ لِثَابِتِ بن قَيْسِ بن الشِّمَّاسِ أو لِابْنِ عَمٍّ له، وَكَاتَبَتْهُ على نَفْسِهَا وَكَانَتِ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَّاحَةً لاَ يَرَاهَا أحدٌ إلا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ تَسْتَعِينُهُ في كِتَابَتِهَا.

قالت: فَوَاللَّهِ ما هو إلا أَنْ رَأَيْتُهَا على بَابِ حُجرتي فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى منها ما رأيتُ، فَدَخَلَتْ عليه، فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ أنا

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٤٤٠١، والحديث أخرجه البخاري أيضاً صحيح البخاري رقم ٤١٣٦.

جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارث بن أَبِي ضِرَارٍ؛ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وقد أصابني مِنَ الْبَلاَءِ ما لم يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ في السَّهْمِ لِثَابِتِ بن قَيْسِ بن الشِّمَّاسِ أو لِابْنِ عَمٍّ له، فَكَاتَبْتُهُ على نفسي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ على كتابتي.

قال: فَهَلْ لَكِ في خَيْرٍ من ذلك؟

قالت: وما هو يا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: أقضي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ.

قالت: نعم يا رَسُولَ اللَّهِ.

قال: قد فَعَلْتُ.

قالت عائشة: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إلى الناس أن رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحارث، فقال الناس: أَصْهَارُ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَأَرْسَلُوا ما بِأَيْدِيهِمْ، قالت: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ من بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فما أَعْلَمُ امْرَأَةً كانت أَعْظَمَ بَرَكَةً على قَوْمِهَا منها[1].

وقال ابن سعد: عن أبي قلابة أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سبى جويريةَ بنتِ الحارثِ فجاءَ أبوها إلى النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فقال: إن ابنَتِي لا يُسبى مثلها، فأنا أكرمُ من ذاك، فخلِّ سبيلها، قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أرأيتَ إنْ خيَّرناها أليسَ قد أحسنَّا؟

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٢٥١٦١.

قال: بلى وأدَّيتَ ما عليك.

قال: فأتاها أبوها.

فقال: إنَّ هذا الرجل قد خَيَّرَكِ فلا تفْضَحِينا.

فقالت: فإني قد اخترتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

قال: قد واللهِ فَضَحَتْنَا[1].

٩. منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم.

قال الله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ١٢٦} [النحل].

قال الله تعالى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ٣٣} [الإسراء].

هذه الآية الأخيرة تحرم التجاوز في القتل بأي سبب من الأسباب إلا أن يكون حقاً، ومن التجاوز التمثيل والتعذيب إلا بإذن من الشارع الحكيم.

ويوضح هذا سبب نزول الآية الأولى وهو أنه لما قُتِلَ حَمْزَةُ عمُّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَمُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لَئِنْ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ لَنُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ

(١) الطبقات الكبرى ٨/١١٨.

مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}(١).

فالتمثيل في الإسلام حرام لأنه لا فائدة منه، وقد كرم الله تعالى بني آدم، فلا يجوز تقطيع الميت أو جزء منه للتمثيل به، إلا إذا كانت هناك ضرورة، فيجوز بأمرِ وليّ الأمر.

ومن الشواهد على ذلك أبضاً ما رواه مسلم عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..(٢).

وذكر الواقدي رحمه الله تعالى أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال في بني قريظة: أَحْسِنُوا إسَارَهُمْ وَقَيِّلُوهُمْ وَأَسْقُوهُمْ حَتّى يُبْرِدُوا فَتَقْتُلُوا مَنْ بَقِيَ، لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ حَرّ الشّمْسِ وَحَرّ السّلَاحِ، وَكَانَ يَوْمًا صَائِفًا..(٣).

١٠. حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حق.

قال الله تعالى: {..وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) ١٤/ ٤٠٣.

(٢) رواه مسلم رقم ٣٢٦١.

(٣) مغازي الواقدي ٥/٥١٥.

الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢} [المائدة].

أي ولا يحملنَّكم بغض قوم وهم أهل مكة المشركين بسبب أنهم منعوكم من المسجد الحرام عام الحديبية أن تعتدوا على الناس القاصدين بيت الله فتستحلوا دماءهم.

وقال تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ١٩١ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢} [البقرة].

حرم الإسلام الاعتداء على كل ما ليس له علاقة بالحرب، كتخريب البيوت والمعامل والمصانع والمزارع، ونهب الممتلكات، الخاصة والعامة.

والأدلة في هذا من السنة المطهرة كثيرة ومنها:

ما رواه الإمام أحمد رحمه الله عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قَتَلَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا أَوْ أَحْرَقَ نَخْلًا أَوْ قَطَعَ شَجَرَةً مُثْمِرَةً أَوْ ذَبَحَ شَاةً لِإِهَابِهَا، لَمْ يَرْجِعْ كَفَافًا[1].

وقال أبو بَكْرٍ ﷺ موصيًا أحد قادته: إِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ؛ لاَ تَقْتُلَنَّ

(١) مسند الإمام أحمد رقم٢١٣٣٤.

امْرَأَةً وَلاَ صَبِيًّا وَلاَ كَبِيرًا هَرِمًا وَلاَ تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا ولاَ تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا وَلاَ تَعْقِرَنَّ شَاةً وَلاَ بَعِيرًا إِلاَّ لِمَأْكُلَةٍ وَلاَ تَحْرِقَنَّ نخلاً وَلاَ تغرّقنه وَلاَ تَغْلُلْ وَلاَ تَجْبُنْ(١).

١١.النهي عن قتل غير المقاتلين.

قال الله تعالى: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ١٩٠} [البقرة].

حرَّم الإسلام إزهاق الأرواح ممن ليس له علاقة بالحرب، كقتل النساء والصبيان، وكبار السن، والعباد، وكذا قتل الأسير ممن لم يثبت عليه جرم القتل؛ وجعله من قسم الاعتداء بغير حق.

والأدلة في هذا كثيرة ومنها:

روى الشيخان عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أنه قال: وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَنَهَى رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عن قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ(٢).

١٢.الوفاء بتأمين المحاربين والمُسْتَأْمَنين.

قال الله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ٦} [التوبة].

إن الإسلام دين السِّلم والسلام، وهو دين الدعوة إلى الله بالحكمة

---

(١) رواه مالك رقم١٠.

(٢) رواه البخاري رقم ٣٠١٤، ومسلم رقم ١٧٤٤.

والموعظة الحسنة، فإذا طلب أحد المحارَبين من غير المسلمين الأمان فإنَّه يُعطى الأمان من أجل أن يفهمَ هذا الدين، إن لمْ يكنْ هناك ضرر باستئمانه، ليتعرَّف على القرآن وسنة النبي العدنان صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وكذلك الشأن في كل من دخل دار الإسلام بأمان من غير المسلمين يحرم الاعتداء عليهم، أو الغدر بهم بعد أخذه الأمان، كما دلت عليه الآية السابقة.

ومن الشواهد على ذلك:

روى أبو داود عن صَفْوَانَ بن سُلَيْمٍ عن بعض الصحابة أن رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: ألا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ(١).

ومن جميل صفحه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإعطائه الأمان لغير المسلمين رغم الإساءة منهم له، ما أخرجه ابن حِبَّان في قصة إسلام زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ أنه قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شيءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ؛ يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا

(١) رواه أبو داود رقم٣٠٥٢.

حِلْمًا.

فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ.

قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِه سَلَّمَ مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَرْيَةُ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَكُنْتُ أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا وَقَدْ أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ وَقَحْطٌ مِنَ الْغَيْثِ، وَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُغِيثُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ.

قَالَ: فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِلَى رَجُلٍ جَانِبَهُ أُرَاهُ عُمَرُ؟ [كأنه يسأله هل بقي من مال لنبعث لهم؟]

فَقَالَ: مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا؟

فَقَالَ: لَا يَا يَهُودِيُّ! وَلَكِنْ أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا وَلَا أُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ.

قُلْتُ: نَعَمْ، فَبَايَعَنِي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي [كيس للنفقة يُشدُّ في الوسط] فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ، وَقَالَ: اعْجَلْ عَلَيْهِمْ وأَغِثْهُمْ بِهَا.

قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِه وسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ! حَقِّي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ؟!

قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟! فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ [وهو الدَّين الذي على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم] لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ.

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ: إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ؛ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ [طلب الدَّين]، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ.

قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ.

فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟!

قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ.

فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟

قَالَ: لَا، فَمَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ.

قَالَ: الْحَبْرُ؟!

قُلْتُ: نَعَمْ الْحَبْرُ.

قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مَا قُلْتَ وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ؟

فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثنتين لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم نَبِيًّا، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي–فَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالًا– صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ كُلَّهُمْ.

قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مَشَاهِدَ كَثِيرَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غَيْرَ

مدبرًا[1].

ومن شواهد وجوب الوفاء مع المحاربين إذا أعطوا الأمان من فعل السلف ما سيأتي من أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أمر بالقصاص ممن قتلَ محارباً قد أعطي الأمان[2].

١٣.الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت.

قال الله تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦١} [الأنفال].

غاية الجهاد هو هداية الناس إلى الله تعالى، فالجهاد يعمل على إزالة الحواجز البشرية لتبليغ دين الله تعالى، فإذا وجدت وسيلة أخرى لتبليغ دين الله تعالى قُدِّمَت على الجهاد، وهذه الوسيلة كالصلح مع العدو مقابل نشر الدعوة في بلاده مثلاً، كما أشارت إلى ذلك الآية السابقة، وبعدها سيتعرف الكافر على الدين سلمِيًّاً بدل أن يأتيه الجهاد فيتعرف على الإسلام بواسطة القهر والغلبة.

فإذا تم العهد حَرُم نقضه، قال الله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٩١} [النحل].

والشواهد من السنة على وجوب الالتزام بالعهود والمواثيق مع العدو،

---

(١) صحيح ابن حبان رقم ٢٨٨.

(٢) راجع موطأ الإمام مالك رقم١٦٣٠.

بل ومد يد المسالنة له كثيرة، ومنها ما رواه البخاري رحمه الله عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، أنهما قَالاَ فِي قصة صلح الحديبية:.. قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا..

إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا [أي استراحوا من جهد الحرب]، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي [مُقَدَّم العنق]، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ..

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

فَقَالَ المسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.

ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لاَ تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ.

فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟..[1].

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ، النِّصْفُ فِي صَفَرٍ، وَالنِّصْفُ فِي رَجَبٍ، يُؤَدُّونَهَا إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَعَارِيَةِ ثَلَاثِينَ دِرْعًا، وَثَلَاثِينَ فَرَسًا، وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا، وَثَلَاثِينَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ السِّلَاحِ يَغْزُونَ بِهَا ضَامِنُونَ لَهَا حَتَّى يَرُدُّوهَا عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ بِالْيَمَنِ كَيْدٌ، عَلَى أَنْ لَا تُهْدَمَ لَهُمْ بَيْعَةٌ، وَلَا يُخْرَجُ لَهُمْ قَسٌّ، وَلَا يُفْتَنُونَ عَنْ دِينِهِمْ، مَا لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا أَوْ يَأْكُلُوا

(١) رواه البخاري رقم٢٧٣١.

الرِّبَا[1].

١٤.قبول جوار غير المسلم.

قال الله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ٦} [التوبة].

بموجب الأمر الإلهي السابق أنه إذا طلب غير المسلمين الأمان منهم للدخول في بلاد المسلمين، فإنه جوز أن يعطيهم ولي أمر المسلمين أو أحد من المسلمين هذا الأمان؛ لما في إعطائه الأمان من تعلمه للدين، وترغيباً له في الدخول فيه.

وهذا الخُلُق الدعوي له أمثلة كثيرة في السيرة النبوية وفي حياة السلف الصالح، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ ﵂ أنها قالت: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَامَ الفَتْحِ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ.

قَالَتْ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟

فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ: مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، مُلْتَحِفًا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي [علي بن أبي طالب] أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً

---

(١) سنن أبي داود رقم ٣٠٤١.

قَدْ أَجَرْتُهُ، فُلاَنَ ابْنَ هُبَيْرَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ.

قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ: وَذَاكَ ضُحًى[1].

١٥. حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان.

قال الله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٩١} [النحل].

هذه الآية تدل على أنه لا يجوز التعرُّض للكافر بقتل أو سلبٍ أو سبٍّ أو غدرٍ إذا حصلَ على أمانٍ مِنْ أحد المسلمين.

وينوب عن هذا اليوم أخذ تأشيرة الدخول إلى البلاد المسلمة فإنه بمثابة أخذ الأمان من وليّ الأمر.

ودليل ذلك أيضاً ما رواه مسلم عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ أنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..[2].

---

(١) رواه البخاري رقم٣١٧١، ومسلم رقم١١٧٩.

(٢) رواه مسلم رقم٣٢٦١.

وروى مالك رحمه الله تعالى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَتَبَ إِلَى عَامِلِ جَيْشٍ، كَانَ بَعَثَهُ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يَطْلُبُونَ الْعِلْجَ [المشرك غير العربي]، حَتَّى إِذَا أَسْنَدَ فِي الْجَبَلِ وَامْتَنَعَ، قَالَ رَجُلٌ: مَطْرَسْ (يَقُولُ: لَا تَخَفْ) فَإِذَا أَدْرَكَهُ قَتَلَهُ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَعْلَمُ مَكَانَ وَاحِدٍ فَعَلَ ذَلِكَ، إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ(١).

ومن الأدلة على حرمة الغدر ما تقدم معنا أيضاً مما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن سُلَيْم بن عَامِرٍ أنه قال: كان بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وبَيْنَ أهلِ الرّومِ عَهْدٌ، وكانَ يَسِيرُ في بِلاَدِهم، حتى إذا انْقَضَى العَهْدَ أغَارَ عليهمْ، فإذا رَجُلٌ على دَابة أو على فَرَسٍ وهو يقولُ: الله أكْبَرُ وَفَاءٌ لاَ غَدْرٌ، وإذا هُوَ عَمْرو بن عَبَسَةَ.

فَسَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ عن ذلكَ، فقالَ سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَقُولُ: مَنْ كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فلا يَحُلّنّ عَهْداً ولا يَشُدّنّهُ حتّى يَمْضِيَ أمَدُهُ أو يَنْبِذَ إليهِم عَلَى سَوَاء.

قال: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ ﷺ بالناسِ(٢).

١٦. الرفق بالعدو إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده.

قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧} [الأنبياء].

قبل أن يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائدا عسكرياً لا

---

(١) موطأ الإمام مالك رقم١٦٣٠.

(٢) سنن الترمذي رقم١٥٨٣.

مثيلَ له بين قادة العالم في الإدارة العسكريَّة، ذات الأبعاد الإنسانية كان نبياً مرسلاً، فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرحمة المهداة؛ رحمة بالمسلم وغير المسلم، ورحمة بالبيئة بما فيها من حيوان وشجر وحجر.

فالحرب عنده صلى الله عليه وعلى آله وسلم لها بعد إنساني، وهو الحفاظ على النفس البشرية ما أمكن إلى ذلك سبيلا، كما قال الله تعالى: {..فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء.. ٤} [مُحَمَّد].

والهدف منها هو نشر دين الله تعالى، فلعلَّ الله يهدي النفس غير المسلمة إن تقادم بها العهد.

ومن شواهد ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ سَلَمَةَ بن الأَكْوعِ ﷺ أنه قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ المدِينَةِ ذَاهِبًا نَحْوَ الغَابَةِ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةِ الغَابَةِ، لَقِيَنِي غُلاَمٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قُلْتُ: وَيْحَكَ مَا بِكَ؟

قَالَ: أُخِذَتْ لِقَاحُ[1] النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ[2].

---

(١) اللقاح جمع لِقحة (بكسر اللام وفتحها) ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.
هدف الغزوة ملاحقة عُيينة بن حِصْن الفزاري، الذي أغار على لقاح (الناقة التي لها لبن) النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي بالغابة، فاستاقها وقتل راعيها.

(٢) هذه الغزوة هي غزوة ذي قَرَدٍ وتسمى غزوة الغابة، وكانت ربيع الأول سنة ٦ من الهجرة، ومكان الغزوة في منطقة الغابة، شمال غرب المدينة والتي تبعد عن المدينة المنورة نحو ٢٥كم، مقابل مفرق أبي الدود وقبيل سد الغابة بـ١كم.

قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟

قَالَ: غَطَفَانُ، وَفَزَارَةُ[١] فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ أَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا[٢]: يَا صَبَاحَاهْ يَا صَبَاحَاهْ[٣]، ثُمَّ انْدَفَعْتُ حَتَّى أَلْقَاهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوهَا، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ، وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ ... وَاليَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ[٤].

فَاسْتَنْقَذْتُهَا[٥] مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبُوا، فَأَقْبَلْتُ بِهَا أَسُوقُهَا، فَلَقِيَنِي النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ القَوْمَ عِطَاشٌ، وَإِنِّي أَعْجَلْتُهُمْ [أي منعتهم] أَنْ يَشْرَبُوا سِقْيَهُمْ، فَابْعَثْ فِي إِثْرِهِمْ؟

فَقَالَ: يَا ابْنَ الأَكْوَعِ: مَلَكْتَ، فَأَسْجِحْ إِنَّ القَوْمَ يُقْرَوْنَ فِي

الاحداثيات: "٢١.١٨٬٣١٬٣٩° ١٤.٥٠٬٣٧٬٢٤°

(١) هما قبيلتان من العرب وكان رأس القوم الذين أغاروا عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان في خيل من غطفان. عمدة القاري ٢٨٥/١٤.

(٢) أي حرتيها الشرقية والغربية، والمدينة بينهما وهو حد للحرم من المشرق والمغرب. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ٢٢/١.

(٣) يا صباحاه: هو منادى مستغاث والألف للاستغاثة، والهاء للسكت، وكأنه نادى الناس استغاثة بهم في وقت الصباح. فتح الباري ١٦٤/٦.

(٤) يعني: يوم هلاك اللئام. عمدة القاري ٢٨٦/١٤.

(٥) أي استخلصتها منهم.

قَوْمِهِمْ[1].

(فأسجح) معناه فأحسن وارفق، والسجاحة: السهولة: أي لا تأخذ بالشدة، بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو.

١٧. عرض الإسلام العملي على الأسير.

في كثير من الأحيان يكون الجدال في سبيل الدعوة غير مجدٍ، حتى يترافق معه العمل، لذا ندب الله تعالى الإحسان إلى الأسير بالإطعام والشراب والمعاملة الحسنة، وحينئذ سيرى النموذج العملي في هداية الناس، قال الله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا٨} [الإنسان]، وبهذا يعلم الأسير مدى حرص الإسلام على هدايته.

ومن عظيم فضل الله تعالى على الأسرى غير المسلمين أنه فتح لهم باب الخيرية في الدنيا والآخرة، وأنه سيعوضهم ما فقدوه إنْ هم آمنوا بالله تعالى، قال تعالى أيضاً: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٠} [الأنفال].

ومن شواهد إحسان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإكرام الأسرى ما رواه الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قال: بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ من بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ له:

(١) البخاري رقم٣٠٤١، ومسلم رقم ١٣٠٦.

ثُمَامَةُ بن أُثَالٍ[1] فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ من سَوَارِي الْمَسْجِدِ.

فَخَرَجَ إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟

فقال: عِنْدِي خَيْرٌ يا مُحَمَّد؛ إن تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ منه ما شِئْتَ.

فَتُرِكَ حتى كان الْغَدُ، ثُمَّ قال له: ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟

قال: ما قلت لك: إن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حتى كان بَعْدَ الْغَدِ، فقال: ما عِنْدَكَ يا ثُمَامَةُ؟

فقال: عِنْدِي ما قلت لك؟

فقال: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ، فَانْطَلَقَ إلى نخل قَرِيبٍ من الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دخل الْمَسْجِدَ، فقال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ،

---

(١) اسم السرية التي أُسِر فيها ثُمامة سرية مُحَمَّد بن مَسْلَمة إلى القُرَطاء، وكانت في المحرم ٦هـ.
والقُرَطاء (هم بطون من بني بكر من قيس عيلان) وكانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية، شرق المدينة بنحو ٥٥٠ كم، وهم في شرق جنوب الضرية بنحو ٢٦ كم، عند هضبات البكري، قريبة من قرية حديجة وحليوه.
وكان بنو القُرَطاء من القبائل النجدية التي أعانت قريشاً على حرب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الأحزاب، وهم ممن لا يترك أي فرصة يجدونها للكيد بالمسلمين.

الاحداثيات: "٣٥.٦٩'١٢°٤٣ "٣٥.٥٨'٣٥°٢٤ .

يا مُحَمَّد! والله ما كان على الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إلي من وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إليَّ، والله ما كان من دِينٍ أَبْغَضَ إليَّ من دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إليَّ، والله ما كان من بَلَدٍ أَبْغَضُ إليَّ من بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إلي، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وأنا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟

فَبَشَّرَهُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ.

فلما قَدِمَ مَكَّةَ قال له قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟!

قال: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مع مُحَمَّدٍ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا والله لَا يَأْتِيكُمْ من الْيَمَامَةِ[1] حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حتى يَأْذَنَ فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2].

١٨.رعاية حق الرَّحِم.

قال الله تعالى: {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥} [لقمان].

---

(١) اليمامة كان إقليما كبيراً ، وله بلدة ما زالت معروفة باسم "اليمامة" في منطقة الخرج في السعودية.

الاحداثيات: "٢٤°١٠'٤٥.٧٣ "٤٧°١٩'٢٢.١٠

(٢)صحيح البخاري رقم ٤١١٤، صحيح مسلم رقم١٧٤٦.

هذه الآية أصل عظيم في الإحسان للوالدين، وما يلوذ بهما من الأرحام، وهي عامة في جميع الأحوال والأزمان، في السِّلْمِ والحرب، والمَنْشَطِ والمَكْرَه.

لذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبعث في سراياه مَنْ هم أدرى بالمنطقة المبعوث إليها، ومِمَّنْ لهم قرابات بهم، فهم أدرى بهم؛ لدعوتهم إلى الإسلام بالدرجة الأولى، وأرأف بهم من درجة ثانية، وللخبرة القتالية معهم إن لزم الأمر.

ومن ذلك أنه بعث جيشاً بقيادة الضَّحَّاك بن سُفْيان بن عَوْف بن أبي بكر الكِلابي، إلى بني كلاب[1] ومعه الأَصْيَدُ بن سلمة بن قُرَط، فلقوهم فدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزم المسلمون المشركين، فلحق الأَصْيَدُ أباه سَلَمَة وكان مشركاً، وسلمة على فرس له إلى غدير الماء (البحيرة الصغيرة)، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسبَّ دينه، فضرب الأَصْيَدُ عرقوبي فرس (طرف الأرجل) أبيه، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء، كي يبقى أباه في مكانه، حتى جاءه أحدهم

(١)سرية الضحَّاك بن سفيان إلى القُرَطاء إلى بني كلاب، وكانت في ربيع الأول سنة ٩هـ، وكانت منطقة القُرَطاء تقع في نواحي قرية ضَرِيَّة، وهي في شرق المدينة بنحو ٥٥٠كم.

الاحداثيات: "٣٥.٦٩'١٢°٤٣ "٣٥.٥٨'٣٥°٢٤ .

فقتل أباه، ولم يقتل الأَصْيَدُ أباه؛ سلمة[1].

وبناء على ذلك يكره للرجل المؤمن أن يقتل أباه الكافر إن حدث بين أهل الإيمان والكفر قتال، بل يتجنبه إكراماً لحق الأُبُوَّة.

١٩. تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب.

أوجب الله تعالى الإحسان إلى المشركين الذين ما لم يناصبونا العداء والإيذاء، ومن جملة الإحسان ردُّ الحقوق إليهم، قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨} [الممتحنة].

ثم أوجب الله تعالى الدية على المسلمين إن قتلوا أحداً من المشركين خطأ أداء الدية لهم، فلا يُهْدر دمٌ في الإسلام بِظُلْم، ولو كان صاحب الدم مشركاً، قال تعالى: {..فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٩٢} [النساء].

ولا يقتصر الأمر على أداء الدية إنْ ترتب لهم حقٌّ بها، بل يشمل جميع الحقوق المادية والمعنوية، وقد مرَّ معنا ما يشهد لهذا من رواية أبي داوود السابقة عن صَفْوَانِ بنِ سُلَيْمٍ عن بعض الصحابة أن رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: ألا من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ

(١) الطبقات الكبرى ١٦٢/٢.

طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ[١].

وروى الواقديُّ رحمه الله وغيره أنه أقبل عمرو بن أُمَيّةَ الضِمْرِي مِنْ بِئْرِ مَعُونَةَ[٢] حَتّى كَانَ بِقَنَاةٍ[٣]، فَلَقِيَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَنَسَبَهُمَا فَانْتَسَبَا،

---

(١) رواه أبو داود رقم٣٠٥٢.

(٢) سرية بئر مَعُونة، كانت بقيادة المنذر بن عمرو الساعدي ﷺ، في صفر ٤هـ.

ويقع بئر معونة بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيْم، ولعله في جنوب الحناكية بنحو ٧٠كم للمتجه لمهد الذهب، غرب قرية أم شكاعا.

وملخصها: جاء أبو براء عامر بن مالك المدعو بمُلاَعِب الأسِنَّة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة المنورة، فدعاه إلى الإسلام فلم يُسْلِم ولم يظهر عداوة للإسلام، بل بدت منه شيء من المودة للمسلمين، فقال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نَجْد يدعونهم إلى دينك لرجوتُ أنْ يُجيبوهم، فقال: ((إني أخاف عليهم أهل نجد))، فقال أبو بَرَاء: أنا جَارٌ لهم [أحميهم]، فبعث معه أربعين أو سبعين رجلاً، وأَمَّر عليهم المنذر بن عمرو السَّاعدي، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وقرائهم، فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة، فاستنفر عدو الله عامر بن الطُّفَيْل بني سُليم لقتل القراء، فأجابته قبيلة عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوان، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار، فإنه أصابته جراح كثيرة من بين القتلي، لكن لم يقتل، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق.

الاحداثيات: "٢٤°١٨'٥٧.٠٣"٤٠°٤٢'٢٣.٤٣.

(٣)وَهُوَ وَادٍ فَحْلٌ يَسْتَسِيلُ مَنَاطِقَ شَاسِعَةً مِنْ شَرْقِ الْحِجَازِ، تَصِلُ إِلَى مَهْدِ الذَّهَبِ جَنُوبًا، وَإِلَى أَوَاسِطِ حَرَّةِ النَّارِ «حَرَّةِ خَيْبَرَ الْيَوْمَ» شَمَالًا، وَبَيْنَهُمَا قَرَابَةُ ٢٠٠كم، أَمَّا مِنْ الشَّرْقِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ

فَقَابَلَهُمَا، حَتّى إِذَا نَامَا وَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا.

ثم خرج حتى وَرَدَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ مِنْ سَاعَتِهِ فِي قَدْرِ حَلْبِ شَاةٍ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ: بِئْسَ مَا صَنَعْت، قَدْ كَانَ لَهُمَا مِنّا أَمَانٌ وَعَهْدٌ!

فَقَالَ: مَا شَعَرْتُ، كُنْت أَرَاهُمَا عَلَى شِرْكِهِمَا، وَكَانَ قَوْمُهُمَا قَدْ نَالُوا مِنّا مَا نَالُوا مِنْ الْغَدْرِ بِنَا.

وَجَاءَ بِسَلَبِهِمَا، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ فَعُزِلَ سَلَبُهُمَا حَتّى بُعِثَ بِهِ مع ديتهما.

وذلك أنّ عامر بن الطُّفَيْلِ بَعَثَ إلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ: أنّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِك قَتَلَ رَجُلَيْنِ مِنْ قَوْمِي، وَلَهُمَا مِنْك أَمَانٌ وَعَهْدٌ، فَابْعَثْ بِدِيَتِهِمَا إلَيْنَا.

فَسَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ إلَى بَنِي النّضِيرِ يَسْتَعِينُ فِي دِيَتِهِمَا، وَكَانَتْ بَنُو النّضِيرِ حُلَفَاءَ لِبَنِي عَامِرٍ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ يَوْمَ السّبْتِ فَصَلّى فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ وَمَعَهُ رَهْطٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، ثُمّ جَاءَ بَنِي النّضِيرِ

مِيَاهَ الرَّبَذَةِ وَرَحْرَحَانَ وَالشَّقْرَانِ، عَلَى قَرَابَةِ ١٥٠كم، مِنْ الْمَدِينَةِ، وَلَهُ رَوَافِدُ كِبَارٌ، مِنْهَا: وَادِي نَخْلٍ وَوَادِي الشُّعْبَةِ، وَالْعَقِيقِ الشَّرْقِيِّ، وَأَوْدِيَةٌ فُحُولٌ غَيْرُهَا، وَيَمُرُّ قَنَاةُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَجبل أُحُدٍ.. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٣٨٥.

فَيَجِدُهُمْ فِي نَادِيهِمْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَكَلّمَهُمْ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يُعِينُوهُ فِي دِيَةِ الْكِلَابِيّيْنِ اللّذَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيّةَ.

فَقَالُوا: نَفْعَلُ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا أَحْبَبْت.

ثم تآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بطرح حجر عليه، فكان هذا سبباً في غزوة بني النَّضِير(١) وإجلائهم عن المدينة المنورة(٢).

٢٠.حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حق.

قال الله تعالى: {..وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢} [المائدة].

حرَّم الإسلام الاعتداء على البيئة وعلى البشر بكل أنواع الاعتداء، من إتلاف للزروع والثمار وتخريب الأرض وقتل الحيوان، لأن هذه الأمور سبب لنماء البشر، وأوعد على من فعل ذلك بنار جهنم، قال الله تعالى: {..وَإِذَا

---

(١) غزوة بني النَّضِير كانت في ربيع الأول سنة ٤هـ، وكان يسكن بنو النضير حسب تخطيط اليوم في أواخر منطقة القربان، ما بين مسجد الشمس إلى قصر كعب بن الأشرف، ومسجد الشمس أو مسجد الفضيخ، يقع شرقي مسجد قباء، ويبعد عنه نحو ٨٠٠م.

الاحداثيات: "٣٩°٣٧'٢٦.٣٨ ٢٤°٢٦'١٧.٩٩" .

(٢) مغازي الواقدي ١/ ٣٦٣، سبل الهدى والرشاد ٤٤٩/٧.

تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ٢٠٥} [البقرة].

وروى أبو داود وغيره عن عبدِ الله بنِ حُبْشِيٍّ ﷺ أنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّب اللهُ رأسَهُ في النارِ(١).

والسِّدْرُ شَجَرُ النَّبِقِ، الواحدة: سِدْرَة، وقيل: هو السَّمُر.

ومعنى هذا الحديثِ، أن مَنْ قَطَع سدرةً في فلاةٍ يَستظِل بها ابنُ السبيلِ والبهائمُ، عَبَثاً وظُلماً بغير حَقٍ يكونُ له فيها، صوَّبَ اللهُ رأسَه في النار.

ومن الشواهد على حرمة الاعتداء على الحيوانات من السيرة العطرة ما رواه أبو داود وغيره عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: كنَّا مع رسولِ الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– في سَفَرٍ، فانطلقَ لِحاجَتِه، فرأينا حُمَّرَةً [الطائر الصغير] معها فَرْخَانِ، فأخذنا فَرْخَيْهَا، فجاءتِ الحُمَّرَةُ، فجعلت تُعَرِّشُ [ترفرف فوقهم].

فجاء النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: مَنْ فَجَعَ هذهِ بولدِها؟! رُدُّوا ولدَها إليها.

ورأى قَرْيَةَ نملٍ قد حَرّقْنَاهَا، فقال: من حَرَّقَ هذه؟!

قلنا: نحن.

---

(١) سنن أبي داود رقم٥٢٣٩.

قال: إنهُ لا ينبغِي أن يُعذَّبَ بالنار إلا رَبُّ النارِ[1].

ولا تتوقف حدود العمل بهذه القاعدة في جميع أحول المسلمين، لا من حيث الزمان ولا المكان، وحتى في وقت الحرب، هذا هو الأصل العام الذي يجب أن يتخلَّق به كل مسلم.

وقد أباح الإسلام قطع الأشجار للعدو في حدود ضيقة؛ لمصلحة التغلب عليه، قال الله تعالى: {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ٥} [الحشر].

وقد نزلت هذه الآية في بني النَّضير، حيث أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قطع أشجار النخيل عندهم.

ومعنى الآية ما قطعتم –أيها المؤمنون– من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فبإذن الله وأمره؛ وليُذلَّ الله بذلك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلَّطكم على قطع نخيلهم وتحريقها وفي ذلهم كسرٌ لشوكتهم، والانتصار عليهم.

وفعل هذا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيضاً في غزوة خيبر وغزوة الطائف، وقد ناشدوه في تركها إما لله أو للرحم، فترك قطعها صلة للرحم[2].

---

(١) سنن أبي داود رقم٥٢٦٨.

(٢) مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٨.

الفصل الثاني: منطلق المجلس العسكري

٢١. الشورى.

٢٢. رسم الخطة الحربية.

٢٣. الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية.

٢٤. تعزيز القيم الحضارية.

٢٥. اختيار القادة.

٢٦. لغة المحبة بين القائد وجنده.

٢٧. بين المركزية واللامركزية في القيادة العسكرية.

٢٨. صلاحية ولي الأمر في الأسرى.

٢٩. السمو الأخلاقي مع الجند.

٣٠. العناية بأُسرِ الشهداء.

٣١. رعاية الحالة النفسية عند الجنود.

٣٢. المكافأة المادية للجند.

٣٣. المكافأة المعنوية للجند.

٣٤. وجوب طاعة القائد.

٣٥. تعويض الحقوق المعنوية للجند.

٣٦. الاهتمام بفك أسرى المسلمين.

٣٧. التربية البدنية للجنود.

٣٨. تأمين رسل العدو.

٣٩. الموازنة بين المرونة والحزم.

٤٠. العدل بين جند المسلمين.

٢١.الشورى.

قال الله تعالى: {..وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ..١٥٩} [آل عمران].

لقد كانت المشورة عند النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كثيرة جداً في تخطيطه الاستراتيجي في قيادة المعارك، عملاً بقول الله تعالى السابق؛ لما فيها من جمع الرأي على كلمة واحدة، واستخلاص الحل الأمثل، والاستيثاق من الإقدام في القتال..

ومن الأمثلة على استنهاض الهمم في المشورة ما حدث في بداية غزوة بدر كما أخرجه ابن حبان رحمه الله عَنْ أَنَسٍ ﷺ أنه قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، يَوْمَ سَارَ إِلَى بَدْرٍ، فَجَعَلَ يَسْتَشِيرُ النَّاسَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يَسْتَشِيرُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: وَاللَّهِ مَا يُرِيدُ غَيْرَنَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَرَاكَ تَسْتَشِيرُ، فَيُشِيرُونَ عَلَيْكَ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا}، وَلَكِنْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا [أي سرت بالإبل]، حَتَّى تَبْلُغَ بَرْكَ الْغِمَادِ كُنَّا مَعَكَ(١).

---

(١) صحيح ابن حبان رقم ٤٧٢١.

واختلفوا في «الغماد» فقالوا: إنه موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن.

ويبدو أنها أمكنة متعددة ينطبق عليها وصف واحد، إما الوعورة، وإما البعد والوعورة. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص: ٤٧).

ومن مشورة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في اختيار المكان الأنسب ما ذكره ابن هشام وغيره في غزوة بدر أَنّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

قَالَ: بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلِ فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرّأْيِ[1].

ومن الشواهد على المشورة في غزوة الحديبية[2] ما أخرجه أحمد رحمه الله عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بَنِ الْحَكَمِ، يُصَدّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ زَمَانَ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠.

(٢) غزوة الحُدَيْبِيَة كانت في ذي القعدة سنة ٦هـ، والحُدَيبية قرية تبعد عن مكة نحو ٢٢كم، على طريق مكة جدة القديم، سميت ببئر فيها، بعضها بالحرم وبعضها خارجه، وتعرف الحديبية اليوم باسم الشُّميسي.

الاحداثيات: "٣٩°٣٧'٣٢.١٢ ٢١°٢٦'٣٠.٩٤" .

الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَسَارَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ[1] قَرِيبٌ مِنْ عُسْفَانَ[2]، أَتَاهُ عَيْنُهُ الْخُزَاعِيُّ[3]، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ قَدْ جَمَعُوا لَكَ.. الْأَحَابِيشَ وَجَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ.. أَوْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ.

---

(١) غدير الأشطاط لعله ما يعرف اليوم باسم الوطية حسبما توصل إليه الأستاذ عبد الشايع، [موقع أشراف الحجاز] ويبعد عن مكة نحو ٧٠كم على اليمين للمتجه منها إلى عُسفان شمال غرب قرية الشامية، وقبيل عُسفان (أو بئر التفلة) بنحو ١٤كم.

الاحداثيات: "٣٥.٨٦'٢٦°٣٩"٢٣.٨٣'٥٣°٢١ .

(٢) عُسفان قرية على ٨٠ كم من مكة شمالًا على طريق المدينة المنورة، ومن جدة نحو ٥٠كم، ومن أشهر ما فيها بئر التفلة.

"٥٠.١١'٢١°٣٩"٠٠.٢٦'٥٥°٢١ .

(٣) واسمه بُسْرُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ الْخُزَاعِيّ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقَاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: فَرُوحُوا إِذًا.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم[1].

هذا ومن أجمل ما في تميز به المجلس العسكري الشوري عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه متعدد الاتجاهات والتخصصات، ويحتوي في بعض أحيانه على خصوم حقيقين، يقوم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أخذ رأيهم، والعبرة في ذلك كشف الستار عن نواياهم علناً، ومعرفة الدور الذي سيأخذونه في قابل الأيام، ولا مانع من الاستفادة من رأيهم، فقد يقول الخصم كلمة سوء تكون خيراً في حقك.

ومن ذلك أن المجلس الشوري العسكري قبيل غزوة أحد كان يضم زعيم المنافقين عبد الله بن أبي ابن سَلُول، ولا يخفى على مسلم مدى عداوته للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وللمسلمين، لكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعامله بحسب الظاهر.

واللافت للانتباه أن رأي ابن سلول كان يتطابق مع رأي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في أن لا يخرج المسلمون لقتال المشركين، بل يقاتلونهم بالمدينة نفسها، لكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ترك رأيه

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٨٩٢٨.

الشخصي، ورأي ابن سلول لقول الأكثرية وهو الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة.

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتوقع منه الخذلان، والانسحاب، وفعلاً انسحب بثلث الجيش؛ لِمَا له من مكانة كبيرة بين قومه، ولم يضرَّ النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا الانسحاب، بل الذي غير موازين معركة أحد هو ترك الرماة أماكنهم على جبل الرماة[1].

٢٢.رسم الخطة الحربية.

قال الله تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١} [آل عمران].

كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ما يبدأ حرباً إلا ويرسم لها خطة، فيضع الخطة العسكرية القتالية، والميزانية الاقتصادية لها، ويحدد الوقت الزماني، والوجهة المكانية، ويستشير أصحابه، ويختار منهم مَنْ هو الأعرف في تخصصه، ويحدد مهمة كل شخص، ويخطط للنصر، ويخطط لتلافي الهزيمة لو قُدرت، ويتعرف على مواقع العدو ويتوخى الحيطة والحذر، ويعمل على تقدير عدة العدو وعتاده، ويختار أنسب الظروف الجوية من اعتدال الجو وغيره، ويبعث الجواسيس إلى عدوه، ويتابع الأخبار الصادرة والواردة عن الجيش، ويرسم خطة لقطع المدد عن الأعداء، ويعيّن القادة في الجيش، ويحدد حامل اللواء، ويضع السلاح المناسب في المكان المناسب

(١) يراجع الروض الأنف ٢٤٣/٣.

والوقت المناسب، ويستنهض الهمم..

ومن الشواهد على ذلك ما حدث في بداية غزوة أحد عندما جاءت قريش ونَزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَل مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ(١).

فقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إنِّي قَدْ رَأَيْت وَاَللهِ خَيْرًا، رَأَيْت بَقَرًا، وَرَأَيْت فِي ذُبَابِ سَيْفِي[حده] ثُلْمًا، وَرَأَيْت أَنِّي أَدْخَلْت يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتهَا: الْمَدِينَةَ..

فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا، وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَلّا يَخْرُجَ إلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ.

فَقَالَ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِمّنْ أَكْرَمَ اللهُ بِالشّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِ

---

(١) عَيْنين: تثنية عين، اسم من أسماء جبل أحد، أو اسم مكان قريب منه، ومكان نزول أبي سفيان في بطن الصَّمْغَة (والبعض يقول السبخة) من طرف وادي قناة، وهو واد يمر من جنوبي جبل أحد باتجاه الغرب، قال بعضهم وتعرف اليوم بالعيون، وهي أرض كانت كثيرة العيون والنخل. يراجع معجم البلدان ٣/ ٤٢٤، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص١٦٢، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ص ٣٢٦.

المحل التقريبي لمكان نزول أبي سفيان: "٣٩°٣٥'١٥.١٤ "٢٤°٣٠'٤٧.٦٠

مِمّنْ كَانَ فَاتَهُ بدْرٌ: يَا رَسُولَ اللهِ اُخْرُجْ بِنَا إلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنّا جَبُنّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا.

فَقَالَ ابْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ لَا تَخْرُجْ إلَيْهِمْ قَطّ إلّا أَصَابَ مِنّا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إلّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرّ مَحْبِسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمْ الرّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ، وَرَمَاهُمْ النّسَاءُ وَالصّبْيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاؤوا.

فَلَمْ يَزَلِ النّاسُ بِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الّذِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ حُبّ لِقَاءِ الْقَوْمِ حَتّى دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بَيْتَهُ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَذَلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَغَ مِنْ الصّلَاةِ..

ثُمّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَدِمَ النّاسُ وَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَكْرَهْنَاك وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْت فَاقْعُدْ صَلّى اللهُ عَلَيْك.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيّ إذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ [الدرع] أَنْ يَضَعَهَا حَتّى يُقَاتِلَ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.

حَتّى إذَا كَانُوا بِالشّوْطِ[1] بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ

(١) الشوط: مَكَان بَيْنَ وَادِي قَنَاةَ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مِنْ شَرْقِيّ السَّبْخَةِ، وَمِنْ أَسْفَلِ الْحَرَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَهُنَاكَ كَانَ يَجْرِي سِبَاقُ الْخَيْلِ، وَلَعَلَّ لِهَذَا الِاسْمِ عِلَاقَةٌ بِهِ، وَلَمْ يَعُدْ الِاسْمُ مَعْرُوفًا الْيَوْمَ.. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص١٢٠.

أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ بِثُلُثِ النّاسِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي، مَا نَدْرِي عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيّهَا النّاسُ، فَرَجَع بِمَنْ اتّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النّفَاقِ وَالرّيْبِ.

واتّبَعَهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمِ أُذَكّرُكُمْ اللهَ أَلّا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبيّكُمْ عندما حَضَرَ عَدُوّهُمْ!

فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنّا لَا نَرَى أَنّهُ يَكُونُ قِتَالٌ.

قَالَ: فَلَمّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إلّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ قَالَ: أَبَعْدَكُمْ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيّهُ[1].

وقال ابن هشام أيضاً أثناء حديثه عن غزوة أُحد: ..ومضى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حتى نزلَ الشِعب[2] منْ أُحدٍ، في عدوة

قلت: لعل الشوط يعرف اليوم بالشيخين، وهو على منتصف الطريق بين المسجد النبوي وأحد، وللنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مسجد صلى فيه يسمى مسجد الدرع وموجود إلى الآن، ومن قريب هذا المكان بدأ حفر الخندق، وهذا الطريق حافظ على بقائه، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسلكه. ويراجع موقع طيبة نت.

الاحداثيات: "٢٤°٢٩'٢١.٨٨ "٣٩°٣٦'٣١.٨٠

(١) الروض الأنف ٣/٢٤٣.

(٢) الشعب في جبل أحد

الاحداثيات: "٢٤°٣٠'٤٢.١٢ "٣٩°٣٦'٤٦.٩٢ .

الوادي[١] إلى الجبل، فجعلَ ظهره وعسكرهُ إلى أحدٍ، وقال: لا يقاتلنَّ أحدٌ منكمْ حتى نَأمرَه بالقتال.

وأمَّر على الرماةِ عبدَ اللهِ بنَ جُبيرٍ، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثيابٍ بيضٍ، والرماةُ خمسونَ رجلاً، فقال: انضحِ الخيلَ عنَّا بالنبلِ، لا يأتُونا من خلْفِنا إن كانتْ لنا أو علينا، فاثبتْ مكانَك لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِكَ[٢].

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل جبل أحد على يمينه ومن خلفه، وجبل الرماة على يساره ويوجد خلف جبل الرماة وادي ، واستطاع خالد بن الوليد (قبل إسلامه) بعد قتل ما بقي من الرماة_ الاستدارة من خلف جبل الرماة؛ لضرب المسلمين من الخلف، ويمكن مراجعة بعض الصور الواقعية لغزوة أحد من كتابي "مصور غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة" وكذا مراجعة الصورة الخاصة بغزوة أحد في آخر الكتاب.

وسيأتي المزيد من الشرح على هذا عند الحديث عن قاعدة "التخطيط لتلافي الهزيمة إن حصلت والحرص على أرواح المقاتلين".

٢٣.الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية.

قال الله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ

---

(١) أي جانب الوادي.

(٢) سيرة ابن هشام ١٢/٤، يراجع القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ للدكتور عبد الله مُحَمَّد الرشيد ص٤٢٤.

الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٧ } [التوبة].

العبقرية الحربية تعني القدرة على تسيير الأمور القتالية في مسارها الصحيح بعد خروجها عن مسارها المتوقع، مع مراعاة جميع القدرات الذاتية والمعادية، والقدرة على تحقيق النصر باطناً وإن لم يتحقق ظاهراً، والأمثلة على استخدام النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ السياسة الحربية مع جيشه كثيرة، منها ما كان في صلح الحديبية كما تشير إليه الآية السابقة، ومنها ما رواه الشيخان رحمهما الله تعالى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلاَ نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: نَقْفُلُ، فَقَالَ: اغْدُوا عَلَى القِتَالِ.

فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم[1].

وَذَكَرَ أَهْل الْمَغَازِي أَنَّ النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لَمَّا اسْتَعْصَى عَلَيْهِ الْحِصْن، وَكَانُوا قَدْ أَعَدُّوا فِيهِ مَا يَكْفِيهِمْ لِحِصَارِ سَنَة، وَرَمَوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ سِكَك الْحَدِيد الْمُحَمَّاة، وَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَأَصَابُوا قَوْماً، فَاسْتَشَارَ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ نَوْفَل بْن مُعَاوِيَة الدِّيلِيّ فَقَالَ للنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: هُمْ ثَعْلَبٌ فِي جُحْر، إِنْ أَقَمْت عَلَيْهِ

(١) صحيح البخاري رقم ٤٣٢٥، صحيح مسلم رقم١٧٧٨.

أَخَذَتَهُ وَإِنْ تَرَكْته لَمْ يَضُرّك، فَرَحَلَ عَنْهُمْ، وقَالَ أَصْحَاب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَحْرَقَتْنَا نِبَالُ ثَقِيف فَادْعُ اللَّه عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا[1].

هذا ولم يتذكر رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إذايتهم له لما أتاهم قبل الهجرة، وكيف سلَّطوا عليه صبيانهم ومجانينهم، بل دعا لهم بالهداية وهذا أرقى أنواع العطف.

٢٤.تعزيز القيم الحضارية.

قال الله تعالى أيضاً: {..وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢} [المائدة].

وقال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨} [الممتحنة].

هذه الآيات من الآيات التي أصلت السلوك الحسن والخُلق الجميل مع غير المسلمين.

فقد كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ من أرفق الناس بعدوه إذا قدر عليه، وأول المواقف التي يعرفها الناس من النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ هي بُعْدُه عن نزعة الانتقام عندما عفا عن كفار قريش.

---

(١) فتح الباري ١٢/١٣٥.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ [يوم فتح مكة]، فَقَالَ لَا إلَهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلّ مَأْثُرَةٍ [مَا يُؤْثَرُ وَيُذْكَرُ مِنْ مَكَارِمِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّة وَمَفَاخِرِهِمْ] أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدَعّى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيّ هَاتَيْنِ، إلّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجّ[1]، أَلَا إنَّ قَتِيلَ الْخَطَأِ شِبْهِ الْعَمْدِ بِالسّوْطِ وَالْعَصَا، فَفِيهِ الدّيَةُ مُغَلّظَةً مِائَةٌ مِنْ الْإِبِلِ أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا.

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيّةِ وَتَعَظّمَهَا بِالْآبَاءِ، النّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣} [الْحُجُرَاتِ]..

ثُمّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! مَا تَرَوْنَ أَنّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟

قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطّلَقَاءُ[2].

٢٥. اختيار القادة.

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ

(١) سدانة البيت الشريف، أي تولية مفتاح بيت الله تعالى، والسقاية: إسقاء الحجيج كلهم الماء العذب، وهذا من الحجابة.

(٢) الروض الأنف ٢٣١/٧.

لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧} [البقرة].

هذه الآيات من أعظم الآيات التي تدل على وجوب اختيار القادة، وما يمتازون به من شجاعة وإقدام وحسن تدبير، وعِلم بالأمور العسكرية، فلا يجوز اختيار الجبناء ولا الجهلاء.

ويُعد اختيار القادة من أصعب المهمات العسكريَّة في إدارة المهام القتالية؛ لما له دور في نجاح المعارك.

وكان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يتخيَّر مِنْ أصحابه من هو أكفؤهم للمهمات الحربية، إذ لكل مهمة حربية عنده لها نوعية من القادة لا يصلح لها قائد آخر، لذا كثرت القادة عندهم وتنوعت مواهبهم القتالية.

وكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقبل المشورة ممن له الخبرة بالمواقع الاستراتيجية في الحرب كالحُبَاب بن المنْذِر ﷺ، ويختار السفراء مِمَّن لهم خبرة في مخاطبة الملوك؛ كالحارث بن عمير الأزدي ﷺ، فيضع الشخص المناسب في المكان المناسب والوقت المناسب.

ومن شواهد ذلك ما رواه البخاري رحمه الله عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ

اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ[1] زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي

---

(١) بلدة مؤتة تقع ضمن لواء المزار الجنوبي في محافظة الكرك في الأردن وتبعد عن مدينة الكرك مسافة ١٢ كم.

"٤٤.٥٠ ٤١'٣٥° ٣١° ٣'٥٧.٦٩"٣٥° .

وكانت سرية مؤتة في جمادى الأولى ٨هـ.

وملخصها: أنه بعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم بالشام، فلما نزل بمؤتة قتله شُرحبيل بن عمرو الغساني، وكان من أمراء هرقل على الشام، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك جهز جيشاً وعدته ثلاثة آلاف، وبعثهم إلى مقاتلة ملك الروم وأمَّر عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، وإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس، فمضوا حتى نزلوا من أرض الشام، فبلغ أن هرقل ملك الروم جهز مائة ألف من الروم، وانضم إليه من قبائل العرب المتنصرة من بني بكر ولخم وجذام مائة ألف أخرى، فالتقى الجمعان عند مؤتة، واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى قُتِل رضي الله تعالى عنه، فأخذ الراية جعفر رضي الله تعالى عنه وقاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره فقُطعت يساره، فاحتضن الرايةَ، حتى قُتل رضي الله تعالى عنه، فأخذها عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه وقاتل حتى قتل، ثم أخذها خالد رضي الله تعالى عنه وثبت جيش المسلمين، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما، واستطاع خالد ﷺ أن ينسحب بالجيش بذكاء بارع.

طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ[1].

وروى رواه مسلم رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين أمَّر أُسامة بَلَغَه أنَّ الناسَ يعيبون أسامةَ ويَطعنون في إمارته، فقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: إنكم تَعِيبُون أُسامةَ وتَطعنُون في إمارتِه، وقد فعلتُمْ- ذلك في أبيهِ من قَبْلُ، وإنْ كان لَخَليقاً للإمارةِ، وإنْ كانَ لأحبَّ الناسِ كلِّهم إليَّ، وإنّ ابنَهُ هذا بعدَه من أحبّ الناسِ إليَّ، فاستوصُوا بِهِ خَيراً، فإنه مِنْ خِيارِكُمْ[2].

وكان عدد قادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يزيد عن سبعة وأربعين قائداً؛ وتوزَّعت مهماتهم في السرايا على سبعين سرية، وهم:

أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبان بن سعيد، وابن أبي العَوْجاء السُّلَمي، وأبو حَدْرَد الْأَسْلَمِيُّ (اسْمُهُ سَلَامَةُ بْنُ عُمَيْرٍ)، وأبو سفيان، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وأبو عامر الأشعري، وأبو عُبَيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح، وأبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري، وأسامة بن زيد، وبشير بن سعد، وجَرير بن عبد الله البَجَلي، وجعفر بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وخالد بن الوليد، وخالد بن سعيد بن العاص، وزيد بن حارثة، وسالم بن عُمَير، وسعد بن أبي

(١) صحيح البخاري رقم ٤٢٦١.

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٤٢٦، مسند أحمد رقم٥٦٣٠.

وقاص، وسعد بن زيد الأَشْهَلي، وشجاع بن وَهْب الأسدي، والضحَّاك بن سفيان، والطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي، وطَلْحَة بن عُبَيد الله، وعاصم بن ثابت بن الأفلح، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن أُنَيس، وعبد الله بن جحش، وعبد الله بن رَوَاحة، وعبد الله بن عَتِيك، وعُبَيدة بن الحارث، وعُكَّاشة بن مِحْصَن، وعلقمة بن مُجَزِّز، وعمرو بن أبي أُميَّة، وعمرو بن العاص، وعُمير بن عَدِي بن خَرَشَة، وعُيَيْنة بن حِصْن، وغالب بن عبد الله الليثي، وقُطْبة بن عامر، وقيس بن سعد بن عُبَادة، وكُرْز بن جابر، وكعب بن عُمَير الغِفَاري، ومُحَمَّد بن مَسْلَمة، والمغِيرَة بن شُعبة، والمنْذِرُ بن عمرو السَّاعِدِيّ ﷺ أجمعين.

ومن نماذج القادة في الذكاء والدهاء بشير بن سعد ﷺ، ومن مواقفه التي ذكرها أهل السيرة في الذكاء والصبر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بَعَثَه فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكٍ[1]، فَخَرَجَ فَلَقِيَ رِعَاءَ الشَّاءِ فَاسْتَاقَ الشَّاءَ وَالنَّعَمَ مُنْحَدِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَدْرَكَهُ الطَّلَبُ [المشركون المحاربون] عِنْدَ اللَّيْلِ، فَبَاتُوا يَرْمُونَهُمْ بِالنَّبْلِ، حَتَّى فَنِيَتْ نَبْلُ أَصْحَابِ بَشِيرٍ،

(١) كانت سرية بشير بن سعد ﷺ إلى بني مُرَّة في شعبان ٧هـ، ومكانهم عند فدك: وفدك هي بلدة حائط التي تقع في شمال شرق المدينة المنورة وتبعد نحو ٣٠٠كم عنها، وتبعد عن خيبر نحو ١٣٠كم.

الاحداثيات: "٢٨'٣١.٣٢ °٤٠ "٥٩'٥٢.٧٠ °٢٥ .

فَأَصَابُوا أَصْحَابَهُ وَوَلَّى مِنْهُمْ مَنْ وَلَّى.

وَقَاتَلَ بَشِيرٌ قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى ضُرِبَ كَعْبَاهُ وَقِيلَ: قَدْ مَاتَ، وَرَجَعُوا بِنَعَمِهِمْ وَشَائِهِمْ، وَتَحَامَلَ بَشِيرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى فَدَكَ، فَأَقَامَ عِنْدَ يَهُودِيٍّ حَتَّى ارْتَفَعَ مِنَ الْجِرَاحِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ[1].

٢٦.لغة المحبة بين القائد وجنده.

لم يأت على البشرية إنسان أحبه أصحابه حباً حقيقياً كحبِّ الصحابة لرسول الله صلى اله عليه وعلى آله وسلم، فقد اختار الله تعالى مُحَمَّداً أفضل الخلق لأعظم الرسالات، واختار أعظم الصحابة لحمل تلك الرسالة مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكانوا خير أصحاب لخير رسول، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وعلى جميع صحبه.

وقد وصف الله تعالى هذه المحبة فقال: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٢٩} [الفتح].

ومن شواهد ذلك ما ذكره ابن هشام وغيره أنه لما أُسِر خُبيب بن

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٩٥، السيرة الحلبية ١٩٢/٣.

عَدِيٍّ وزيدُ بْن الدَّثِنَّة في غزوة الرَّجيع[1] وأجمعت قريش على قتلهما قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ لأحدهما حِينَ قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُكَ اللهَ أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الْآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنّك فِي أَهْلِك؟

قَالَ: وَاَللهِ مَا أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي.

قَالَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ أَحَدًا كَحُبّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا[2].

ومن صور المحبة بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين صحابته ما رواه أهل السيرة عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنها قالت: سمعت أبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَرُمِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ حَتّى دَخَلَتْ فِي وَجْنَتَيْهِ حَلَقَتَانِ مِنْ الْمِغْفَرِ [زَرَدٌ يُنْسَجُ على قدرِ الرأس يُلبس تحت غطاء الرأس]، فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى إلَى رَسُولِ اللهِ

---

(١) اسم السَّرِيَّة التي ذهب فيها عاصم بن ثابت وأصحابه ﷺ سرية الرَّجِيع وهي سرية استطلاع، ليجمعوا له المعلومات عن تحركات قريش التجارية والعسكرية، حتى إذا كانوا في منطقة الرجيع أغار عليهم بنو لِحْيان فقتلوا بعضهم، وأسروا البعض، والرجيع ماء ويعرف اليوم باسم الوطية، ويبعد عن مكة نحو ٧٠كم على اليمين للمتجه منها إلى عُسفان.

إحداثيات سرية الرجيع: "٢١°٥٣'٢٣.٨٣"٣٩°٢٦'٣٥.٨٦

(٢) يراجع سيرة ابن هشام ١٧٢/٢.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْسَانٌ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَطِيرُ طَيَرَانًا، فقلت: اللهمّ اجعله طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ! حَتّى تَوَافَيْنَا إِلَى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا أَبُو عُبَيْدَةُ بْنُ الْجَرّاحِ، فَبَدَرَنِي فَقَالَ: أَسْأَلُك بالله يا أبا بَكْر أَلّا تَرَكْتنِي، فَأَنْزِعُهُ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..

فأخذ أبو عُبَيْدَةَ بِثَنِيّتِهِ [الأسنان في مقدمة الفم] حَلَقَةَ الْمِغْفَرِ فَنَزَعَهَا، وَسَقَطَ عَلَى ظهره وسقطت ثنيّة أبي عُبَيْدَةَ، ثُمّ أَخَذَ الْحَلَقَةَ الْأُخْرَى بِثَنِيّتِهِ الْأُخْرَى، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي النّاسِ أَثْرَمَ [ساقط الثنية].

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ يُحَدّثُ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُصِيبَ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَدَخَلَتْ الْحَلَقَتَانِ مِنْ الْمِغْفَرِ فِي وَجْنَتَيْهِ، فَلَمّا نُزِعَتَا جَعَلَ الدّمُ يَسْرُبُ كَمَا يَسْرُبُ الشّنّ [إناء للشرب] ، فَجَعَلَ مَالِكُ بن سِنَان يَمْلُجُ [يرضع] الدّمَ بِفِيهِ ثُمّ ازْدَرَدَهُ [بَلَعَه]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمُهُ دَمِي فلينظر إلى مالك بن سِنَان.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ: فَلَمّا كَانَ من النّهَارِ وَبَلَغَنَا مُصَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرُّقِ النّاسِ عَنْهُ، جِئْتُ مَعَ غِلْمَانٍ مِنْ بَنِي خَدِرَةَ نَعْتَرِضُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَنْظُرُ إِلَى سَلَامَتِهِ، فَنَرْجِعُ بِذَلِكَ إِلَى أَهْلِنَا، فَلَقِينَا النّاسَ مُنْصَرِفِينَ بِبَطْنِ قَنَاةٍ[1] فَلَمْ يَكُنْ لَنَا هِمّةٌ

(١) بطن قناة أَحَدُ أودية المدينة جنوب جبل أُحد، والمكان قريب من جبل الرماة.

إلّا النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَنْظُرُ إلَيْهِ، فَلَمّا نَظَرَ إلَيّ قَالَ: سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ؟

قُلْت: نَعَمْ، بِأَبِي وَأُمّي! فَدَنَوْت مِنْهُ فَقَبّلْت رُكْبَتَهُ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ.

ثُمّ قَالَ: آجَرَك اللهُ فِي أَبِيك!

ثُمّ نَظَرْتُ إلَى وَجْهِهِ فَإِذَا فِي وَجْنَتَيْهِ مَوْضِعُ الدّرْهَمِ فِي كُلّ وَجْنَةٍ، وَإِذَا شَجّةٌ فِي جَبْهَتِهِ عِنْدَ أُصُولِ الشّعْرِ، وَإِذَا شَفَتُهُ السّفْلَى تَدْمَى، وَإِذَا رَبَاعِيَتُهُ الْيُمْنَى شَظِيّةٌ، فَإِذَا عَلَى جُرْحِهِ شَيْءٌ أَسْوَدُ.

فَسَأَلْت: مَا هَذَا عَلَى وَجْهِهِ؟

فَقَالُوا: حَصِيرٌ مُحَرّقٌ.

وَسَأَلْت: مَنْ دَمّى وَجْنَتَيْهِ؟

فَقِيلَ: ابْنُ قَمِيئَةَ. [وَلَقَدْ مَكَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَجِدُ وَهَنَ ضَرْبَةِ ابْنِ قَمِيئَةَ عَلَى عَاتِقِهِ شَهْرًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ].

فَقُلْت: مَنْ شَجّهُ فِي جَبْهَتِهِ؟

فَقِيلَ: ابْنُ شِهَابٍ.

فَقُلْت: مَنْ أَصَابَ شَفَتَهُ؟

فَقِيلَ: عُتْبَةُ.

فَجَعَلْت أَعْدُو بَيْنَ يَدَيْهِ حَتّى نَزَلَ بِبَابِهِ، فَمَا نَزَلَ إلّا حَمْلًا، وَأَرَى رُكْبَتَيْهِ مَجْحُوشَتَيْنِ [مخدوشتين]، يَتّكِئُ عَلَى السّعْدَيْنِ- سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ

وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ- حَتّى دَخَلَ بَيْتَهُ.

فَلَمّا غَرَبَتْ الشّمْسُ وَأَذّنَ بَلَالٌ بِالصّلَاةِ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ يَتَوَكّأُ عَلَى السّعْدَيْنِ، ثُمّ انْصَرَفَ إلَى بَيْتِهِ، وَالنّاسُ فِي الْمَسْجِدِ يُوقِدُونَ النّيرَانَ يُكَمّدُونَ بِهَا الْجِرَاحَ.

ثُمّ أَذّنَ بِلَالٌ بِالْعِشَاءِ حِينَ غَابَ الشّفَقُ، فَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسَ بِلَالٌ عِنْدَ بَابِهِ، حَتّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللّيْلِ، ثُمّ نَادَاهُ: الصّلَاةَ، يَا رَسُولَ اللهِ! فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَانَ نَائِمًا.

قَالَ: فَرَمَقْته فَإِذَا هُوَ أَخَفّ فِي مِشْيَتِهِ مِنْهُ حِينَ دَخَلَ بَيْتَهُ، فَصَلّيْت مَعَهُ الْعِشَاءَ ثم رجع إلى بيته، وقد صفَّ لَهُ الرّجَالُ مَا بَيْنَ بَيْتِهِ إلَى مُصَلّاهُ، يَمْشِي وَحْدَهُ حَتّى دَخَلَ، وَرَجَعْتُ إلَى أَهْلِي فَخَبّرْتهمْ بِسَلَامَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدُوا اللهَ عَلَى ذَلِكَ وَنَامُوا، وَكَانَتْ وُجُوهُ الْخَزْرَجِ وَالْأَوْسِ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بَابِ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَحْرُسُونَهُ فَرَقًا مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ تَكِرَّ[1].

ومن صور المحبة ما جاء في وصفها على لسان أبي سفيان لما قابل قيصر أثناء تجارته في الشام، وها أنا أسوقها كاملة كما أوردها البخاري رحمه الله تعالى عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَبَعَثَ

(١) مغازي الواقدي ٢٤٦/١، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢٤٦/١.

بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ، وَكَانَ قَيْصَرُ لَمَّا كَشَفَ اللهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ، مَشَى مِنْ حِمْصَ(١) إِلَى إِيلِيَاءَ(٢) شُكْرًا لِمَا أَبْلاَهُ اللهُ، فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قَالَ حِينَ قَرَأَهُ: التَمِسُوا لِي هَاهُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ، لأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَأَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تِجَارًا فِي المدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَوَجَدَنَا رَسُولُ قَيْصَرَ بِبَعْضِ الشَّامِ، فَانْطُلِقَ بِي وَبِأَصْحَابِي، حَتَّى قَدِمْنَا إِيلِيَاءَ، فَأُدْخِلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ، وَعَلَيْهِ التَّاجُ، وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ.

فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ

---

(١) حمص محافظة سورية تقع في وسطها، وفيها مات الصحابي الجليل خالد بن الوليد ﷺ.

الاحداثيات: "٣٤°٤٤'١٢.٢٥ "٣٦°٤٢'٥٥.٥٥

(٢) إيلياء هي بيت المقدس في فلسطين المحتلة.

الاحداثيات: "٣١°٤٦'٤١.٦٠ "٣٥°١٤'٧.٤١ .

نَبِيٌّ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا.

قَالَ: مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟

فَقُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّي، وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي.

فَقَالَ قَيْصَرُ: أَدْنُوهُ، وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي، فَجُعِلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتِفِي، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لأَصْحَابِهِ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَ، فَكَذِّبُوهُ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ، مِنْ أَنْ يَأْثُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الكَذِبَ، لَكَذَبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْثُرُوا الكَذِبَ عَنِّي، فَصَدَقْتُهُ.

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ؟

قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: لاَ.

فَقَالَ: كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ عَلَى الكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟

قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟

قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟

قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: فَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟

قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟

قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ الآنَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ، نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَلَمْ يُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصُهُ بِهِ، لاَ أَخَافُ أَنْ تُؤْثَرَ عَنِّي غَيْرُهَا.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمْ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ؟

قُلْتُ: دُوَلاً وَسِجَالاً[1]، يُدَالُ عَلَيْنَا المرَّةَ، وَنُدَالُ عَلَيْهِ الأُخْرَى[2].

قَالَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟

---

(١) تناوب النّصر والهزيمة

((وَأَصله أَن المستَقِيَيْنِ بسَجْلَينِ من الْبِئْر يكونُ لكلِّ وَاحِد مِنْهُمَا سَجْلٌ أَي دَلْوٌ ملأى مَاء)). تهذيب اللغة ١٠/ ٣١٠.

(٢) أَيْ نغلبهُ مَرَّةً ويغلبُنا أُخْرَى. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٤١.

قَالَ: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ.

فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، قُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَمُّ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ: يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ.

وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، فَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تَخْلِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ، لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ، فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ يَغْدِرُونَ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلاً، وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ المرَّةَ، وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، وَتَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ.

وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ، فَزَعَمْتَ: أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرْجُو أَنْ أَخْلُصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمَيْهِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَقُرِئَ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الأَرِيسِيِّينَ: {قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ٦٤} [آل عمران].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا أَنْ قَضَى مَقَالَتَهُ، عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ، وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ، فَلاَ أَدْرِي مَاذَا قَالُوا، وَأُمِرَ بِنَا، فَأُخْرِجْنَا، فَلَمَّا أَنْ

خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي، وَخَلَوْتُ بِهِمْ، قُلْتُ لَهُمْ: لَقَدْ أُمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[1]، هَذَا مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ يَخَافُهُ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلاً مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ قَلْبِي الإِسْلاَمَ وَأَنَا كَارِهٌ[2].

٢٧. بين المركزية واللامركزية في القيادة العسكرية.

قال الله تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٦} [العنكبوت].

الأصل في الجهاد أنه قائم على مراقبة الله تعالى والقيام بأوامره والانتهاء عن نواهيه، كما دل على هذا الآية السابقة، ويأتي السمع والطاعة لولي الأمر تبع للأمر السابق، وهذا مما خَفَّفَ على ولي الأمر الكثير من الأعباء في متابعة القادة الموكل لهم أمور تسيير المعارك.

وقد ذكرت من قبل أن عدد قادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يزيد عن سبعة وأربعين قائداً؛ وتوزعت مهماتهم في السرايا التي بعثهم بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على نحو سبعين سَرِيَّة، وكان من عادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يوصي بعض الوصايا لقادته، بل

---

(١) (أُمِرَ أَمْرُ) أي كبر شأنه، وكبشة: اسم مرتجل ليس بمؤنث الكبش، لأن مؤنث الكبش من غير لفظه يريد النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنها كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى، وقال بعض أهل العلم: إنه أسلم وكانت له بنت تسمى كبشة، فكني بها أو هو والد حليمة مرضعته. شرح القسطلاني (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) ١/ ٨١.

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٩٤٠، ٢٩٤١.

وأكثر وصاياه لهم هو الإحسان وعرض الإسلام، وقلَّ أن يضع لهم تفاصيل الخطة الحربية، بل يحدد لهم الوجهة، والهدفَ المطلوب، ويترك لهم حرية الاختيار في إدارة المعارك.

ومن الشواهد لذلك ما ذكره أهل السِّير في سَرِيَّةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ[1] قَالُوا: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: اغْزُ بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا تَغُلَّ وَلَا تَغْدِرْ وَلَا تَقْتُلْ وَلِيدًا.

وَبَعَثَهُ إِلَى كَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَقَالَ: إِنِ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجِ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ.

فَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ، فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ الْأَصْبَغُ بْنُ عَمْرٍو الْكَلْبِيُّ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا وَكَانَ رَأْسَهُمْ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ وَأَقَامَ مَنْ أَقَامَ [أي مَنْ بقيَ على النَّصرَانية] عَلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، وَتَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ تُمَاضِرَ بِنْتَ الْأَصْبَغِ، وَقَدِمَ بِهَا إِلَى الْمَدِينَةِ[2].

---

(١) سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَة الجَنْدَل، كانت في شعبان ٦هـ، ودومة الجندل تبعد عن العاصمة السعودية الرياض حوالي ٩٠٠ كم باتجاه الشمال الغرب.

الاحداثيات: "٢٩°٤٨'٣٨.٧٦"٣٩°٥٢'١.١٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢٨٩/٢.

وكان من عظيم القيادة العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه فتح باب التوسعة في الأمور الاجتهادية سواء أكانت في العبادات أم في إدراك الأهداف، فالصحابة الذين سارعوا في جهاد بني قُرَيظَة اختلفوا في تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أداء صلاة العصر، فلم يرجح صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيَّ رأيٍ على آخر، على الرغم مِنْ أنَّ بعضهم قد صلى العصر بعد مغيب الشمس، فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلى الله عَلَيهِ وعلى آلِه وسَلمَ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ.

فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ(١).

٢٨.صلاحية ولي الأمر في الأسرى.

قول الله تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا.. ٤} [مُحَمَّد].

ذكرت من قبل أنَّ من عظيم رحمته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالأسرى أنه كان يُطْعِمُهُم، ويسقيهم، ويبعدُ عنهم ما يؤذيهم، وأكثر حاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العفو.

---

(١) صحيح البخاري رقم٩٤٦، صحيح مسلم رقم٤٧٠١.

فلا يجوز قتلهم صبراً، ولا تعذيبهم، ويجوز العفو عنهم بدون مقابل أو قبول الفداء منهم، وهو إطلاق سراحهم مقابل مال يدفعونه، وهذا الأخير هو أعظم منَّةٍ مِنَ الله تعالى، حيث أباح لولي الأمر إطلاق سراح الأسير بمقابل وبدون مقابل؛ أو لقاء تبادل، لأن الهدف الأعظم من الأسر هو تحقيق هداية الله تعالى في نفس الأسير، ومن الشواهد ما مرّ في الآية السابقة.

ومسألة إطلاق سراح الأسير خاصَّة بولي الأمر، فله المنُّ بأن يُطلقَ سراحه بدون مقابل، كما مرَّ معنا في قصة ثُمَامَةُ بن أُثَالٍ، أو أن يُطلق سراحه مقابل الفِداء، كما حدث في أسرى بدر، أو أن يقتله، وهذا الأخير كان قليلاً في سياسية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحربيَّة، وهؤلاء الذين قتلهم كانت لهم سوابق تسيء للإسلام والمسلمين، فكان قتلهم لكفِّ شرِّهم المتوقع مستقبلاً.

ومن نماذج ذلك أبو عزّة الْجُمَحِيّ المشرك فقد كان شاعراً يهجو المسلمين، ويُؤَلِّب القبائلَ على قتالهم، وتمام ذلك ما رواه الواقدي وغيره عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ رحمه الله، أنه قَالَ: أَمّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَسْرَى يوم بدر أبا عزّة عمرو بن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيْرٍ الْجُمَحِيّ، وَكَانَ شَاعِرًا، فأعتقه رسول الله صلّى الله عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ، وَقَالَ: لِي خَمْسُ بَنَاتٍ لَيْسَ لَهُنّ شَيْءٌ، فَتَصَدّقْ بِي عَلَيْهِنّ يَا مُحَمّدُ، فَفَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ أَبُو عَزّةَ: أُعْطِيك مَوْثِقًا لَا أُقَاتِلُك وَلَا أُكْثِرُ عَلَيْك أَبَدًا.

فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إلَى أُحُدٍ جَاءَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ فَقَالَ: اُخْرُجْ مَعَنَا!

فَقَالَ: إنّي قَدْ أَعْطَيْتُ مُحَمّدًا مَوْثِقًا أَلّا أُقَاتِلَهُ وَلَا أُكْثِرَ عَلَيْهِ أَبَدًا، وَقَدْ

مَنّ عَلَيّ وَلَمْ يَمُنّ عَلَى غَيْرِي حَتّى قَتَلَهُ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ الْفِدَاءَ.

فَضَمِنَ صَفْوَانُ أَنْ يَجْعَلَ بَنَاتِه مَعَ بَنَاتِهِ إنْ قُتِلَ، وَإِنْ عَاشَ أَعْطَاهُ مَالًا كَثِيرًا لَا يَأْكُلُهُ عِيَالُهُ.

فَخَرَجَ أَبُو عَزّةَ يَدْعُو الْعَرَبَ وَيَحْشُرُهَا، ثُمّ خَرَجَ مَعَ قُرَيْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأُسِرَ وَلَمْ يُؤسَرْ غَيْرُهُ مِنْ قُرَيْشٍ.

فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ، إنّمَا خَرَجْتُ مُكْرَهًا، وَلِي بَنَاتٌ فَامْنُنْ عَلَيّ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ مَا أَعْطَيْتَنِي مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ؟! لَا وَاَللهِ، لَا تَمْسَحْ عَارِضَيْك [جانبا الوجه] بِمَكّةَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمّدٍ مَرّتَيْنِ!.. إن المؤمن لا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرّتَيْنِ، يَا عَاصِمُ بْنَ ثَابِتٍ، قَدّمْهُ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ! فَقَدّمَهُ عَاصِمٌ فَضَرَبَ عُنُقَهُ[1].

٢٩.السمو الأخلاقي مع الجند.

قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤} [القلم].

وقال تعالى: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨} [التوبة].

وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ.. ١٥٩} [آل عمران].

في القرآن الكريم نماذج كثيرة تبيّن مدى البعد الأخلاقي السلوكي في

(١) مغازي الواقدي ١/١١١.

التعامل بين الله وجند المسلمين، وبين رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبينهم، بل وحتى بين الجند أنفسهم.

فقد بلغت أخلاق النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الكريمة في التعامل مع الجند الدرجة التي لم يصل إليها أحد من القادة قط، لينٌ من غير ضعف، وحزمٌ من غير ظلم، ورئاسةٌ من غير تكَبُّر، وحُكْمٌ من غير جَور، بعدٌ في النَّظر، ودقةٌ في الرأي، وحبٌ متبادل فاق حب الآباء للأبناء بل والنفس يضاً.

ومن شواهد تواضعه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وتحمله المشاق مع صحابته الكرام ما رواه أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنه قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ [أي دور] رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قَالَ: فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا[1].

ومن شواهد تحمله الإيذاء من الجند ومسامحته لهم ما رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ مسعود ﷺ أنه قَالَ: لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: رَحْمَةُ اللهِ

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٣٧٠٦.

عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ[1].

ومن شواهد تعليم النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ جنده الصبر ما رواه الشيخان أن سَعْد بن أبي وقاص ﷺ قال: إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمُرُ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي[2].

٣٠.العناية بأسرِ الشهداء.

قال الله تعالى: {فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٠} [البقرة].

قال الله تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ.. ٤١} [الأنفال].

هذه الآيات السابقة من أعظم الآيات في رعاية الأيتام، والإحسان إليهم، ومخالطتهم، ورعاية شؤونهم، وتوعد الله تعالى بالعقاب لمن أساء لليتامى، حتى جعل الله لهم نصيباً من غنائم الحرب، فإذا عظَّمَ الله من شأن الإحسان لليتيم لِيتْمِهِ فإن اليتيم الذي استُشْهِدَ والده في ساحة المعركة لهو أشد عظمة من الأول، فهذا قد جمع ليتمه كرامة الشهداء، فصارت له مزية

(١) صحيح البخاري رقم٤٣٣٥، صحيح مسلم رقم١٤٠.

(٢)صحيح البخاري رقم ٦٤٥٣، صحيح مسلم رقم ٥٢٦٧.

على الأول، وعلى هذا دلت السنة المطهرة.

ولا تقتصر العناية بهذا الشهيد بل تشمل جميع أسرته؛ بكفالتهم وتعليمهم ورعايتهم بكل ما يحتاجونه من مسكن ولباس ولطف معاملة.

والسؤال الذي قد يتبادر للذهن كيف يكون للعناية بأسر الشهداء دور في نجاح القيادة العسكرية.

والجواب: إن الرجل قبل مشاركته في الجهاد إذا لاحظ عناية بأولاد الشهداء كان أكثر إقداماً في المعارك، لِعلمهِ بمصير أولاده من بعده، فلا يدخل عليه الشيطان بقوله أين تذهب وتترك عيالك؟

فالجندي حين يشعر باهتمام القيادة به وسلامته وبأمنه، والعناية بأسرته لن يتردد في أن يبذل غاية البذل، ويعطي أقصى العطاء.

ومن الأمثلة من السيرة المطهرة على العناية بِأُسَرِ الشهداء ما قَالَه ابْنُ اسْحَاقَ رحمه الله: لَمّا دَنَا جيش مؤتة مِن الْمَدِينَةِ قافلين من مُؤْتَة[1] تَلَقّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ، وَلَقِيَهُمْ الصّبْيَانُ يَشْتَدّونَ وَرَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابّةٍ، فَقَالَ: خُذُوا الصّبْيَانَ فَاحْمِلُوهُمْ، وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ، فَأَتَى بِعَبْدِ اللهِ فَأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ عَلَى الْجَيْشِ التّرَابَ، وَيَقُولُونَ: يَا فُرّارُ! فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ!

قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: لَيْسُوا بِالْفُرّارِ،

(١) تقدم الحديث عنها وعن موقعها، تحت عنوان: اختيار القادة.

وَلَكِنّهُمْ الْكُرّارُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى[1].

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَبَاهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا، فَلَمَّا حَضَرَ جِدَادُ النَّخْلِ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا كَثِيرًا، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الغُرَمَاءُ [من أجل أن يتساهلوا معه في دين أبيه].

قَالَ: اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَتِهِ، فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: ادْعُ أَصْحَابَكَ، فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَأَنَا وَاللَّهِ رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَلاَ أَرْجِعَ إِلَى أَخَوَاتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلِمَ وَاللَّهِ البَيَادِرُ كُلُّهَا حَتَّى أَنِّي أَنْظُرُ إِلَى البَيْدَرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ تَمْرَةً[2].

٣١.رعاية الحالة النفسية عند الجنود.

قال الله تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ

(١) سيرة ابن هشام ٣٨٢/٢، السيرة النبوية ٣٨٢/٢.

(٢) البخاري رقم٢٧٨١.

الأَقْدَامَ ١١ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ١٢} [الأنفال].

من عظيم فضل الله تعالى على المؤمنين ليلة معركة بدر أن ألقى الله على نفوسهم النعاس، ليؤمِّنهم من الخوف من عدوهم وهم كفار قريش، وأنزل عليهم ماء طهورًا من السحاب، ليطهرهم به من الحدث الأكبر والأصغر، ويزيل به عنهم وساوس الشيطان من قلوبهم، ويصبرها عند القتال، ويثبت بالمطر النازل أقدام المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر، حتى لا تطمس الأقدام في الرمل، فلا تنزلق فيها، ثم أيدهم الله بالملائكة تقاتل معهم.

والآيات في القرآن الكريم التي تُعنى بالحالة الروحية والنفسية بالجنود كثيرة، وعلى هذا دلت السنة المطهرة.

فقد كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْ أشدِّ القادة متابعة لما يجول في خواطر جنوده، مما قد يؤثِّر على حالة الجندي وقدراته العسكرية من فقر أو مرض أو وسوسة شيطان أو مشكلة مادية أو معنوية وما أشبه ذلك.

ومثال ذلك ما رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أنه قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، [يوم حنين] وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ، حَتَّى

قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَوْمَهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ.

قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟!

قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ.

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ.

قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ.

فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ.

قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ.

قَالُوا: بَل اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟

قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ.

قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ؛ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ.

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا[1].

٣٢.المكافأة المادية للجند.

قال الله تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ.. ٤١} [الأنفال].

إن الكرم بلا مقابل من أعظم أخلاق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكيف إذا وُجِدَ المقابل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كمن أهدى له هدية أو أبلى بلاءً حسنًا في ساعات الحرب، فإنك لن تجد مثل

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١١٣٠٥.

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ردِّ الجميل وفي عطائه وكرمه فقد كان كالريح المرسلة كما وصفه الواصفون.

وكان من عظيم فضل الله تعالى أنه أباح لجيش المسلمين الاستفادة من غنائم أهل الكفر، وتوزيعها بعضها عليهم، ووفق هذه الآية السابقة وزَّعَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الغنائم على جنده، بل وزاد في المكافأة لأفراد أبلوا بلاءً حسناً في القتال، فكان يكافئهم على حسن أدائهم.

ومن شواهد ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي قَتَادَةَ ﷺ قال خَرَجْنَا مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَامَ حُنَيْنٍ، فلما الْتَقَيْنَا كانت لِلْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا من الْمُشْرِكِينَ عَلَا رَجُلًا من الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَدَرْتُ حتى أَتَيْتُهُ من وَرَائِهِ حتى ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ على حَبْلِ عَاتِقِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَضَمَّنِي ضَمَّةً وَجَدْتُ منها رِيحَ الْمَوْتِ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَأَرْسَلَنِي، فَلَحِقْتُ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ فقلت: ما بَالُ الناس؟

قال: أَمْرُ اللَّهِ!

ثُمَّ إِنَّ الناس رَجَعُوا [بمعنى أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جمع الناس بعد فرارهم، وانتصروا على ثقيف وهوازن] وَجَلَسَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا له عليه بِبَيِّنة فَلَهُ سَلَبُهُ.

فَقُمْتُ فقلت: مَن يَشْهَدُ لي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ.

ثُمَّ قال: من قَتَلَ قَتِيلًا له عليه بِبَيِّنة فَلَهُ سَلَبُهُ فَقُمْتُ، فقلت: مَن يَشْهَدُ لي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ.

ثُمَّ قال: الثَّالِثَةَ مثله، فَقُمْتُ، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ما لك؟ يا أَبَا قَتَادَةَ! فَاقْتَصَصْتُ عليه الْقِصَّةَ، فقال رَجُلٌ: صَدَقَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَلَبُهُ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ عَنِّي.

فقال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: لاها اللَّهِ، إِذًا لَا يَعْمِدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عن اللَّهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُعْطِيكَ سَلَبَهُ!.

فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: صَدَقَ، فَأَعْطَاهُ، فَبِعْتُ الدِّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا في بَنِي سَلِمَةَ، فإنه لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ في الْإِسْلَامِ(١).

٣٣.المكافأة المعنوية للجند.

قال الله تعالى: {..فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩} [آل عمران].

جلَّتِ المكافآت المعنوية من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أنْ تُحصى لجنده على ما قدموه، وقد تنوعت هذه المكافآت فقد تكون دعاءةً كما تشير الآية السابق، فتكون سعادةً أبدية لصاحبها، وقد يكون أمراً ماديًّاً يحمل قيمة معنوية، وقد يحمل الاثنين معاً أو غير ذلك..

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٩٧٣، صحيح مسلم رقم ١٧٥١.

البينة: الدليل والبرهان الواضح، السلب: ما يكونُ على المقتول في الحرب من ثِيابٍ وسلاحٍ ودابَّةٍ، لاها: تتكون من (لا) النافية و(ها) التنبيه التي حلت محل واو القسم، و(لاها الله) أصلها (لا واللهِ)، (المخرف): بستان النخل المثمر، (تأثل): اقتنى وجمع.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه أحمد والترمذي وغيرهما عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُفَدِّي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي[1].

ومن ذلك ما رواه أحمد وابن حبَّان وغيرهما عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ ﷺ أنه قَالَ: دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خالد بْنَ سُفْيَانَ بْنَ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ جَمَعَ لِيَ النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي وَهُوَ بِنَخْلَةَ أَوْ بِعُرَنَةَ[2] فَأْتِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ؟

قَالَ: آيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى دُفِعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلاً حِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنَ الْقُشَعْرِيرَةِ.

فَأَخَذْتُ نَحْوَهُ وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُحَاوَلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ وَأُومِئُ بِرَأْسِي، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟

قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ، سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَ لِذَلِكَ.

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٩٦٨، سنن الترمذي ٣٦٨٨.

(٢) سيأتي الحديث عن هذه المناطق تحت عنوان التجسس على الأعداء.

قَالَ: فَقَالَ أَنَا فِي ذَلِكَ.

فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُنْكَبَّاتٍ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَرَآنِي قَالَ: قَدْ أَفْلَحَ الْوَجْهُ.

قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَدْخَلَنِي بَيْتَهُ وَأَعْطَانِي عَصًا.

فَقَالَ: أَمْسِكْ هَذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟

قُلْتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَهَا.

قَالُوا: أَفَلا تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَتَسْأَلَهُ لِمَ ذَلِكَ؟!

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟

قَالَ: آيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ أَقَلَّ النَّاسِ الْمُتَخَصِّرُونَ[1] يَوْمَئِذٍ، فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِسَيْفِهِ، فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَضُمَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا[2].

٣٤.وجوب طاعة القائد.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ..٥٩} [النساء].

أوجب الإسلام الطاعة للقائد، وجعلها من أهم الفرائض، لما في طاعته من توحيد الكلمة، وهذا أحوج ما تحتاجه الدول في الحروب، لكن جعلها في حدود الشرع؛ حيث لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

ومن الأدلة على وجوب الطاعة في حدود الشرع ما رواه البخاري رحمه الله عن عَلِيٍّ ﷺ قال بَعَثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سَرِيَّةً[3]

---

(١) المتخصرون: أنهم يأتُونَ _ يوم الْقيامة ومعهم أعْمال يتَّكِئُون عليها_ مأخوذٌ من الْمِخْصَرَةِ. تهذيب اللغة ٦٠/٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل رقم ١٦٠٩٠ ، صحيح ابن حبان رقم ٧١٦٠ .

(٣) اسم هذه السرية سرية علقمة بن مُجَزِّز إلى الأحباش بجُدَّة، وكانت في شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ، وقعت في البحر الأحمر مقابل قرية الشعيبة، وهذه جنوب جدة بنحو ٧٠كم، وليست في مدينة جِدة المشهورة.

إذ وصلت الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن ناساً من بلاد الحبشة رآهم أهل الشُّعيبة في ساحل جدة بناحية مكة في مراكب يريدون غزو الساحل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم عَلْقَمَة بْن مُجَزِّز رضي الله تعالى

فَاسْتَعْمَلَ عليها رَجُلًا من الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ.

فَغَضِبَ فقال: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنْ تُطِيعُونِي؟

قالوا: بَلَى.

قال: فَاجْمَعُوا لي حَطَبًا، فَجَمَعُوا.

فقال: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا.

فقال: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من النَّارِ، فما زَالُوا حتى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ.

فَبَلَغَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: لو دَخَلُوهَا ما خَرَجُوا منها إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الطَّاعَةُ في الْمَعْرُوفِ(١).

عنه في ثلاثمائة صحابي فخاض بجيشه البحر حتى أتوا إلى الجزيرة التي كان عندها الأحباش في البحر الأحمر فهربوا، ثم رجع الجيش ولم يلق حرباً، وفي بعض طريق الرجعة أذن علقمة بن مُجَزِّز لطائفة من الجيش في أن تتعجل الرجعة للمدينة واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهميّ الأنصاري، وهو الذي أمر أصحابه ليوقدوا ناراً ليدخلوا فيها.

الاحداثيات: "٣٩°١٧'٥٣.٧٦ "٢٠°٤٦'١٤.٢٨ .

(١) صحيح البخاري ٤٠٨٥.

٣٥.تعويض الحقوق المعنوية للجند.

قال الله تعالى: {..فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ..١٧٨} [البقرة].

وقال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩} [البقرة].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ.. ١٣٥} [النساء].

لم يقتصر استيفاء الحقوق عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أخذ القَوَد، كما أمر الله تعالى به في الآية الثانية.. بل أخذ شكلاً آخر في التعويض عن الحقوق المعنوية بالأُعطيات إن وقعت بقصد أو بدون قصد، وهذا أحد المعاني الواردة في الآية الأولى.

ولهذا أمثلة كثيرة في السنة المطهرة، ومنها ما قاله ابن سعد رحمه الله: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وعلى آله وسلم يَسِيرُ مِنَ الطَّائِفِ [أي غزوة الطائف] إِلَى الْجِعْرَانَةِ(١)، وَأَبُو رُهْمٍ الْغِفَارِيُّ(٢) إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَلَى نَاقَةٍ لَهُ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ لَهُ غَلِيظَتَانِ، إِذْ زَحَمَتْ

---

(١) تقدم الحديث عن موقعها تحت عنوان كسب العدو بالطرائق الودية.

(٢) اسمه كلثوم بن الحصين بن خلف ﷺ، أسلم بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة، وشهد معه أُحُدًا، ورمي يومئذ بسهم فوقع في نحره، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبصق عليه فبرأ، فكان أبو رهم يسمى المنحور. الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٢٤٤.

نَاقَتُهُ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قَالَ أَبُو رُهْمٍ: فَوَقَعَ حَرْفُ نَعْلِي عَلَى سَاقِهِ، فَأَوْجَعَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أَوْجَعْتَنِي أَخِّرْ رِجْلَكَ، وَقَرَعَ رِجْلِي بِالسَّوْطِ.

قَالَ: فَأَخَذَنِي [أي منَ الهَمّ] مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِي وَمَا تَأَخَّرَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ لَعَظِيمِ مَا صَنَعْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا بِالْجِعْرَانَةِ خَرَجْتُ أَرْعَى الظُّهْرَ [أي الإبل] وَمَا هُوَ يَوْمِي فَرَقًا [حزناً] أَنْ يَأْتِيَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولٌ يَطْلُبُنِي، فَلَمَّا رَوَّحْتُ الرِّكَابَ، سَأَلْتُ: فَقَالُوا: طَلَبَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فَقُلْتُ: إِحْدَاهُنَّ وَاللَّهِ [أي إما العقاب أو العفو]، فَجِئْتُهُ وَأَنَا أَتَرَقَّبُ، فَقَالَ: إِنَّكَ أَوْجَعْتَنِي بِرِجْلِكَ فَقَرَعْتُكَ بِالسَّوْطِ، وَأَوْجَعْتُكَ، فَخُذْ هَذِهِ الْغَنَمَ عِوَضًا مِنْ ضَرْبَتِي.

قَالَ أَبُو رُهْمٍ: فَرِضَاهُ عَنِّي كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[1].

٣٦.الاهتمام بفك أسرى المسلمين.

لا تهدأ للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عينٌ وله في أيد المشركين أسير، وهذا من كمال الرحمة التي أُرسل بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد جعل القرآن نصيباً من أموال الصدقة في فكِّ الأسرى من عدوهم؛ فقال الله تعالى: {..وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ

(١) الطبقات الكبرى ٤/٢٤٤.

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ..١٧٧} [البقرة].

ومحل الشاهد قوله [وفي الرقاب] أي: آتى المال على حب الله في تخليص الأسرى من أيدي العدو بفدائهم، وتخليص الأرقاء بشرائهم وإعتاقهم.

ومن الأدلة على اهتمام الإسلام بفك الأسرى ما رواه مسلم رحمه الله في صحيحه في بَاب "التَّنْفِيلِ وَفِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسَارَى" عن سَلَمَةَ ﷺ أنه قال: غَزَوْنَا فَزَارَةَ[1] وَعَلَيْنَا أبو بَكْرٍ؛ أَمَّرَهُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَلَيْنَا، فلما كان بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةٌ أَمَرَنَا أبو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا، ثُمَّ شَنَّ الْغَارَةَ فَوَرَدَ الْمَاءَ فَقَتَلَ من قَتَلَ عليه وَسَبَى، وَأَنْظُرُ إلى عُنُقٍ من الناس فِيهِمْ الذَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إلى الْجَبَلِ فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فلما رَأَوْا السَّهْمَ وَقَفُوا، فَجِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ وَفِيهِمْ امْرَأَةٌ من بَنِي فَزَارَةَ عليها قَشْعٌ من آدم، قال: الْقَشْعُ النِّطَعُ [غطاء من الجلد]، مَعَهَا ابْنَةٌ لها من أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسُقْتُهُمْ حتى أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ فَنَفَّلَنِي [أعطاني] أبو بَكْرٍ

(١) كانت سرية أبي بكر إلى بني فَزَارة أو بني كلاب في شعبان سنة ٧هـ، حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سرية تأديب إلى نجد لِمَا كان لهم من دور في الكيد للإسلام والمسلمين وقت فتح خيبر وما تلاه.

الاحداثيات: "١٥.٠٦'٥٥°٤٢"٤٧.٦١'٤٣°٢٤ .

ابْنَتَهَا.

فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا، فَلَقِيَنِي رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في السُّوقِ فقال: يا سَلَمَةُ! هَبْ لِيَ الْمَرْأَةَ.

فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ! والله لقد أَعْجَبَتْنِي وما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا.

ثُمَّ لَقِيَنِي رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الْغَدِ في السُّوقِ فقال لي: يا سَلَمَةُ! هَبْ لي الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ.

فقلت: هِيَ لك يا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ ما كَشَفْتُ لها ثَوْبًا.

فَبَعَثَ بها رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أَهْلِ مَكَّةَ، فَفَدَى بها نَاسًا من الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسِرُوا بِمَكَّةَ(١).

٣٧.التربية البدنية للجنود.

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..٦٠} [الأنفال].

إن الكمال الجسمي في الإعداد الحربي لمن أهم الاستعداد لمواجهة الأعداء، كما يفهم من الآية السابقة.

ولقد تعددت أساليب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في التربية الجسدية لجنده، كالمصارعة بين الجند، والمسابقة بين الخيل، وحمل الأثقال، والرمي.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ

(١) صحيح مسلم رقم١٧٥٥.

رضي اله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنَ الحَفْيَاءِ(١)، وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ(٢)، وَسَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ(٣)، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ

---

(١) الحفياء بالغابة في شامي المدينة، وبينها وبين المدينة نحو ستة أميال. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١/ ٨٣.

أي على نحو ١٢كم باتجاه سد الغابة، بعد جبل أحد.

الاحداثيات التقريبية: "٣٩°٣٥'١٥.٣٨" ٢٤°٣٤'٤٦.١٦" .

(٢) ثنية الوداع المشهورة في المدينة النبوية هي الثنية الشامية، الواقعة في شامي المدينة عند أول طريق "سلطانة" أبي بكر الصديق ﷺ. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٨٣. وهناك ثنية أخرى قريبة من مسجد الجمعة عندها استقبل أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم هجرته.

الاحداثيات: "٣٩°٣٦'١٩.٠٦" ٢٤°٢٨'٣٣.١٨" .

(٣) بنو زريق قبيلة من الأنصار، وكانت مساكنهم تقع في قبلة مصلى المدينة المنورة أيام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٣/ ٥٨.

أي جنوب مسجد الغمامة على نحو ٥٥٠ متر من باب السلام.

الاحداثيات التقريبية: "٣٩°٣٦'٢٥.٥٨" ٢٤°٢٧'٥٠.٧٧" .

فِيمَنْ سَابَقَ بِهَا[1].

ولا تقتصر التربية البدنية على الرياضات فحسب، بل تشمل نوعية التغذية الجيدة للجنود، وكذلك تعليم الفنون القتالية الحركية.

٣٨. تأمين رسل العدو.

قال الله تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٩١} [النحل].

لا يقتصر الوفاء بالعهد على الصلح المحدود بزمن محدد، بل يشمل الأشخاص كالسفراء والرسل والمجموعات الدبلوماسية فهؤلاء تجب حمايتهم عدم التعرض لهم بالأذى؛ لأنهم ليسوا بمحاربين، ولما في ذلك من فوائد كثيرة ومنها تبليغ الدين، وتسيير مصالح الدول، وحل الخلافات الدولية، وهذا من موجبات السِّلم بين الدول، ومن موجبات الوفاء بالمعاهدات.

ومن الأدلة من السنة المطهرة على ما سبق ما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ رضي الله عنهما قال: جاء رَسُولاَ مُسَيْلِمَةَ إلى النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فقال لَهُمَا: أَتَشْهَدَانِ أني رسول اللَّهِ؟ قَالاَ:

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٢٠، صحيح مسلم رقم ١٨٧٠.

قوله: (سابق) من المسابقة وهي السبق الذي يشترك فيه اثنان فأكثر على جائزة أو بدونها، (اضمرت) من الإضمار والضمور وهو الهزال، والخيل المضمرة هي التي ذهب رهلها فقوي لحمها واشتد جريها، (أمدها) غايتها ونهاية المسافة التي تسابق إليها، (بني زريق) أضيف المسجد إليهم إضافة تمييز لا ملك.

نَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رسول اللَّهِ، فقال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، لو كنت قَاتِلاً رَسُولاً لَقَتَلْتُكُمَا.

فَمَضَتِ السُّنَّةُ أَنَّ الرُّسُلَ لاَ تُقْتَلُ[1].

٣٩.الموازنة بين المرونة والحزم.

بين الألم والأمل وبين الأمر والرجاء قال الله تعالى: {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ.. ١٠٤} [النساء].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ٤٥} [الأنفال].

كان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في معاملته لجنده كأخ لهم، يتفقَّد أحوالهم ويساعدهم في شؤونهم، ويرشدهم إلى مصالحهم، ويثمِّن جهودهم، ويشجِّعُهم، وفي المقابل لا يدعُ مجالا للتَّسيُّب في أفعالهم، ولا للتَّفَلُّت من واجباتهم وكل ذلك في المنشط والمكره والعسر واليسر والهزيمة والنصر.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي، فَأَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ!

---

(١) رواه أحمد رقم ٣٥٧٣.

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟

قُلْتُ: أَبْطَأَ بِي جَمَلِي، وَأَعْيَا فَتَخَلَّفْتُ، فَنَزَلَ فَحَجَنَهُ بِمِحْجَنِهِ(١)، ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ، فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَقَالَ: أَتَزَوَّجْتَ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

فَقَالَ: أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟

فَقُلْتُ: بَلْ ثَيِّبٌ.

قَالَ: فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟

قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشُطُهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ.

قَالَ: أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ.

ثُمَّ قَالَ: أَتَبِيعُ جَمَلَكَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ، فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: الْآنَ حِينَ قَدِمْتَ؟

---

(١) المحجن: عصا منعطفة الرأس، والمعنى أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جذب بها الجمل.

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَدَعْ جَمَلَكَ وَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يَزِنَ لِي أُوقِيَّةً، فَوَزَنَ لِي بِلَالٌ فَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ.

قَالَ: فَانْطَلَقْتُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ، قَالَ: ادْعُ لِي جَابِرًا، فَدُعِيتُ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، فَقَالَ: خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ[1].

ومن مواقف الحزم منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ما رواه البخاري رحمه الله عن أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ[2] مِنْ جُهَيْنَةَ فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟!

قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنْ السِّلَاحِ.

قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا

---

(١) صحيح البخاري رقم ٤٠٥٢، صحيح مسلم رقم٢٦٦٦.

(٢) الحُرَقات أو الحُرَقة، وهي قبيلة من جُهَينَة، وتقع مساكنهم في نواحي أملج على البحر الأحمر وتبعد عن المدينة نحو ٣٠٠كم.

الاحداثيات: "٣٧°١٥'٥٥.٦٦ ٢٥° ٢'٠.٣١" .

عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ..[1].

٤٠.العدل بين جند المسلمين.

قال الله تعالى: {..فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥} [النساء].

إن من أعظم ما امتاز به جيش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو العدالة وإنصاف صاحب الحق ممَّن عليه الحق ولو كان قائداً، فمن شواهد عدله في نفسه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مع جنده في الحرب ما ذكره ابن إسحاق أَنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَدّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ [سهم] يُعَدّلُ بِهِ الْقَوْمَ فَمَرّ بِسَوّادِ بْنِ غَزِيّةَ حَلِيفِ بَنِي عَدِيّ بْنِ النّجّارِ، وَهُوَ مُسْتَنْصلٌ مِنْ الصّفّ، وَقَالَ: اسْتَوِ يَا سَوّادُ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوْجَعْتنِي، وَقَدْ بَعَثَك اللهُ بِالْحَقّ وَالْعَدْلِ.

قَالَ: فَأَقِدْنِي، فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ.

وَقَالَ: اسْتَقِدْ.

قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ، فَقَبّلَ بَطْنَهُ.

فَقَالَ: مَا حَمَلَك عَلَى هَذَا يَا سَوّادُ؟

---

(١) صحيح البخاري رقم صحيح مسلم رقم١٤٠.

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْت أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِك أَنْ يَمَسّ جِلْدِي جِلْدَك.

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِخَيْرٍ(١).

وإذا كان العدل هو ردُّ الحقوق فحسب فقد كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم خُلُقاً من ذلك، وهو مكافأة العدو على جميلٍ قد أسداه له من قبلُ.

فقد روى البخاري رحمه الله عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيهِ وعلى آله وسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: لَوْ كَانَ المطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ(٢).

وَإِنَّمَا خص صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْمُطعم في قبول الشفاعة في أسارى بدر وإطلاقهم له؛ لِأَنَّهُ لما مَاتَ عَمُّه أَبُو طَالب وماتَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها خرج إلى الطَّائِف ومعهُ زيدُ بن حَارِثَة، فَأَقَامَ بهَا شهرًا ثمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّة ودخلها فِي جِوَار الْمُطْعِمِ بن عَدِيٍّ(٣).

وهو الذي سعى قبل ذلك في نقض الصحيفة التي علقتها قريش على الكعبة وفيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب لأنهم نصروا النبي صلى الله عليه

---

(١) الروض الأنف ٣/٦٧.

(٢)صحيح البخاري رقم٤٠٢٤.

قوله: (كلمني) طلب مني وتشفع أن أطلقهم. (النتنى) جمع نتن وهو ذو الرائحة الكريهة والمراد هنا النتن المعنوي وهو كفرهم وضلالهم.

(٣)كشف المشكل من حديث الصحيحين ٤/ ٤٦.

وعلى آله وسلم، فَأحبَّ مكافأته لَو أمكن[1].

(١)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٩/١٥٠.

الفصل الثالث: منطلق التربية الأخلاقية في الحرب.

٤١. تحديد المنطلق إلى الله تعالى.

٤٢. التعبئة الإيمانية.

٤٣. شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند.

٤٤. استنهاض الهمم وجمع الشمل.

٤٥. الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار.

٤٦. تعزيز الولاء للدين وسرعة حل الخلافات الداخلية.

٤٧. التربية الروحية والأخلاقية للجنود.

٤٨. جهاد النساء والكهول والصبيان.

٤٩. التماس الرخص.

٥٠. الصبر.

٥١. التحري في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر.

٥٢. الخطأ في دماء المسلمين في الحرب.

٥٣. الإخلاص لله تعالى.

٥٤. الشكر لله تعالى واليقين بنصره.

٥٥. معالجة حالات الضعف في الجُنْد.

٤١.تحديد المنطلق إلى الله تعالى.

قال الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩} [الأنفال].

إنَّ المنطلق الأول في أي عمل عسكري يكون باللجوء إلى الله تعالى في التخطيط فيه، بطلب المدد منه والعون، مع اليقين بأنَّ النَّاصر الحقيقي هو الله تعالى، وكلما كان القائد والجند أقرب إلى الله تعالى في ذلهم وخضوعهم كانوا أقرب إلى الله تعالى في أن يستجيب دعاهم وينصرهم.

فإذا صدق المجاهد مع الله تعالى سدَّد الله رأيه ورميته وأحكم ضربته، وأما إذا اعتمد على الأسباب دون تقوى الله تعالى وَكَلَه الله إلى أسبابه، كما قالوا: إذا انعدمت التَّقوى فالنَّصر للأقوى.

هذا وقد تعلم الصحابة من غزوة حنينٍ درساً حينما اغتَّر بعضُهم بكثرة عددهم، فغُلبوا في أول المعركة بسبب إعجابهم، ثم أيدهم الله تعالى بنصره، قال تعالى:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًالَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ٢٦} [التوبة].

علامة اللجوء إلى الله تعالى.

إن من علامات اللجوء إلى الله تعالى محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، ومحبة الجهاد بأن يكون حبهم أكبر من محبة النفس

والأموال، قال الله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٢٤} [التوبة] وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ٤} [الصف].

فقد دلَّت الآيتان السابقتان على أن حب الجهاد من الفروض التي أمر الله تعالى بها، لارتباطه بمحبة الله تعالى، وللتهديد بالعذاب في تركه في الآية الأولى أيضاً.

والحب في الله وبالله ولله أعلى معنىً حمله المسلمون في جهادهم العظيم حينما فتحوا الأمصار، والشوق إلى لقاء الله تعالى باستشهادهم جعلهم أسوداً في النهار وعباداً في الليل، فقد كان اللهُ ورسولُه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ والجهادُ أحبَّ إليهم من كل شيء.

وللجوء إلى الله تعالى وسائل ومن أهمها: الدعاء والذكر، فهما الزاد الحقيقي للمجاهدين؛ لتقوية أرواحهم وأبدانهم، وتسديد آرائهم وإحكام خططهم، كما قال الله تعالى: {اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٧٥} [البقرة].

ومن الآيات التي ندبت إلى الذكر والتضرع إلى الله تعالى عند اللقاء:

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ٤٥} [الأنفال].

وقال الله تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٥٠} [البقرة].

وقال الله تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ١٤٧} [آل عمران].

واللجوء إلى الله تعالى هو أول الركائز في الأعمال العسكرية، وهو فعل نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قُبيل معركة بدر، كما روى مسلم رحمه الله تعالى عن عُمَر بن الْخَطَّابِ ﷺ أنه قال: لَمَّا كان يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثلاثمائة وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهم أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللهم آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللهم إن تُهْلِكْ هذه الْعِصَابَةَ من أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدُ في الأرض، فما زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حتى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ.

فَأَتَاهُ أبو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ على مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ من وَرَائِهِ، وقال: يا نَبِيَّ اللَّهِ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فإنه سَيُنْجِزُ لك ما وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ الله عز وجل: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ٩} [الأنفال] فَأَمَدَّهُ الله بِالْمَلائِكَةِ..[1].

ومن الأدلة على استحباب الدعاء في ساعة الجهاد ما رواه الترمذي رحمه الله تعالى عن عُمَارَةَ بن زَعْكَرَةَ رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ

(١) صحيح مسلم رقم ١٧٦٣.

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: إِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول: إِنَّ عَبْدِي كُلَّ عَبْدِيَ الذي يَذْكُرُنِي وهو مُلاقٍ قِرْنَهُ يَعْنِي عِنْدَ الْقِتَالِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ وهو مُلاقٍ قِرْنَهُ إنما يَعْنِي عِنْدَ الْقِتَالِ يَعْنِي أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ في تِلْكَ السَّاعَةِ(١).

استجابة الدعاء في أرض المعركة

وقد جعل الله تعالى أرض المعركة وقتئذٍ محلاً لاستجابة الدعاء؛ لما رواه أبو داود عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: ثنتانِ لا تُرَدانِ؛ الدعاءُ عندَ النداءِ وعندَ البأسِ؛ حينَ يلحمُ بعضُهم بعضاً(٢).

الأذكار التي تستحب في المعركة

ويستحب أن يقول إذا خاف عدواً بعض الآيات كقوله تعالى: {..رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥} [الممتحنة].

وقول الله تعالى: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ٨٤ فَقَالُواْ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٨٦} [يونس].

---

(١) سنن الترمذي رقم ٣٥٨٠، قال الترمذي: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ، ليس إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ..

(٢) سنن أبي داود رقم٢٥٤٠، المستدرك على الصحيحين رقم٢٥٣٤، الأذكار ١٦٧/١.

قال النووي رحمه الله تعالى ويستحب استحباباً متأكداً أن يقرأ ما تيسر له من القرآن، وأن يقول دعاء الكرب الذي في الصحيحين: لا إلهَ إلا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إلهَ إلا اللهُ ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلا اللهُ ربُّ السمواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرشِ الكريمِ(١).

ويقول كما ورد في الحديث الآخر: لا إلهَ إلا اللهُ الحليمُ الكريمُ، سبحانَ اللهِ ربِّ السمواتِ السبعِ وربِّ العرشِ العظيمِ، لا إلهَ إلا أنتَ عزَّ جارُكَ وجلَّ ثناؤُك(٢).

ويقول كما في الحديث الآخر: حسبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلِ(٣).

ويقول: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، ما شاءَ اللهُ لا قوةَ إلا باللهِ، اعتصمنا باللهِ، استعنَّا باللهِ توكَّلنا على اللهِ.

ويقول: يا قديمَ الإحسانِ، يا منْ إحسانُه فوقَ كلِّ إحسانٍ، يا مالكَ الدنيا والآخرة، يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا منْ لا يُعجزهُ شيءٌ، ولا يَتعاظمُه شيءٌ، انصرْنا على أعدائِنَا هؤلاءِ وغيرِهم، وأظهرْنَا عليهم في عافيةٍ وسلامةٍ عامةٍ عاجلاً.

قال النووي رحمه الله تعالى: فكل هذه المذكورات جاء فيها حث أكيد وهي مجربة(١).

---

(١) صحيح البخاري رقم٧٤٣١، مسلم رقم٧٠٩٧.

(٢) أخرجه ابن السني رحمه الله في عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد رقم٣٤٥.

(٣) صحيح البخاري رقم٤٥٦٣.

وروى أبو داود والترمذي وغيرهما رحمهما الله عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ: قال كان رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إذا غَزَا قال: اللهم أنت عَضُدِي وَنَصِيرِي بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ(٢).

وروى أبو داود والنسائي رحمهما الله وغيرهما بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كان إذا خاف قوماً قال: اللهمَّ إنا نجعلُكَ في نحورِهِمْ ونعوذُ بكَ مِنْ شرُورهِمْ(٣).

وختاماً روى الطبراني رحمه الله عن أنس ﷺ أنه قال: كنا مع النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزوة، فلقي العدو فسمعته يقول: يا مالكَ يومِ الدينِ إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعينُ، فلقد رأيتُ الرجالَ تُصْرَعُ، تَضربها الملائكةُ منْ بين أيديها ومن خلْفِها(٤).

---

(١) الأذكار ١/ ١٦٧.

(٢) سنن أبي داود رقم٢٦٣٢، سنن الترمذي رقم ٣٥٨٤، قال هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، مسند أحمد رقم١٢٩٣٢، وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَضُدِي: عَوْنِي.

(٣) سنن أبي داود رقم١٥٣٧، سنن النسائي الكبرى رقم ١٠٤٣٧، المستدرك على الصحيحين رقم٢٦٢٩.

(٤) المعجم الأوسط ١٢٣/٨، رقم ٨١٦٣، قال في مجمع الزوائد ٣٢٨/٥ رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد السلام بن هاشم وهو ضعيف.

ملحظ: للدكتور الشهيد عبد الله عزام رحمه الله تعالى كتاب بعنوان: "عِبَرٌ وبصائر للجهاد في العصر الحاضر"، وفيه ذكر جملة من الكرامات مبيناً أهمية الذكر في ساعة القتال، وأهمية الالتجاء إلى الله تعالى في ساعة الشدة، وأهمية الدعاء وقت القتال..

٤٢.التعبئة الإيمانية.

أمر الله تعالى نبيه بتحريض المؤمنين على القتال فقال تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ٨٤} [النساء].

وأما مواقف النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في رفع الروح المعنوية فهي كثيرة جداً، فلا يدخل حرباً إلا ويشجع صحابته الكرام على الجهاد، ويذكرهم بفضل الله على المجاهدين الصابرين، وبكرم الله على الشهداء.

ومن الشواهد على ذلك ما راوه البخاري رحمه الله عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ ﷺ أنه قال رأيت النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يوم الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ وهو يقول:

والله لَوْلَا الله ما اهْتَدَيْنَـــا
ولا صُمْنَا ولا صَلَّيْنَـــــا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَـــــا
وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إن لَاقَيْنَـا
وَالْمُشْرِكُونَ قد بَغَوْا عَلَيْنَا
إذا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَـــا[1].

---

(١) صحيح البخاري رقم٦٦٢٠.

والرَّجَزُ الذي قاله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو من رجز عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ رضي الله عنه.

ومن الأمثلة على التحريض والتشجيع بالعطايا المادية ما قَالَه ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِلَى النَّاسِ، يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ، فَحَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَنَفَلَ كُلَّ امْرِئٍ مَا أَصَابَ.

قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ، فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ.

قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٌ يَأْكُلُهُنَّ: بَخْ بَخْ، فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ، ثُمَّ قَذَفَ التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وَهُوَ يَقُولُ:

رَكْضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ

إِلَّا التُّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ

وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ

وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ

غَيْرَ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ(١).

٤٣.شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند.

قال الله تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ.. ١٢١} [آل عمران].

قال الله تعالى: {..وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) الاستذكار لابن عبد البر ٢٠٤٠٨.

مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٧} [الأنفال].

إن الشخصية العسكريَّة الشُجاعة لمن أكبر الأسباب في تحقيق النصر، وتثبيت المجاهدين، فلقد بلغت شجاعته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في غزواته ومواقفه القِمَّة التي لم يرقَ إليها قائد قط، إقدام من غير تهور، وجرأة من غير شطط، وقوة لا تخرج عن مسارها الإنساني، يقوم على تنظيم جيشه وترتيبهم في أماكنهم وهو بينهم ومعهم، كما أشارت الآية القرآنية الأولى، بل ويباشر قتال العدو بكل شجاعة كما أشارت الآية الثانية.

وكان لشجاعته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ دور في توجيه سلوك الصحابة نحو الإقدام على عدوهم، وكذلك في لمِّ شملهم إذا تباعدوا، وتوحيد صفهم إذا تفرقوا، كما حدث في غزوة حنين، فقد أخرج البخاري عن البَرَاءِ ﷺ، أنه سَأَلَهُ رَجُلٌ: أَكُنْتُمْ فَرَرْتُمْ يَا أَبَا عُمَارَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟

قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ، وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ بِسِلاَحٍ، فَأَتَوْا قَوْمًا رُمَاةً، جَمْعَ هَوَازِنَ، وَبَنِي نَصْرٍ، مَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المطَّلِبْ، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ[1].

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٩٣٠.

ومما أنشده كعب بن زهير في شجاعة الحبيب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُـولُ

مَهْلًا هداكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قُرْقَانِ فِيهِا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيـــلُ

لَا تَأْخُذَنَّ بِأَقْوَالِ الْوُشَـــاةِ وَلَمْ أُجْرِمْ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيـــلُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُـــولُ

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْـــشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا[1]

ومن الشواهد على سبق شجاعته صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ شجاعةَ أصحابه ما رواه الشيخان عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال كان رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَحْسَنَ الناس، وكان أَجْوَدَ الناس، وكان أَشْجَعَ الناس، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ رَاجِعًا، وقد سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ وهو على فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ، وهو يقول: لم تُرَاعُوا لم تُرَاعُوا، قال: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا [أي الفرس] أو إنه لَبَحْرٌ، قال: وكان فَرَسًا يُبَطَّأُ[2].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي رقم ٢١١٤٢.

(٢) صحيح البخاري رقم٥٦٨٦، صحيح مسلم رقم ٢٣٠٧.

وقوله: وكان فرسًا يُبَطَّأ؛ أي : يُنسب البطء إليه ، ويعرف به، فلما ركبه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أدركته بركته؛ فسابق الجياد، وصار نعم العتاد. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣٣/١٩.

وروى الحاكم عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَلا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ(١).

وقال ابن إسحاق في نهاية غزوة أحد: لَمّا أَسْنَدَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي الشِّعْبِ(٢) أَدْرَكَهُ أُبَيّ بْنُ خَلَفٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْ مُحَمّدُ لَا نَجَوْتُ إنْ نَجَوْتَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَعْطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنّا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: دَعُوهُ، فَلَمّا دَنَا، تَنَاوَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الْحَرْبَةَ مِنْ الْحَارِثِ بْنِ الصُّمّةِ، يَقُولُ بَعْضُ الْقَوْمِ فِيمَا ذُكِرَ لِي: فَلَمّا أَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْهُ انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايُرَ الشّعْرَاءِ [الشّعْرَاءُ ذُبَابٌ لَهُ لَدْغٌ] عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إذَا انْتَفَضَ بِهَا، ثُمّ اسْتَقْبَلَهُ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ [تدحرج] مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَكَانَ أُبَيّ بْنُ خَلَفٍ يَلْقَى رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِمَكّةَ فَيَقُولُ: يَا مُحَمّدُ إنّ عِنْدِي الْعَوْذَ فَرَسًا أَعْلِفُهُ كُلّ يَوْمٍ

---

(١) المستدرك رقم٢٥٨٤.

(٢) الشعب في جبل أحد

الاحداثيات: "٣٩°٣٦'٤٦.٩٢ "٢٤°٣٠'٤٢.١٢ .

فَرَقًا مِنْ ذرةٍ أَقْتُلُك عَلَيْهِ.

فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: بَلْ أَنَا أَقْتُلُك إنْ شَاءَ اللهُ.

فَلَمّا رَجَعَ إلَى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ فَاحْتَقَنَ الدّمُ، فَقَالَ: قَتَلَنِي وَاَللهِ مُحَمّدٌ!

قَالُوا لَهُ: ذَهَبَ وَاَللهِ فُؤَادُك، وَاَللهِ إن بِك مِنْ بَأْسٍ! قَالَ: إنّهُ قَدْ كَانَ قَالَ لِي بِمَكّةَ: أَنَا أَقْتُلُك، فَوَاَللهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيّ لَقَتَلَنِي، فَمَاتَ عَدُوّ اللهِ بِسَرِفِ[1] وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إلَى مَكّةَ[2].

٤٤.استنهاض الهمم وجمع الشمل.

قال الله تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩} [آل عمران].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: انْهَزَمَ أَصْحَابُ رسول اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أحد، فبيناهم كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِخَيْلِ

---

(١) سَرِف وادٍ قبيل مكة المكرمة، بنحو ١٥كم، وفي سرف أعرس رسول الله بميمونة أم المؤمنين ﵂ وقت مرجعه من مكة حينما قضى الحج، وهناك ماتت ودفنت سنة ٣٨ هـ. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٣/ ٧٣٥، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ١٣٩.

الاحداثيات: "٣١.١٩'٤٦°٣٩ "٦١.٠'٣٤°٢١ .

(٢) الروض الأنف ٣/٣٢٤.

الْمُشْرِكِينَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلُوَ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: اللَّهُمَّ لَا يَعْلُونَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ لَيْسَ يَعْبُدُكَ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ غَيْرُ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ، وَثَابَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رُمَاةٌ، فَصَعِدُوا الْجَبَلَ وَرَمَوْا خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَزَمُوهُمْ، فَذَلِكَ قوله تعالى: {وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ}(١).

كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُحَفِّزُ الهمم، ويرفع من شأن العزائم قُبيل المعركة وأثناءها، ويخاطب جنده بأجمل العبارات التشجيعية لرفع هممهم وتقوية عزائمهم.

ومن الشواهد على ذلك :

ما رواه أحمد والترمذي وغيرهما عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُفَدِّي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي(٢).

وأخرج مسلم عَنْ العَبَّاسُ ﷺ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ..

فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ

(١)أسباب النزول ص ١٢٨.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم٩٦٨، سنن الترمذي رقم٣٦٨٨.

اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ.. وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَيْ عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، فَقَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا فَقُلْتُ: بِأَعْلَى صَوْتِي أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟!

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ.

قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ.

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا..[1].

(١) صحيح مسلم رقم٣٣٢٤.

قال الله تعالى:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا.. ٢٦} [التوبة].

٤٥.الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦} [الأنفال].

هذه الآية تتحدث عن المصابرة أمام العدو، وحرمة الفرار منه وأنه كبيرة من الكبائر، لأنه يُعَرِّض جيش المسلمين للتدهور والخطر، وأنه يجوز الفِرار من القتال لتلافي النتائج الوخيمة من الهزيمة، أو لكسب المعركة، كمن فَرَّ من القتال لخداع العدو، أو للانضمام إلى فئة مؤمنة ليتقوَّى بهم على العدو.

وقال تعالى: {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤} [النساء].

وسَبَبُ نُزُولِ الآيةِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ [ﷺ قبل إسلامه] وَأَصْحَابَهُ لَمَّا هَمُّوا بالرجوع لقتال المسلمين في ثاني يَوْمَ لمعركة أُحُدٍ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم طَائِفَةً فِي آثَارِهِمْ، فَشَكَوْا أَلَمَ الْجِرَاحَاتِ، فَقَالَ اللَّهُ تعالى: {وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ} أَيْ: لَا تَضْعُفُوا في طلب المشركين، إِنْ

تَكُونُوا تَأْلَمُونَ وتَتَوَجَّعُونَ مِنَ الْجِرَاحِ، فَإِنَّهُمْ يَتَوَجَّعُونَ كَما تتوجعون أنتم، ولكنكم تَرْجُونَ مِنَ الله النصر بالدنيا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ مَا لَا يَرْجُونَ[1].

وهكذا كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ من أوحد القادة الذين يحسبون للهزيمة كما يحسبون للنصر، ويخططون ميدان المعركة لتلافي الهزيمة إن وقعت؛ لتأمين سلامة الأرواح، كما يخططون ميدان المعركة للنصر.

ومن نماذج ذلك ما قاله ابن هشام أيضاً أثناء حديثه عن غزوة أُحد: ..ومضى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حتى نزل الشِعب من أحد، في عدوة الوادي[2] إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يُقاتلَنَّ أحدٌ منكم حتى نأمرَه بالقتال.

وأمَّر على الرماة عبد الله بن جُبير، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثيابٍ بيضٍ، والرماةُ خمسونَ رجلاً، فقال: انضحِ الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا منْ خلفِنَا إنْ كانتْ لنا أو علينا، فاثبُتْ مكانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ منْ قِبَلِكَ[3].

فقد حمى رسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، واختار لمعسكره موضعاً مرتفعاً يحتمي به إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين ولا يلتجئ إلى الفرار، حتى لا يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطارِدين

---

(١) تفسير البغوي ١/ ٦٩٧.

(٢) أي جانب الوادي.

(٣) سيرة ابن هشام ١٢/٤ يراجع القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ للدكتور عبد الله مُحَمَّد الرشيد ص ٤٢٤.

وأسرهم، ويُلحِق مع ذلك خسائر فادحة إلى أعدائه إن أرادوا احتلال معسكره وتقدموا إليه، وألجأ أعداءه إلى قَبول موضع منخفض يصعب عليهم جداً أن يحصلوا على شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطارِدين لهم إن كانت الغلبة للمسلمين[١].

وكان لاختيار الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ جبلَ أحد دور هام في نجاة الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وصحابته من الهلاك في هذه الحرب، إذ لجأوا إلى شعب في جبل أحد احتضنهم، وتحصنوا به، فلم يستطع جيش قريش متابعة هجومه على المسلمين، فهذا الانسحاب من رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى شعب الجبل جعل الحرب مع قريش ظاهرها الخسارة ، وحقيقتها متكافئة إلى حد ما، إذ لم يستطع جيش قريش احتلال معسكر المسلمين، ولا أسر واحد منهم، ولم يحصلوا على شيء من أموال المسلمين، وكان القتلى من الفريقين: من المسلمين سبعين، ومن المشركين نحو سبعة وثلاثين[٢].

وأخيراً لقد صدقت مقولة الرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في أُحُدٍ، في تبادله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الحب مع الجبل وفاءً لما حصل فيه، فقد روى الشيخان عن أنس ﷺ: هذا جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه[٣].

---

(١) الرحيق المختوم ص ٢٤٤.

(٢) يراجع الأحكام السلطانية للماوردي ص٥٢، ويراجع الرحيق المختوم ص٢٧٢.

(٣) صحيح البخاري، رقم٣٨٥٥ ، صحيح مسلم ، رقم١٣٩٣.

هذا وفاء الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع الجمادات فكيف بوفائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع البشر؟!

٤٦.تعزيز الولاء للدين وسرعة حل الخلافات الداخلية.

قال الله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٢٤} [التوبة].

لقد كان ولاء الصحابة رضوان الله عليهم لله تعالى ولرسوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ولم يكنِ الولاءُ للقبيلة ولا لغيرها؛ لتحقيق الحفاظ على اللُّحمة السياسية ووحدة الصف الداخلية، والقضاء على الفتن إنْ حدثت، وحلِّ الخلافات إن وقعت، وهذا من كمال المحبة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وللجهاد في سبيل الله كما يفهم من الآية السابقة.

وقد وصف الله هذا الولاء في قوله: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ.. ٢٩} [الفتح].

ومن المواقف التي تجلَّت فيها حكمة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ القائد الفذِّ الحكيم في متابعة شؤون جيشه، بل وتحقيق صدق المحبة لله ولرسوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وللجهاد ما حدث في غزوة

بني المصطلق[1]، فقد كانت هذه الغزوة من أعظم الدروس التي تلقى فيها المسلمون الفوائد العلمية والعملية، وكشفت معادن الناس في صدق المحبة.

فقد بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ وَقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، زَوْجِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِهِمْ خَرَجَ إلَيْهِمْ حَتّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إلَى السّاحِلِ، فَتَزَاحَفَ النّاسُ فَهَزَمَ اللهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَنَفَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ.

فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ وَرَدَتْ وَارِدَةُ النّاسِ وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، يُقَالُ لَهُ جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ فَازْدَحَمَ جَهْجَاهُ وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيّ حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيّ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ.

فَغَضِبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ بْنُ سَلُولَ وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ ــفِيهِمْ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ غُلَامٌ حَدَثٌــ فَقَالَ أَوَقَدْ فَعَلُوهَا، قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاَللهِ مَا أَعُدّنَا وَجَلَابِيبَ قُرَيْشٍ إلّا كَمَا قَالَ الْأَوّلُ: سَمّنْ كَلْبَك يَأْكُلْك، أَمَا

(١) تقدم ذكر مكان غزوة بني المصطلق تحت عنوان "أهمية التعرف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي".

وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الْأَعَزّ مِنْهَا الْأَذَلّ.

ثُمّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ، فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَمَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْ عَدُوّهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ، فَقَالَ: مُرْ بِهِ عَبّادَ بْنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدّثَ النّاسُ أَنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، لَا، وَلَكِنْ أَذّنْ بِالرّحِيلِ، وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا، فَارْتَحَلَ النّاسُ.

وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ، فَحَلَفَ بِاَللهِ: مَا قُلْتُ مَا قَالَ وَلَا تَكَلّمْتُ بِهِ، وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا.

فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ! عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغُلَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ، وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرّجُلُ؛ حَدَبًا [تعطُّفاً] عَلَى ابْنِ أُبَيّ ابْنِ سَلُولَ وَدَفْعًا عَنْهُ.

فَلَمّا اسْتَقَلّ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ راكباً على راحلته وَسَارَ لَقِيَهُ أُسَيْد بْنُ حُضَيْرٍ فَحَيّاهُ بِتَحِيّةِ النّبُوّةِ وَسَلّمَ عَلَيْهِ، ثُمّ قَالَ: يَا

نَبِيّ اللهِ! وَاَللهِ لَقَدْ رُحْتَ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا كُنْت تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَوَمَا بَلَغَك مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟

قَالَ وَأَيّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ.

قَالَ: وَمَا قَالَ؟

قَالَ: زَعَمَ أَنّهُ إنْ رَجَعَ إلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الْأَعَزّ مِنْهَا الْأَذَلّ.

قَالَ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَاَللهِ تُخْرِجُهُ مِنْهَا إنْ شِئْت، هُوَ وَاَللهِ الذّلِيلُ وَأَنْت الْعَزِيزُ.

ثُمّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أُرْفُقْ بِهِ فَوَاَللهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللهُ بِك، وَإِنّ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْخَرَزَ لِيُتَوّجُوهُ؛ فَإِنّهُ لَيَرَى أَنّك قَدْ اسْتَلَبْته مُلْكًا.

ثُمّ مَشَى رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِالنّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتّى أَمْسَى، وَلَيْلَتَهُمْ حَتّى أَصْبَحَ وَصَدْرَ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ حَتّى آذَتْهُمْ الشّمْسُ، ثُمّ نَزَلَ بِالنّاسِ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسّ الْأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيَامًا.

وَإِنّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لِيَشْغَلَ النّاسَ عَنْ الْحَدِيثِ الّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ..

وَنَزَلَتْ السّورَةُ الّتِي ذَكَرَ اللهُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ فِي ابْنِ أُبَيّ وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ، فَلَمّا نَزَلَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِأُذُنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ثُمّ قَالَ: هَذَا الّذِي أَوْفَى اللهُ بِأُذُنِهِ. [أي أنزل الله قرآنا تصديقاً

لكلام زيد وتكذيباً لكلام المنافقين].

وَبَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ الّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ.. فأَتَى رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إنّهُ بَلَغَنِي أَنّك تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدَ اللهِ بْنِ أُبَيّ فِيمَا بَلَغَك عَنْهُ؛ فَإِنْ كُنْت لَا بُدّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إلَيْك رَأْسَهُ، فَوَاَللهِ لَقَدْ عَلِمَتِ الْخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرّ بِوَالِدِهِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلُهُ، فَلَا تَدَعْنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ يَمْشِي فِي النّاسِ، فَأَقْتُلُهُ فَأَقْتُلُ (رَجُلًا) مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ فَأَدْخُلُ النّارَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: بَلْ نَتَرَفّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا.

وفي لفظ عند الترمذي فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: **دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ..**

وَقَالَ: لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العَزِيزُ، فَفَعَلَ[1].

وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إذَا أَحْدَثَ ابن سلول الْحَدَثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الّذِينَ يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعَنّفُونَهُ.

---

(١) سنن الترمذي رقم٣٢٣٧.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لِعُمَرِ بْنِ الْخَطّاب حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ: كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟! أَمَا وَاللهِ لَوْ قَتَلْتُه يَوْمَ قُلْت لِي اُقْتُلْهُ لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ [أي انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصبية له] بِيَثْرِبَ كَثِيرَةٌ لَوْ أَمَرْتهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْته.

قَالَ: قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاَللهِ عَلِمْت لَأَمْرُ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي[1].

٤٧.التربية الروحية والأخلاقية للجنود.

قال الله تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا٥٢} [الفرقان].

وقال تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ٦} [العنكبوت].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ٦٩} [العنكبوت].

مما مرَّ معنا في مقدمة الكتاب أن الجهاد فُرِضَ في المدينة المنورة، وأنه لم يُبِح الله تعالى للمسلمين القتال في الفترة المكية الدعويَّة، بل كانوا مأمورين بالصبر والعفو والصفح، وجهاد النفس، وجهاد الدعوة، بالقرآن والحجة والبرهان، من أجل تهيئة نفوسهم بالإيمان الراسخ[2].

---

(١) الروض الأنف ٤/١٤، سيرة ابن هشام ٣/٣٠١.

(٢) يراجع تفسير ابن كثير ٢/٣٥٩.

ودليل ذلك أن الآيات السابقة كانت في العهد المكي وذُكِرَ فيها (الجهاد) والمراد بها جهاد والعلم كما مرَّ.. لا جهاد السيف.

لذا ربَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ جنده على معالي الأمور، وعلى جميل الصفات، رباهم على عفَّةِ النفس، والكرم، والشجاعة، والإيثار، والرِّفق، والتواضع، والإخلاص لله تعالى في جهادهم..

ومن شواهد جميل أخلاقه مع صحابته الكرام ما رواه أحمد رحمه الله عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أنه قَالَ: كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

قَالَ: فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ.

فَقَالَ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا[1].

ومن جميل لطفه بأصحابه ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَضَعُفَ ضَعْفًا شَدِيدًا، وَكَادَ الْعَطَشُ أَنْ يَقْتُلَهُ، وَجَعَلَتْ نَاقَتُهُ تَدْخُلُ تَحْتَ الْعِضَاهِ[2]، فَأُخْبِرَ بِهِ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَقَالَ: أَلَسْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَعَ رَسُولِ اللهِ صلى

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٣٧٠٦.

(٢) كل شجر ذي شوك.

الله عليه وعلى آله وسلم؟ أَفْطِرْ، فَأَفْطَرَ[1].

وروى مسلم عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..[2].

ومن سيرة السلف الصالح ما رواه ابن عساكر وغيره أن أبا بكرٍ الصدّيق ﷺ لما وجه أسامةَ بنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما قائدَ جيشِه إلى بلادِ الشامِ، شيَّعهم وهو ماشي، وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفةَ رسولِ الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لَتَرْكَبَنَّ أو لأَنزلنَّ؟!

فقال: واللهِ لا تنزلُ، ووالله لا أركبُ، وما عليَّ أن أغبّرَ قدميَّ ساعةً في سبيلِ اللهِ، فإنّ للغازي بكلِّ خطوةٍ يخطوها سبع مائة حسنة تُكْتَب له، وسبع مائة درجة ترفع له، وتُمحى عنه سبع مائة خطيئة ثم قال: أيُّها الناسُ ! قِفُوا أُوْصِكُمْ بعَشْرٍ، فاحْفَظُوها عنّي: لا تخونُوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتُلُوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تَعْقِروا نخلاً ولا تُحْرِقُوه، ولا تَقْطَعوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، ولا تَذْبَحُوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لَمأكَلَةٍ.

وسوفَ تمرُّونَ بأقوامٍ قد فرَّغُوا أنفسَهم في الصَّوامعِ، فدعوهمْ وما فرّغُوا

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٤٥٢٩.

(٢) رواه مسلم رقم ٣٢٦١.

أنفسَهم له، وسوف تَقْدمُون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعامِ، فإذا أكلْتُمْ منها شيئاً بعدَ شيءٍ، فاذكُروا اسمَ اللهِ عليها..[1].

ومن جميل تربية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للصحابة التواضع وعدم الكِبر، فقد روى البخاري رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَلَيهِ وعلى آله وسَلمَ أنه قَالَ: ..طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثٍ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ[2].

ومن جميل الأخلاق حفظ الأمانات، فإن تضييعها لا يُكَفِّرُها الشهادة، ومن الأدلة على ذلك ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عَنْ زَاذَانَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أنه قَالَ: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ.

قَالَ: يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقَالُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟

قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَيُمَثَّلُ لَهُ أَمَانَتُهُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ، فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى يُدْرِكَهَا، فَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَهُوَ يَهْوِي

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢/٥٠.

(٢) صحيح البخاري رقم٢٨٨٧.

فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ.

ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالْوَزْنُ أَمَانَةٌ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ عَدَّدَهَا، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الْوَدِائِعُ.

[قال زَاذَانَ] فَأَتَيْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ فَقُلْتُ: أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ! قَالَ: كَذَا، قَالَ كَذَا؟

قَالَ: صَدَقَ، أَمَا سَمِعْتَ يَقُولُ اللهُ: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا٥٨} [النساء](١).

٤٨.جهاد النساء والكهول والصبيان.

قال الله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ١٧} [الفتح].

فرض الله الجهاد على المسلم الذكر البالغ القادر الصحيح الجسم(٢)، ولم يكلف الشيخ الفاني ولا المرأة ولا الصبي ولا المريض ولا الأعرج وغيرهم

---

(١) شعب الإيمان رقم٤٨٨٥.

(٢) قال المالكية: لوجوب الجهاد ست شرائط لا يجب إلا بها متى انخرم واحد منها سقط وجوبه وهي: الإسلام والحرية والذكورية والبلوغ والعقل والاستطاعة بصحة البدن وما يحتاج إليه من المال. قال الله سبحانه: {ليس على الضعفاء}. وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: رفع القلم عن ثلاث وقال سبحانه: {وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} والعبد لا يجد ما ينفق.
التاج والإكليل ٥٣٨/٢، وانظر مجمع الأنهر ٦٣٢/١،٦٣٣، مختصر خليل مع الخرشي ٢٩٢/٥، مطالب أولي النهى ٥٠٠/٢.

من الضعفاء بالجهاد.

فكان من إكرام الإسلام للمرأة والرفق بها أنه لم يفرض عليها القتال؛ لحديث عائشة ﵂ أنها قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟

قَالَ: نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ(١).

وأما الصبيان فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يمنعهم منَ الجهاد، ولا يقدمهم إلا بعد اختبارهم في قدرتهم القتالية، ومن ذلك ما أخرجه البيهقيُّ وغيره عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قَالَ: أَتَتْ بِي أُمِّي فَقَدِمَتِ الْمَدِينَةَ فَخَطَبَهَا النَّاسُ، فَقَالَتْ: لَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا بِرَجُلٍ يَكْفُلُ لِي هَذَا الْيَتِيمَ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَعْرِضُ غِلْمَانَ الْأَنْصَارِ فِي كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ.

قَالَ: وَعُرِضْتُ عَامًا فَأَلْحَقَ غُلَامًا وَرَدَّنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي، وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ.

قَالَ: فَصَارِعْهُ، فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ؛ فَأَلْحَقَنِي(٢).

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: عَرَضَنِي رَسُولُ

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ٢٥٣٢٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين رقم ٢٣٥٦، سنن البيهقي الكبرى رقم ١٧٨١٠، المعجم الكبير رقم ٦٧٤٩.

الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومَ أُحُدٍ في القتالِ، وأنا ابنُ أربعَ عَشْرَة سَنَةً، فلمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يومَ الخَنْدَقِ وأَنَا ابنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَجَازَنِي[1].

فالحدُّ في وجوب الجهاد هو البلوغ؛ فلا يجب الجهاد على الصبي حتى يَبْلُغَ، ولكنه يؤمر بما دون القتال إن كانت به قُوَّة، كأن يكون في الحراسة، أو ينقل الطعام أو الشراب أو الدواء للمجاهدين، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث يأمر الفتيان بحراسة المدينة.

وهذا في الحالات العادية، وأما في الحالات الخاصة كأن داهم العدو دار المسلمين فيكون الجهاد فرض عين؛ على كل كبير وصغير وذكر وأنثى ممن يقدر على حمل السلاح، ولا يجوز لأحد التخلفُ إلا مَنْ يُحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان والأهل والمال، أو من يمنعه الأمير من الخروج، أو من لا قدرة له على الخروج أو القتال، وقد جاء في أحد المعاني لقوله تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١} [التوبة]، أن الخفاف والثقال هم الشباب والكهول.

روى البيهقي رحمه الله عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة: ٤١]، فقَالَ: أَرَى رَبَّنَا يَسْتَنْفِرُنَا شُيُوخًا وَشَبَابًا جَهِّزُونِي، أَيْ بَنِيَّ جَهِّزُونِي.

فَقَالَ بَنُوهُ: قَدْ شَهِدْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَنَحْنُ نَغْزُو.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٢٦٦٤)، وصحيح مسلم -واللفظ له- رقم (١٨٦٨).

فَقَالَ: جَهِّزُونِي، فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَمَاتَ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَقُبِرَ بِهَا وَلَمْ يَتَغَيَّرْ(١).

ومن نماذج مشاركة الصحابيات في القتال عندما لزم الأمر لهن، ما قاله ابْنُ هِشَامٍ : قَاتَلَتْ أُمّ عُمَارَةَ نَسِيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ الْمَازِنِيّةُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيّ: أَنّ أُمّ سَعْدٍ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ: دَخَلْت عَلَى أُمّ عُمَارَةَ فَقُلْت لَهَا: يَا خَالَةُ أَخْبِرِينِي خَبَرَك، فَقَالَتْ: خَرَجْت أَوّلَ النّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْت إلَى رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدّوْلَةُ وَالرّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ.

فَلَمّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إلَى رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَقُمْتُ أُبَاشِرُ الْقِتَالَ، وَأَذُبّ عَنْهُ بِالسّيْفِ وَأَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ حَتّى خَلَصَتِ الْجِرَاحُ إلَيّ.

قَالَتْ: فَرَأَيْت عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فَقُلْت: مَنْ أَصَابَك بِهَذَا؟

قَالَتْ ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللّهُ، لَمّا وَلّى النّاسُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَقْبَلَ يَقُولُ دُلّونِي عَلَى مُحَمّدٍ، فَلَا نَجَوْتُ إنْ نَجَا، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمَصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأُنَاسٌ مِمّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صلَّى اللّهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُه عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ

(١) السنن الكبرى للبيهقي رقم١٧٨٠١.

وَلَكِنْ عَدُوُّ اللهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ[1].

ومن نماذج جهاد ذوي الاحتياجات الخاصة مع النبي صلى الله عليه على آله وسلم ما رواه البيهقي رحمه الله أنه كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنُونَ شَبَابٌ يَغْزُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِذَا غَزَا، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يَتَوَجَّهَ إِلَى أُحُدٍ قَالَ لَهُ بَنُوهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَو قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ، فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ.

فَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَنِيَّ هَؤُلاَءِ يَمْنَعُونِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ، فَأَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ عَنْكَ الْجِهَادَ.

وَقَالَ لِبَنِيهِ: وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوهُ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ!

فَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا[2].

٤٩.التماس الرخص.

قال الله تعالى: {وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ

---

(١) الروض الأنف ٢٤٣/٣.

(٢) السنن الكبرى رقم١٨٢٧٧.

مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ١٠١ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢} [النساء].

إن من عظيم رحمة الله تعالى أن شرع أحكاماً خاصة بأهل الأعذار، ومن لهم ظروف استثنائية، ومنهم أهل الجهاد، وهذه الرخص تخفف عنهم ما هم عليه من الشدة أو البأس كالخوف من العدو، أو مرض في الجسم، ونحو ذلك.

ومن ذلك قَصْرُ الصلاة والتيمم، والمسح على الجبيرةِ، أو الجرح، وصلاة الخوف في الجهاد، والطهارة للصلاة، وغير ذلك من الأحكام الكثيرة، كما أشارت الآية البقة إلى بعض هذه الأحكام.

ومن شواهد التخفيف ما رواه أبو داود وغيره عن جَابِرٍ ﷺ أنه قال: خَرَجْنَا في سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ في رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فقال: هل تَجِدُونَ لي رُخْصَةً في التَّيَمُّمِ؟

فَقَالُوا: ما نَجِدُ لك رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ على الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ.

فلما قَدِمْنَا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُخْبِرَ بِذَلِكَ،

فقال: قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمْ اللهُ! ألا سَأَلُوا إِذْ لم يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إنما كان يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِبَ على جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عليها وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ(١).

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: صَامَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم فَتْحِ مَكَّةَ، حتى أتى قُدَيْداً(٢) فَأُتِيَ بِقَدَحٍ من لَبَنٍ فَأَفْطَرَ، وَأَمَرَ الناس أَنْ يُفْطِرُوا(٣).

وتقدم معنا ما رواه أبو داود عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ أنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ، وَكَانَ نَحْوَ عُرَنَةَ وَعَرَفَاتٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ.

قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا إِنْ أُؤَخِّرِ الصَّلَاةَ، فَانْطَلَقْتُ أَمْشِي وَأَنَا أُصَلِّي أُومِئُ إِيمَاءً،

---

(١) سنن أبي داوود رقم٣٣٦.

(٢) قُدَيد: واد كبير من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرّة «ذرة»، فيسمى أعلاه ستارة، وأسفله قديدًا، يقطعه الطريق من مكة إلى المدينة على مسافة مائة وعشرين كيلا. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ١٧٤.

هذا وخيمتا أم معبد: هما بطرف وادي قديد من الشمال، غرب قرية قديد بـ٧كم ومن علاماتها محطة قديد.

الاحداثيات: "٢٢°٢٠'٨.٧٤"٣٩°١٤'٥٧.٢٣.

(٣) مسند الإمام أحمد رقم٣٢٧٩.

نَحْوَهُ..[1].

٥٠.الصبر.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠} [آل عمران].

روى الطبري عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ رحمه الله، فِي قَوْلِهِ: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا} أنه قَالَ: اصْبِرُوا عَلَى الْجِهَادِ، وَصَابِرُوا عَدُوَّكُمْ، وَرَابِطُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ[2].

إن الصبر في مواطن الموت لمن أعظم البلاء على المسلم؛ لذلك ختم الله به آية صفات أهل البر من أهل الإيمان، فبعد أن ذكر أن صفات أهل الإيمان الصادقين هي الإيمان بالله تعالى وملائكته والكتاب والنبيين، والتَّصدُّق منَ المالِ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، بعد كلِّ ذلك ذكر الصبر في مواطن الشدة يوم الحرب، قال الله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ١٧٧} [البقرة].

---

(١) سنن أبي داود رقم ١٢٤٩.

(٢) تفسير الطبري ٦/٣٣٤.

ومحل الشاهد: {وحين البأس}

قال ابن كثير رحمه الله: أَي الصابرين فِي حَالِ الْفَقْرِ وَهُوَ الْبَأْسَاءُ، وَ الصابرين فِي حَالِ الْمَرَضِ وَالْأَسْقَامِ وَهُوَ الضَّرَّاءُ، والصابرين حِينَ الْبَأْسِ: أَيْ فِي حَالِ الْقِتَالِ وَالْتِقَاءِ الْأَعْدَاءِ(١).

ومن أعجب مواقف الصحابة رضوان الله عليهم في البأس هو صبر مُحَمَّد بن مَسْلَمة ﷺ في سريته إلى قبيلة بني معاوية وبني عُوَال في ذي القَصَّة(٢)، وذلك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سمع بمكرهم للكيد بالمسلمين.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم مُحَمَّد بن مَسْلَمة في عشرة من الصحابة في سرية تأديب إليهم، فجاؤوهم ليلاً، وانتبه المشركون لمجيئهم، فكمنوا لمحمد بن مسلمة وأصحابه حتى ناموا، فأحدقوا بهم وهم مائة رجل، فما شعر المسلمون إلا بالنبل قد أحاطهم، فوثب مُحَمَّد بن مسلمة ومعه قوس فصاح في أصحابه: السلاحَ، فوثبوا فتراموا ساعة منَ الليل.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٢١٠.

(٢) كانت سرية مُحَمَّد بن مَسْلمة إلى ذي القَصَّة في ربيع الآخر سنة ٦هـ، حيث سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمكر قبيلة بني معاوية وبني عُوَال في ذي القَصة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم مُحَمَّد بن مَسْلَمة في عشرة من الصحابة في سرية تأديب إليهم، وذو القصة على طريق الربذة، ولعله بين المدينة المنورة والحناكية بنحو ٥٠كم منها، قُبيل الصُوَيْدِرة بنحو ١٥كم.

الإحداثيات"٢٣.٢٧'٥ °٤٠ "١٣.١٣'٣٤°٢٤ .

ثم هجم الأعراب عليهم بالرماح هجمة رجل واحد، فقتلوا جميع أصحاب مُحَّد بن مَسْلَمَة، رضوان الله عليهم، ووقع جريحاً، وقد ضربوا كعبه اختباراً لحياته، فلم يتحرك إيهاماً لهم بأنه ميّت، وجردوهم من الثياب وانطلقوا.

فمرَّ رجل من المسلمين على القتلى فاسترجع، فلما سمعه محمدُ بن مَسْلَمَة تحرَّك له، فعرض عليه طعاماً وشراباً وحمله حتى وردَ به المدينة، وعوفي فيها، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا عُبَيدة بن الجراح ردّاً على فعلتهم، إلى مصارعهم فلم يجد أحداً من الأعراب، فغَنِمَ بعض الغنائم ورجع المدينة[1].

٥١.التحري في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر.

قال الله تعالى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا [محبوساً] أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ [مكان نحْرِه] وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا [لو تَمَيَّزَ أهل الإيمان عن أهل الكفر] لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٢٥} [الفتح].

وقال تعالى: {..وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. ٩٤} [النساء].

في أسباب نزول هذه الآية روى الإمام أحمد رحمه الله عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) سبل الهدى والرشاد ١٠٤/١١.

أَبِي حَدْرَدٍ ﷺ أنه قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِلَى إِضَمَ[1]، فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، وَمُحَلَّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بْنِ قَيْسٍ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضَمَ مَرَّ بِنَا عَامِرٌ الْأَشْجَعِيُّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ مَعَهُ مُتَيِّعٌ وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ[2]، فَلَمَّا مَرَّ بِنَا، سَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلَّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، فَقَتَلَهُ بِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَيِّعَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا..}[3].

إن أعظم الحرمات عند الله تعالى هي الدماء، فأوجب الإسلام التحري في الدماء عند الاقتتال مع غير المسلمين، سواء أكان مسلماً ممن أضمر الإسلام والمسلمون لا يعرفونه، أو غير مسلم ممن لا يجوز قتله، كغير المحاربين كالنساء والأطفال.

وقد أمر الله بالتحري في الدماء، كما في الآية الأولى، وأمر بترك بعض القتال خشية قتل من لا يجوزُ قَتْله، كما حدث هذا في غزوة الحديبية فقد كادَ ينشبُ القتال بين المسلمين ومشركي مكة، وأن الله صرف المسلمين عن قتال مشركي مكة؛ خشية أن يقتلوا المؤمنين من أهل مكة الذين أخفوا

---

(١) بطن إضم: ويسمى بوادي إضم، ويقدر بعد المكان عن المدينة المنورة/تبوك ٦٧كم.

وتقدم الحديث عنه عند الحديث عن: التورية المكانية عند اختيار الجهة المقصودة للجهاد.

(٢) سقاء اللبن ويصنع من الجلد.

(٣) مسند الإمام أحمد رقم٢٣٨٨١.

إيمانهم، فلولا هذا لوقع المسلمون في الإثم، أو العار، أو العيب من الكافرين حيث يقولون قتلوا أهل دينهم.

ومن الأدلة على وجوب حرمة دم المسلم عند الاشتباه ما رواه البخاري ومسلم عن أُسَامَةَ بن زَيْدِ بن حَارِثَة رضي الله عنهما أنه قال: بَعَثَنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الْحُرَقَةِ من جُهَيْنَةَ(١).

قال: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ.

قال: وَلَحِقْتُ أنا وَرَجُلٌ من الْأَنْصَارِ رَجُلًا منهم.

قال: فلما غَشِينَاهُ قال: لَا إِلَهَ إلا الله.

قال: فَكَفَّ عنه الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حتى قَتَلْتُهُ.

قال: فلمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال: فقال لي يا أُسَامَةُ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال: لَا إِلَهَ إلا الله.

قال: قلت يا رَسُولَ اللَّهِ! إنما كان مُتَعَوِّذًا.

قال: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قال لَا إِلَهَ إلا الله؟!

قال: فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لم أَكُنْ أَسْلَمْتُ قبل ذلك الْيَوْمِ(٢).

---

(١) تقدم الحديث عن موقع الحرقة تحت عنوان الموازنة بين المرونة والحزم.

(٢) صحيح البخاري رقم ٦٤٧٨، صحيح مسلم رقم٩٦.

٥٢.الخطأ في دماء المسلمين في الحرب.

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ.. ٩٢} [النساء].

تقدم أن ذكرت وجوب التأني في سماع حجة الآخرين المحاربين والاحتياطِ في الاقتتال، للاستخبار عن صحة إسلام الآخرين، فإذا حدث قتل للمسلم بطريق الخطأ في الجهاد، وجب أداء الدِّية لأهله، ولا يقتصرُ حقُّ التعويض على الدِّية بل يشمل جميع الحقوق الأخرى، وقد حدث مثل هذا في بعض سرايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فوفَّى لهمُ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم حقوقَهم، فقد روى البخاري رحمه الله طرفاً من الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن خالداً قتل بعض بني جَذِيمَةَ ظناً منه أنهم لم يسلموا..

ثم قال أهل السيرة بعد ذلك: دَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَقَالَ: يَا عَلِيّ، اُخْرُجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمَيْك.

فَخَرَجَ عَلِيّ حَتّى جَاءَهُمْ وَمَعَهُ مَالٌ قَدْ بَعَثَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَوَدَى [أي أعطى دية المقتولين] لَهُمُ الدّمَاءَ، وَمَا أُصِيبَ لَهُمْ مِنْ الْأَمْوَالِ، حَتّى إنّهُ لَيُدْنِي لَهُمْ مِيلَغَةَ الْكَلْبِ، حَتّى إذَا لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ وَلَا مَالٍ إلّا وَدَاهُ بَقِيَتْ مَعَهُ بَقِيّةٌ مِنْ الْمَالِ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيّ

ﷺ حِينَ فَرَغَ مَعَهُمْ: هَلْ بَقِيَ لَكُمْ بَقِيّةٌ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ لَمْ يُودَ لَكُمْ؟

قَالُوا: لَا.

قَالَ: فَإِنِّي أُعْطِيكُمْ هَذِهِ الْبَقِيّةَ مِنْ هَذَا الْمَالِ احْتِيَاطًا لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِمّا يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُونَ فَفَعَلَ.

ثُمّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: أَصَبْت وَأَحْسَنْت[1].

ومن الأمور المادية الهامَّة لو تعلقت ذمة المجاهد بحقوق لا علاقة بالجهاد نفسه، كالدَّينِ مثلا، فهذا لا يغفره الشهادة في سبيل الله لما رواه مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَهُ، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: كَيْفَ قُلْتَ؟

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ

---

(١) الروض الأنف ٤/١٩٥.

مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلاَّ الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ لِي ذَلِكَ(١).

٥٣.الإخلاص لله تعالى.

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٦٩} [العنكبوت].

قال الله تعالى: {..وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ..٣٧} [العنكبوت].

الإخلاص لله تعالى في الأعمال هو العلامة الوحيدة على إفراد الله تعالى بالعبودية، وهو سبب نجاح كل عمل في الدنيا، والقبول من الله تعالى في الآخرة، كما دل على هذا الآيات السابقة، ولما أخلص المسلمون لله تعالى في جهادهم نصرهم الله تعالى عليه بأقل الأسباب، وكان نصرهم بالحجة والبيان أكبر من نصرهم بالسنان.

والإخلاص لله في الجهاد هو أول ما يأمر به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين توجيه السرايا، ومن ذلك ما رواه مسلم عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..(٢).

---

(١) صحيح مسلم رقم٤٩١٤.

(٢) رواه مسلم رقم ٣٢٦١.

وروى الشيخان عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ((انْتَدَبَ الله عز وجل لِمَنْ خَرَجَ في سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إلا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ من أَجْرٍ أو غَنِيمَةٍ أو أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي ما قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ في سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ))[1].

ولا يقبل جهاد في الإسلام بغير الإخلاص لله تعالى، بل مصير صاحبه إلى النار؛ لما رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: إن أَوَّلَ الناس يُقْضَى فيه يوم الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ؛ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِي بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فقال: وما عَمِلْتَ فيها؟

قال: قَاتَلْتُ فِيكَ حتى قُتِلْتُ.

قال: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ هو جريء فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَيُسْحَبُ على وَجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النَّارِ..[2].

وروى البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ أنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً [عصبية]، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٦، وصحيح مسلم رقم ١٨٧٦.

و قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((انتدب الله)) أي سارع بثوابه وحسن جزائه.. فتح الباري ١/٩٣.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم ٨٢٧٧.

قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ[1].

٥٤.الشكر لله تعالى واليقين بنصره.

قال الله تعالى: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣} [النصر].

إن الناصر الحقيقي هو الله تعالى، ومن اعتمد على الأسباب وَكَلَه الله إلى أسبابه، كما قالوا: إذا انعدمت التقوى فالنصر للأقوى.

وقد تعلم الصحابة من غزوة حنين درساً حينما اغترَّ بعضهم بكثرة عددهم، فغُلبوا بسبب إعجابهم، قال تعالى:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ٢٦} [التوبة].

وقال الله تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١٢٦} [آل عمران].

ثم يلزم من هذه البشرى وهي نصر الله تعالى أن تقابل بالخضوع

---

(١) صحيح البخاري رقم ٧٤٥٢.

والشكر لله تعالى، وألا تقابل بالتكبر والإعجاب بالنفس، هكذا فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يوم فتح مكة.

قال الواقدي رحمه الله: أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ رَايَتَهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَهُوَ أَمَامَ الْكَتِيبَةِ، فَلَمّا مَرّ سَعْدٌ بِرَايَةِ النّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ نَادَى: يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلّ الْحُرْمَةُ الْيَوْمَ أَذَلّ اللهُ قُرَيْشًا، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتّى إذَا حَاذَى أَبَا سُفْيَانَ نَادَاهُ يَا رَسُولَ اللهِ أُمِرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِك؟! زَعَمَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ حِينَ مَرّ بِنَا، قَالَ [أي قال سعد لأبي سفيان كما يروي أبو سفيان]: يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلّ الْحُرْمَةُ الْيَوْمَ أَذَلّ اللهُ قُرَيْشًا، وَإِنِّي أَنْشُدُك اللهَ فِي قَوْمِك، فَأَنْتَ أَبَرّ النّاسِ وَأَرْحَمُ النّاسِ وَأَوْصَلُ النّاسِ.

قَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ، **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ الْيَوْمَ أَعَزّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا**، قَالَ: وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلَى سَعْدٍ فَعَزَلَهُ، وَجَعَلَ اللّوَاءَ إلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَرَأَى رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنّ اللّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صَارَ لِابْنِهِ..

فَلَمّا أَشْرَفَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَلَى النّاسِ وَقَدْ لِيطَ بِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ فَهُمْ جُلُوسٌ.

قَالَ: **الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، مَاذَا تَقُولُونَ وَمَاذَا تَظُنّونَ؟**

قَالُوا: نَقُولُ خَيْرًا وَنَظُنّ خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وَقَدْ قَدَرْت.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: **فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ**[1].

٥٥. معالجة حالات الضعف في الجُنْد.

إن مما ينبغي على القائد فعله مباشرة متابعة أمور الجند بالنفس، دون التوكيل قدر ما أمكن، وبهذا وصف الله تعالى نبيه لما أراد القتال يوم غزوة أحد، حيث قال: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١} [آل عمران]، أي تُبَيِّن لهم أماكنهم، وتجعلهم في المكان المناسب لهم في الجيش.

وهذا في الحالات العادية، فكيف إذا كان هناك بالجيش ضعف أو جراح، فيكون متابعة الجند من باب أولى.

ومن النماذج على الرعاية النبوية الصِّحيَّة بالصحابة الكرام ومعالجة حالات الضعف ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن جَرِيرِ بن عبدِ اللَّهِ ﷺ أنه قال: قال لي رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ألا تُرِيحُنِي من ذِي الخَلَصَة، وكان بَيْتًا فيه خَثْعَمُ؛ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَةِ[2].

---

(١) مغازي الواقدي ٨٢٩/١.

(٢) اسم السرية سرية جَرير بن عبد الله البَجَلِي لهدم ذي الخَلَصَة، وكانت في رمضان سنة

فَانْطَلَقْتُ في خَمْسِينَ وَمِائَةٍ من أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ فَأَخْبَرْتُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنِّي لَا أَثْبُتُ على الْخَيْلِ، فَضَرَبَ في صَدْرِي حتى رأيتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ في صَدْرِي.

فقال: اللهم ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا، فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا فَأَرْسَلَ إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُبَشِّرُهُ.

فقال رسولُ جَرِيرٍ يا رَسُولَ اللَّهِ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما جِئْتُكَ حتى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ.

فَبَارَكَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ(١).

ولا تقتصر معالجة حالات الضعف على الحالات الجسمية، بل تشمل النفسية، كما في قوله تعالى: وقال تعالى: {..إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤} [النساء].

١٠هـ.

ومكان صنم ذي الخَلَصَة كان في تبالة من بلاد خثعم، وهي قرية في جنوب شرق مكة بنحو ٤٠٠كم.

الاحداثيات: "٤١°٢٧'١٦.٨٠ "٢٠° ١'٧.٢٦ .

(١) صحيح البخاري رقم ٢٨١٥، صحيح مسلم رقم ٢٤٧٦.

الفصل الرابع: منطلق الاستعداد العسكري.

٥٦. الإعداد المادي الشامل.

٥٧. المبادرة بغزو العدو إن همَّ بالحرب.

٥٨. التخذيل بين الأعداء.

٥٩. التجسس على الأعداء.

٦٠. أفضل الجهات في الحرب.

٦١. المعرفة التامة بعتاد العدو وعُدَّته ومكانه.

٦٢. استغلال الظروف الجوية.

٦٣. السرية التامة في التخطيط العسكري.

٦٤. تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية.

٦٥. تأمين الجبهات الداخلية.

٦٦. هيكلة الجيش.

٦٧. تحصين الجند.

٦٨. اختبار كفاءة الجند.

٦٩. تفقد الموارد الطبيعية.

٧٠. تحسس الأحوال الجوية والاستعداد لكوارثها.

٧١. اتخاذ المساندين في أرض المشركين.

٧٢. لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد.

٧٣. العدد الأكمل في تعداد الجيش.

٧٤. تعليم الجند الفنون الحربية.

٧٥. تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها.

٧٦. الدعاية الحربية.

٧٧. الإعلام الحربي.

٧٨. رفع الكفاءة الحربية.

٧٩. استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية.

٨٠. تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله.

٨١. تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية.

٨٢. استراتيجية الاستثمار في المؤسسة العسكرية، والمحافظة على أموالها.

٨٣. تعلم العلوم الشرعية، والحفاظ على الكفاءات العلمية.

٨٤. دعم المؤسسة العَسْكَريَّة بالعلوم النفسية.

٨٥. حماية الحدود وتحصينها.

٥٦.الإعداد المادي الشامل.

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ..٦٠} [الأنفال].

أمر الله تعالى بالاستعداد للجهاد، ورغب النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في التهيؤ للجهاد من جميع جوانبه من صناعة وتطوير وتوريد، فكل من شارك في جزء الاستعداد من التزويد بالمال إلى وصول السلاح إلى يد المجاهد كان له أجر المجاهد، ثم رَغَّبَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في اختيار أفضل السلاح وأعظمه فتكاً بالأعداء وهو سلاح الرمي.

ففي صحيح مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْن عَامِرٍ ﷺ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ..٦٠} [الأنفال]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ[١].

وفي سنن الترمذي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاَثَةً الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالمُمِدَّ بِهِ، وَقَالَ: ارْمُوا وَارْكَبُوا، وَلأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا[٢].

ومن الأمثلة على تطوير الآلة العسكرية ما فعله النبي صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) صحيح مسلم رقم٥٠٥٥.

(٢) سنن الترمذي ١٦٣٧.

وعلى آلهِ وسلَّمَ من نصب المنجنيق على أهل الطائف، حيث أمرَ سلمان الفارسي ﷺ بصناعة المنجنيق ونصبه على حصن الطائف، وأتى بعض الصحابة من جُرَش بدبابتين ومنجنيق منها(١).

وتصنع الدبابة من جلود البقر، ثم يُزحف بها إلى جدار الحصن ليحفروه، ونثر رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حول الحصن الحسك، وهو من وسائل الدفاع الثابتة، ويعمل من خشبتين على شكل زائد، حتى تتألف منهما أربع شُعَبٍ مُدَبَّبَة، وإذا رمي في الأرض بقيت شعبةٌ منه بارزةٌ تتعثر بها أقدام الخيل والمشاة(٢).

قال الواقدي: ((وَشَاوَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَى أَنْ تَنْصِبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى حِصْنِهِمْ، فَإِنّا كُنّا بِأَرْضِ فَارِسَ نَنْصِبُ الْمَنْجَنِيقَاتِ عَلَى الْحُصُونِ

---

(١) مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٧.

تنبيه: ذكر بعض الباحثين أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرسل اثنين من الصحابة إلى جُرَش هما عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ وَغَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ لكي يتعلموا صناعة الدبابة.. وقد قدم هذان الصحابيان في أثناء حصار الطائف. (انظر الحِرَف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ص٢٢٨).

وهذا الكلام غير صحيح، فقد كان عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ وَغَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ غير مسلمين، ثم إن عروة ﷺ أسلم لما رجع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة بعد حصار الطائف. يراجع مغازي الواقدي ٣/٩٦٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٥/٣٨٥، ، السِّيرةُ النّبوية ــعرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، لعَلي الصَّلابي ١/٧٨٥.

وَتُنْصَبُ عَلَيْنَا، فَنُصِيبُ مِنْ عَدُوّنَا وَيُصِيبُ مِنّا بِالْمَنْجَنِيقِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْمَنْجَنِيقُ طَالَ الثّوَاءُ [الإقامة]، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَعَمِلَ مَنْجَنِيقًا بِيَدِهِ، فَنَصَبَهُ عَلَى حِصْنِ الطّائِفِ. وَيُقَالُ: قَدِمَ بِالْمَنْجَنِيقِ يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ وَدَبّابَتَيْنِ، وَيُقَالُ: الطّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَيُقَالُ: خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ قَدِمَ مِنْ جُرَشَ بِمَنْجَنِيقٍ وَدَبّابَتَيْنِ))[1].

٥٧.المبادرة بغزو العدو إن همّ بالحرب.

قال الله تعالى: {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ٦٢} [الأنفال].

يخبر الله تعالى المسلمين بأن المشركين الذين جنحوا إلى السلم ظَاهرًا، وأرادوا الكيد بالمسلمين، أن لا تخافوا من إبطانهم المكر والخديعة، فإن الله سيكفيكم مكرهم وخديعتهم، ومن تولى الله كفايته وحفظه لا يضره شيء.

ومن شواهد ما سبق قول الله تعالى: {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤} [التوبة].

لذا كان من عظيم خُلُق رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ورحمته أنه لا يبدأ كافراً بحرب، إلا إذا ناصب العداء للدعوة الإسلامية، فإذا بلغه أن أحداً يجمع له الجموع لقتاله، أو خان العهد معه، بَدَره وخرج إلى

(١) مغازي الواقدي ٣/ ٩٢٧.

قتاله، كما في غزوة بني المصطلق[١]، فقد بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ وَقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، زَوْجِ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِهِمْ خَرَجَ إلَيْهِمْ حَتّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إلَى السّاحِلِ، فَتَزَاحَفَ النّاسُ فَهَزَمَ اللهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَنَفَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ[٢].

ومن شواهد ذلك أيضاً ما ذكره ابن سعد رحمه الله في بداية حديثه عن غزوة تبوك: أنه بلغ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رَزق أصحابه لسنةٍ، وأجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء[٣]، فندب رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الناس إلى الخروج، وأعلمهم المكان الذي

---

(١) تقدم ذكر مكان غزوة بني المصطلق تحت عنوان "أهمية التعرف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي".

(٢) الروض الأنف ١٤/٤، سيرة ابن هشام ٣٠١/٣.

(٣) البلقاء إقليم كبير في الأردن، تتوسطه مدينة عمّان ومن أشهر مدنه: عمّان والسلط ومأدبا والزرقاء، ويشرف على الغور الأردني غرباً. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٥٣، البلدان لليعقوبي ص ١٦٤.

الاحداثيات: "٣٥°٤٢'٥٨.٢٣ "٣١°٥٧'٣٧.٠٦ .

يريد (وهو تبوك) ليتأهبوا لذلك[1].

٥٨.التخذيل بين الأعداء.

قال الله تعالى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ٥٧} [الأنفال].

التخذيل بين الأعداء وخداعهم يعني إيقاع الفرقة بينهم لإضعافهم، من خلال أساليب كثيرة، ومنها خداعهم عليهم، ورمي الفتنة بينهم، وهذا الأمر كان من إحدى سياسات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحربيَّة.

ومن الشواهد على ذلك ما ذَكَرَه اِبْن إِسْحَاق فِي سَبَبِ رَحِيلِ الأحزاب عن المدينة أَنَّ نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيَّ ﷺ أَتَى النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُسْلِمًا، وَلَمْ يَعْلَم بِهِ قَوْمه، فَقَالَ لَهُ: خذِّلْ عنا فإن الحربَ خَدْعَةٌ.

فَمَضَى إِلَى بَنِي قُرَيْظَة – وَكَانَ نَدِيمًا لَهُمْ – فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُمْ مَحَبَّتِي.

قَالُوا: نَعَمْ.

فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسَتْ هَذِهِ بِلَادُهُمْ، وَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْا فُرْصَةً اِنْتَهَزُوهَا وَإِلَّا رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَتَرَكُوكُمْ فِي الْبَلَاءِ مَعَ مُحَمَّدٍ ، وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ.

قَالُوا : فَمَا تَرَى؟

---

(١) طبقات ابن سعد ١٦٥/٢.

قَالَ : لَا تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَأْخُذُوا رَهْنًا مِنْهُمْ، فَقَبِلُوا رَأْيَهُ.

فَتَوَجَّهَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْيَهُود نَدِمُوا عَلَى الْغَدْرِ بِمُحَمَّدٍ فَرَاسَلُوهُ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَرَاسَلَهُمْ بِأَنَّا لَا نَرْضَى حَتَّى تَبْعَثُوا إِلَى قُرَيْشٍ فَتَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا فَاقْتُلُوهُمْ.

ثُمَّ جَاءَ غَطَفَانَ بِنَحْوِ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو سُفْيَانَ بَعَثَ عِكْرِمَةَ بْن أَبِي جَهْلٍ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِأَنَّا قَدْ ضَاقَ بِنَا الْمَنْزِلُ وَلَمْ نَجِدَ مَرْعَى، فَاخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا.

فَأَجَابُوهُمْ: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ وَلَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ الرَّهْنِ مِنْكُمْ لِئَلَّا تَعْدِرُوا بِنَا. فَقَالَتْ قُرَيْش: هَذَا مَا حَذَّرَكُمْ نُعَيْم، فَرَاسِلُوهُمْ ثَانِيًا أَنْ لَا نُعْطِيَكُمْ رَهْنًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا فَافْعَلُوا.

فَقَالَتْ قُرَيْظَةُ: هَذَا مَا أَخْبَرَنَا نُعَيْم.

قَالَ اِبْن إِسْحَاق: فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ خِذْلَانِهِمْ وَرَحِيلِهِمْ(١).

٥٩.التجسس على الأعداء.

قال الله تعالى: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ٣٠} [الأنفال].

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...٦٠} [الأنفال].

التجسس يعني معرفة الخطط العسكرية عند العدو، وتحركاته المكانية

(١) يراجع سيرة ابن هشام ٢/٢٩٢، فتح الباري ٢/٤٣٨.

والزمانية، ومعرفة عدده وعدته بطريقة خفية لا يشعر بها، وهذا العنصر الأساس كان في جميع غزوات النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، لكشف حقيقة العدو لمقابلة عدته وعتاده وخططه، وهذا نوع من أنواع الاستعداد المأمور به في الآية السابقة، ولعله أحد المعاني من مكر الله تعالى بالكافرين كما في الآية الأولى.

ومن الشواهد على ذلك ما ذكره الواقدي رحمه الله في غزوة أحد أن رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بَعَثَ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ إلَى الْقَوْمِ، فَدَخَلَ فِيهِمْ وَحَزَرَ وَنَظَرَ إلَى جَمِيعِ مَا يُرِيدُ وَبَعَثَهُ سِرّاً، وَقَالَ لِلْحُبَابِ لَا تُخْبِرْنِي بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إلّا أَنْ تَرَى قِلّةً، فَرَجَعَ إلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ خَالِيًا.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: مَا رَأَيْت؟

قَالَ: رَأَيْت يَا رَسُولَ اللهِ عَدَدًا، حَزْرَتُهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا، وَالْخَيْلُ مِائَتَيْ فَرَسٍ وَرَأَيْت دُرُوعًا ظَاهِرَةً حَزَرْتهَا سَبْعمِائَةِ دِرْعٍ.

قَالَ هَلْ رَأَيْت ظُعُنًا؟

قَالَ: رَأَيْت النّسَاءَ مَعَهُنّ الدّفَافُ وَالْأَكْبَارُ [الطّبُولَ].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَرَدْنَ أَنْ يُحَرّضْنَ الْقَوْمَ وَيُذَكّرْنَهُمْ قَتْلَى بَدْرٍ، هَكَذَا جَاءَنِي خَبَرُهُمْ لَا تَذْكُرْ مِنْ شَأْنِهِمْ حَرْفًا، حَسْبُنَا

اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، اللّهُمّ بِك أَجُولُ وَبِك أَصُولُ[1].

ومن شواهد ذلك عندما وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى غزو أهل أُبْنَى[2] قَالَ له: يَا أُسَامَةُ سِرْ عَلَى اسْمِ اللّهِ وَبَرَكَتِهِ حَتّى تَنْتَهِيَ إلَى مَقْتَلِ أَبِيك، فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ، فَقَدْ وَلّيْتُك عَلَى هَذَا الْجَيْشِ، فَأَغِرْ صَبَاحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى وَحَرّقْ، عَلَيْهِمْ وَأَسْرِعِ السّيْرَ تَسْبِقِ الْخَبَرَ، فَإِنْ أَظْفَرَك اللّهُ فَأَقْلِلِ اللّبْثَ فِيهِمْ، وَخُذْ مَعَك الْأَدِلّاءَ، وَقَدّمِ الْعُيُونَ أَمَامَك وَالطّلَائِعَ[3].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما رواه أحمد وابن حبان وغيرهما عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ أنه قَالَ: دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خالد بْنَ سُفْيَانَ بْنَ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ جَمَعَ لِيَ النَّاسَ لِيَغزُوَنِي وَهُوَ

---

(١) مغازي الواقدي ٢٠٨/١.

(٢) هذه السرية كانت في آخر حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولم يستطع أسامة الخروج بها مباشرة لاشتداد المرض على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم وفاته، ثم خرج أسامة ﷺ بأمر أبي بكر ﷺ.

والمكان الذي وصل إليه أسامة هو ناحية مقتل أبيه زيد رضي الله عنهما في أُبنى وهي قرية عند مؤتة. الروض الأنف ٧/ ٥١١.

الاحداثيات "٤٤.٥٠ ٤١° ٣٥"٥٧.٦٩ ٣° ٣١

(٣) مغازي الواقدي ١١١٧/١.

بِنَخْلَةَ[١] أَوْ بِعُرَنَةَ[٢] فَأْتِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ؟

قَالَ: آيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى دُفِعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلاً حِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنَ الْقُشَعْرِيرَةِ..[٣].

٦٠.أفضل الجهات في الحرب.

قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ..١٢٣} [التوبة].

---

(١) نَخْلَة لعلها النخلة اليمانية وتقع قبل ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) نحو ٩كم، على طريق مكة الطائف، قبيل الطائف بنحو ٣٥كم.

الاحداثيات: "٢١°٣٨'٣١.٤٢"٤٠°٢٠'٥٦.٥٤ .

(٢) وادي عرنة يمر بطرف عرفة من الغرب عند مسجد نمرة، جنوب مكة المكرمة.

الاحداثيات: "٢١°٢٠'٣٨.١٤"٣٩°٥٦'٤٥.٧٤

(٣) القصة تقدم ذكرها وهي في مسند أحمد بن حنبل رقم ١٦٠٩٠، صحيح ابن حبان رقم ٧١٦٠.

لقد فرض الله تعالى على المسلمين جهاد المشركين، وبيَّن أن أولى الجهات وأهمها في الجهاد هو قتال المشركين الأقربين إلى ديار المسلمين؛ لسببين اثنين:

الأول: إن المسلمين إذا قووا على جهادهم وجهاد غيرهم كانوا على جهاد من قَرُب منهم أقوى.

الثاني: إن نكاية من قَرُب من المسلمين بهم أكثر من نكاية من بَعُد، فكان جهاد هؤلاء أولى من غيرهم .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند شرح الآية السابقة: أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً الأقرب فالأقرب، فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بقتال المشركين في جزيرة العرب ثم شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وهم أولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك وكان ذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام[1].

وكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يحدد الجهة المقصودة في جهاده، ويختار لها الطريق الأنسب، ويصل إلى عدوه في وقت لا يشعر العدو بوصوله كالليل مثلاً، فلا يعلم عدوه بتوجهه إليه، ولا بوقت وصوله، ولا بمكان تمركزه أول ما يتمركز؛ حتى لا يسبقه عدوه إلى المكان، وبذلك يحقق عنصر المباغتة، وهذا ما حدث في فتح مكة المكرمة، فقد استغرق معه

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٠٨.

الطريق بضعة أيام، وخلال كل تلك الفترة لم يصل إلى قريش خبر واحد في توجه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليهم، ومن الشواهد على ذلك أيضاً ما حدث في فتح خيبر، فلم يشعر اليهود إلا والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد نزل ديارهم، على الرغم من أن المسافة بين المدينة وخيبر ١٥٠كم، ويحتاج الجيش من المدة لقطع هذه المسافة نحو أربعة أيام.

ومن عظيم تخطيطه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يسوق عدوه إلى الأرض التي يختارها هو ليقاتله عليها، كما صار في غزوة أحد.

ومن الشواهد على ما سبق ما رواه الشيخان عن أنس ﷺ أنه قال: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلاً، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوُا النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ(١) وَاللهِ، مُحَمَّدٌ(٢) وَالخَمِيسُ.

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاء صَبَاحُ

(١) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٢) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الْمُنذَرِينَ ١٧٧} [الصافات][(١)].

٦١.المعرفة التامة بعتاد العدو وعُدَّته ومكانه.

قال الله تعالى فقال: {إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً.. ٤} [الأنفال].

كان رسول الله صلى الله عليه يدرس مواقع العدو ويتوخى الحيطة والحذر ويقدر عدة العدو وعتاده، وفي بعض الأحيان يباشر بنفسه الكريمة العمليَّة الاستخباراتية، فيُلْجِئُ عدوَّه إلى أسوأ المناطق، لإيقاع الكيد به وإحلال الَّتشَرذُم فيه.

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن هشام رحمه الله تعالى أثناء حديثه عن غزوة بدر: نزل رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصِّديق ﷺ حَتّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ.

فَقَالَ الشّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتّى تُخْبِرَانِي مِمّنْ أَنْتُمَا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إذَا أَخْبَرْتنَا أَخْبَرْنَاك.

---

(١)صحيح البخاري رقم٥٨٥، صحيح مسلم رقم ١٣٦٥.

قوله: (مكاتلهم ومساحيهم) والمكاتل جمع مكتل، وهو الزنبيل والقفة، والمساحي المجارف من حديد. وقوله: الخميسُ: الجيش، سُمّي به لأنه مَقْسوم بخَمْسة أقسام: المقَدّمة، والسَّاقة، والميْمنَة، والميْسرة، والقَلْب.

قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ الشّيْخُ: فَإِنّهُ بَلَغَنِي أَنّ مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الّذِي أَخْبَرَنِي، فَهُمُ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الّذِي بِهِ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَبَلَغَنِي أَنّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمُ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا لِلْمَكَانِ الّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ، فَلَمّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ قَالَ: مِمّنْ أَنْتُمَا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ، ثُمّ انْصَرَفَ عَنْهُ.

قَالَ: يَقُولُ الشّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ؟!

ثُمّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلَى أَصْحَابِهِ فَلَمّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَالزّبَيْرَ بْنَ الْعَوّامِ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إلَى مَاءِ بَدْرٍ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ لَهُ عَلَيْهِ.. فَأَصَابُوا رَاوِيَةً [مَنْ يأتي بالماء لسقاية الناس] لِقُرَيْشٍ فِيهَا أَسْلَمُ؛ غُلَامُ بَنِي الْحَجّاجِ وَعَرِيضٌ أَبُو يَسَارٍ، غُلَامُ بَنِي الْعَاصِ بْنِ سَعِيدٍ فَأَتَوْا بِهِمَا فَسَأَلُوهُمَا، وَرَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَائِمٌ يُصَلّي، فَقَالَا: نَحْنُ سُقَاةُ قُرَيْشٍ، بَعَثُونَا نَسْقِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ فَكَرِهَ الْقَوْمُ خَبَرَهُمَا، وَرَجَوْا أَنْ يَكُونَا لِأَبِي سُفْيَانَ فَضَرَبُوهُمَا، فَلَمّا أَذْلَقُوهُمَا [الجهد والقلق] قَالَا: نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ فَتَرَكُوهُمَا.

وَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْهِ، ثُمّ

لما انتهى مِنْ صلاتِه قَالَ: إذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا وَاللهِ إنّهُمَا لِقُرَيْشٍ.

أَخْبَرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟

قَالَا: هُمْ وَاللهِ وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ الّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالْكَثِيبِ: الْعَقَنْقَلُ [الرمل الكثير المتراكم].

فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: كَمِ الْقَوْمُ؟

قَالَا: كَثِيرٌ.

قَالَ: مَا عِدّتُهُمْ؟

قَالَا: لَا نَدْرِي.

قَالَ: كَمْ يَنْحَرُونَ كُلّ يَوْمٍ؟

قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ التّسْعِمِائَةِ وَالْأَلْفِ.

ثُمّ قَالَ لَهُمَا: فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟

قَالَا: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيّ بْنُ هِشَامٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيّ بْنِ نَوْفَلٍ، وَالنّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وَأُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَنُبَيْهٌ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاجِ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ.

فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَلَى النّاسِ فَقَالَ: هَذِهِ مَكّةُ قَدْ أَلْقَتْ إلَيْكُمْ أَفْلَاذ كَبِدِهَا(١).

ومما يستفاد من هذا الحديث: شجاعة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، والتمويه عن النفس، وجواز التعريض، والشحن المعنوي للمقاتلين.

٦٢.استغلال الظروف الجوية.

قال الله تعالى: {..وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ٨١} [التوبة].

استغلال الظروف الجوية في أرض المعركة يعني إجراء القتال في وقت يتناسب مع الطقس من حرٍّ أو برودة أو هبوب رياح، أو مع الاتجاهات الغربية أو الشرقية، كاستقبال شمس واستدبارها، واستغلال وجود غيم وما أشبه ذلك.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه الشيخان رحمهما الله عن عَبْدِ اللَّهِ بْن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ.

---

(١) سيرة ابن هشام ٦١٦/١.

وقوله : ((أفلاذ كبدها)) يريد أشرافها يعني معظمهم وأكثرهم.

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ(١).

فكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس، والمعروف أن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كان معظم قتاله بعد صلاة الصبح، لكنه كان يؤخِّر القتال أحياناً حتى تزول الشمس لحاجة الحرب، أو لجهد أصحابه حتى يأخذ الصحابة رضوان الله عليهم قسطاً من الراحة أو غير ذلك، ويكون أمكن للقتال، فإنه وقت هبوب الريح ونشاط النفوس، وكلَّما طالَ ازدادوا نشاطاً وإقداماً على عدوهم، وقد يكون القتال بعد الزَّوال أضعف في حق عدوهم، لما فيه مِنْ شدَّة الحرِّ مقارنة بوقت الصباح، وقد جاء في صحيح البخاري: أنه كَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، انْتَظَرَ حَتَّى تَهُبَّ الأَرْوَاحُ، وَتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ(٢)، وسببه: فضيلة أوقات الصلوات والدعاء عندها(٣).

وكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يستفيد من الظروف الطبيعية أثناء قتال العدو، لمصلحة جيشه، ومن الأمثلة على ذلك ما فعله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قبل بدء القتال يوم بدر، فقد أصبح ببدر قبل أن تنزل قريش، فطلعت الشمس وهو يَصِفُّهُم فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٩٦٥، صحيح مسلم رقم٤٦٤٠.

(٢) صحيح البخاري رقم ٣١٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٨٤/٦.

فاستقبل المشركون الشمس فصارت في وجوههم.

٦٣.السرية التامة في التخطيط العسكري.

قال الله تعالى: {..وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ .. ١٠٢} [النساء].

السِّرِّيَّة تعني إخفاء الخطط العسكرية، والتحركات المكانية والزمانية عن العدو، وكذا إخفاء العدة والعتاد عن العدو، لتحقيق عنصر المباغتة في حق العدو، وهذا من أنواع أخذ الحذر المأمور به في الآية السبقة.

ومن الشواهد على السِّرِّيَّة في الجهاد ما قاله ابن هشام رحمه الله تعالى أثناء حديثه عن الاستعداد لفتح مكة: وأَمَرَ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر ﷺ على ابنته عائشة ﷺ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: أيْ بُنيّةُ: أَأَمَرَكُمْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أنْ تجهزوه؟

قالت: نعم، فتجهز.

قال: فأينَ تريْنَهُ يريدُ؟

قالت: لا والله ما أدري.

ثم إن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أعلمَ الناسَ أنه سائرٌ إلى مكة وأمرَهم بالجِدِّ والتهيُّؤ، وقال: اللهمَّ خذِ العيونَ والأخبارَ عن قريشٍ

حتى نَبْغَتَهَا في بلادِها، فتجهّز الناس[1].

ورغم كل الاحتياطات في التعمية عن قريش في أن لا يصلَ الخبر إليها خبر غزو النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لهم يوم فتح مكة، إلا أن أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كتب بالخبر إلى قريش وهو حاطبُ بن أبي بَلْتَعَة ﷺ يخبرهم بمجيئه، لكن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عفا عنه لأنه كان بدرياً.

وإليكم القصة كما رواها البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، وَأَبَا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[2]، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ المشْرِكِينَ، مَعَهَا صَحِيفَةٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى المشرِكِينَ، قَالَ: فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) السيرة النبوية ٥/ ٥٢، تاريخ الطبري ٢/١٥٥.

(٢) روضة خاخ موضع قرب جبل حمراء الأسد من المدينة المنورة، بعد ذي الحليفة للمتجه من المدينة المنورة إلى ينبع.

الاحداثيات: "٣٩°٣١'٠.٦٣ "٢٤°٢٢'٢٩.٠٨ .

قَالَ علي ﷺ: قُلْنَا: أَيْنَ الكِتَابُ الَّذِي مَعَكِ؟

قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَأَنَخْنَا بِهَا، فَابْتَغَيْنَا فِي رَحْلِهَا، فَمَا وَجَدْنَا شَيْئًا، قَالَ صَاحِبَايَ: مَا نَرَى كِتَابًا.

قَالَ علي: قُلْتُ: لَقَدْ عَلِمْتُ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لأُجَرِّدَنَّكِ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَتِ الجِدَّ مِنِّي، أَهْوَتْ بِيَدِهَا إِلَى حُجْزَتِهَا، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتِ الكِتَابَ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟!

قَالَ: مَا بِي إِلاَّ أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا غَيَّرْتُ، وَلاَ بَدَّلْتُ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ هُنَاكَ إِلاَّ وَلَهُ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ.

قَالَ: صَدَقَ، فَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْراً.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟

قَالَ: فَقَالَ: يَا عُمَرُ، وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ.

قَالَ: فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[1].

٦٤.تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية.

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..٦٠} [الأنفال].

وقال تعالى: {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧} [آل عمران].

إن من كمال الإعداد في سبيل الله تحضير كل ما يلزم الجيش في مسيره غير العتاد والسلاح، فقد كان يسير مع جيش رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِرَق تقوم على خدمة الجيش من نواح عدة كتجهيز الطعام، ومداواة الجرحى، وقد جعل الله التقصير في مساعدة الجيش بأي مساعدة ممكنة من علامات النفاق كما في الآية الثانية.

ولم تقتصر هذه الفرق على جنس الرجال، بل شاركت في ذلك الصحابيات الجليلات.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عَنْ رُبَيِّعَ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ، قَالَتْ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: نَسْقِي القَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ، وَنَرُدُّ القَتْلَى وَالجَرْحَى إِلَى المَدِينَةِ[2].

وروى مسلم رحمه الله عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، قَالَتْ: غَزَوْتُ مَعَ

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٩٨٣، صحيح مسلم ٦٥٥٧.

(٢) صحيح البخاري رقم ٥٦٧٩.

رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى[1].

وقد كان للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم طبٌّ خاصٌّ يُطَبِّب به صحابته الكرام، إنه الطب النبوي، إما بمسحة يده الشريفة، أو بتفلته الشريفة..، ومن ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله عن سَهْلٌ بن سَعْدٍ ﷺ قال: قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يوم خَيْبَرَ: لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ على يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

فَبَاتَ الناس لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يعطي، فَغَدَوْا كلهم يرجونه.

فقال: أَيْنَ عَلِيٌّ؟

فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ وَدَعَا له، فَبَرَأَ، كَأَنْ لم يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ.

فقال: أُقَاتِلُهُمْ حتى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟

فقال: انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عليهم، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لك من أَنْ يَكُونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ[2].

ولئن حرمنا مسحةً من يده الشريفة صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو

---

(١) صحيح مسلم رقم ١٤٢.

(٢)صحيح البخاري رقم ٢٧٨٣، ومسلم رقم٢٤٠.

تفلة من فمه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلقد أكرم الله هذه الأمة بطبٍّ غير متوقف إلى يوم القيامة، فقد أنزل الله تعالى الشفاء في أمور متعددة، ومن أهمها القرآن والرقية الشرعية بالدعاء، قال الله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ.. ٨٢} [الإسراء]، وقال أيضاً: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ٦٠} [غافر].

٦٥.تأمين الجبهات الداخلية.

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٠٧ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ١٠٨} [التوبة].

لم تهدأْ للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عينٌ مُذْ دخل المدينة المنورة، وكان بأس أعدائه من الداخل أشدُّ عليه من أعدائه من الخارج، إذِ اجتمع على عدائه أشدُّ الناس كفراً وهمُ اليهود، وأكثر الناس إذاية وخديعة وهم المنافقون، وأجهل الناس وهم الأعراب.

ورُوي في أسباب نزول قول الله تعالى السابق: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا..} أنَّ أناساً منَ المنافقينَ، ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ الفاسق: ابْنُوا مَسْجِدًا وَاسْتَعِدُّوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَآتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ وَأُخْرِجُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، فكانوا

يقولون: إذا رجع أبو عامرٍ منْ عندِ قيصرَ منَ الرومِ صلى فيه لينتصر على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُخَادِعُونَه فَقَالُوا: قَدْ فَرَغْنَا مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِنَا، فَنُحِبُّ أَنْ تُصَلِيَ فِيهِ، وَتَدْعُوَ لَنَا بِالْبَرَكَةِ، ففضحهم اللهَ وأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} إِلَى {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}، ثم بعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجلين لِيهدما عليهم المسجد ويحَرِقاه[1].

لذا كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ متيقظاً لكل ما يدور حوله من مكائد اليهود والمنافقين والأعراب، وكان أشدَّ التيقظ لما يكون في الجهاد، خوفاً على الجيش من اختراقه، ففي كل مسير كان النبي صبى الله عليه وسلم يوكل من الصحابة من يقومون بحراسة الجيش، وهكذا الأمر في حراسة المدينة المنورة من أن تُستباح من اليهود أو من المنافقين أو غيرهم.

ومن الشواهد على ذلك ما قاله الواقدي رحمه الله عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: هَمّتْ بَنُو قُرَيْظَةَ أَنْ يُغيروا عَلَى بَيْضَةِ الْمَدِينَةِ لَيْلًا، فَأَرْسَلُوا حُيَيّ بْنَ أَخْطَبَ إلَى قُرَيْشٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْهُمْ أَلْفُ رَجُلٍ وَمِنْ غَطَفَانَ أَلْفٌ فَيُغِيرُوا بِهِمْ، فَجَاءَ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ فَعَظُمَ الْبَلَاءُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَبْعَثُ سَلَمَةَ

(١)تفسير ابن كثير ت سلامة (٤/ ٢١١).

بْنَ أَسْلَمَ بْنِ حَرِيشٍ الْأَشْهَلِيّ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ يَحْرُسُونَ الْمَدِينَةَ، وَيُظْهِرُونَ التّكْبِيرَ وَمَعَهُمْ خَيْلُ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا أَصْبَحُوا أَمّنُوا.

فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَقَدْ خِفْنَا عَلَى الذّرَارِيّ بِالْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَشَدّ مِنْ خَوْفِنَا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ، وَلَقَدْ كُنْت أُوفِي عَلَى سَلْعٍ[1] فَأَنْظُرُ إلَى بُيُوتِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَيْتهمْ هَادِينَ حَمِدْتُ اللهَ عَزّ وَجَلّ، فَكَانَ مِمّا رَدّ اللهُ بِهِ قُرَيْظَةَ عَمّا أَرَادُوا أَنّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ تُحْرَسُ[2].

٦٦.هيكلة الجيش.

قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ٤} [الصف].

هذه الآية تدل على لزوم تنظيم الجيش في جميع حالاته؛ أثناء المعارك وفي غيرها، والتنظيم يعني ترتيب الأولويات، والموازنة بين وحدات الجيش، والتقدير الزماني والمكاني لكل ما له علاقة بالجيش.

فكان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يعين العُرفاء على الكتائب، أثناء مسيرهم وأثناء قتالهم، ويعيّن موقع كل كتيبة في أرض المعركة، وينظِّم صفوف القتال كتنظيمه لصفوف المصلين في الصلاة، ويقدم الكتائب

---

(١) هو جبل سلع، وهو المطل على المساجد السبعة.

الاحداثيات: "٢٤°٢٨'٣٦.٠٩ "٣٩°٣٥'٤٥.٦٤

(٢) مغازي الواقدي ١/٤٦٠.

الاستطلاعية، ويقوم على تعيين كل شخص في مكانه الملائم له.

ومن نماذج الترتيب في تنظيم المسير ما رواه أبو داود وغيره أبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيّ أنه قال: كان الناس إذا نَزَلَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مَنْزِلًا [للاستراحة] تَفَرَّقُوا في الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ.

فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ في هذه الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إنما ذَلِكُمْ من الشَّيْطَانِ، فلم يَنْزِلْ بَعْدَ ذلك مَنْزِلًا إلا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ، حتى يُقَالَ لو بُسِطَ عليهم ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ[1].

وعن مُعَاذِ بن أَنَسٍ الْجُهَنِيّ أنه قال: غَزَوْتُ مع نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم غَزْوَةَ كَذَا وَكَذَا، فَضَيَّقَ الناس الْمَنَازِلَ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَبَعَثَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى اله عليه وعلى آله وسلم مُنَادِيًا يُنَادِي في الناس أَنَّ من ضَيَّقَ مَنْزِلًا أو قَطَعَ طَرِيقًا فلا جِهَادَ له[2].

وأما عن تقسيم جيش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكان يُقسم إلى خمسة أقسام، على النحو التالي:

١ــ المقدمة: وهي التي تكون أمام الجيش وتكون في طليعة القلب، ويكون فيها الفرسان والرجَّالة، ويكون معهم الراية والشعار،

---

(١) سنن أبي داوود رقم٢٦٢٨.

(٢) سنن أبي داوود رقم٢٦٢٩.

ويُبدأ بهمُ القتال، بعد أن يقوم النَّشَّابة برشق الأعداء بالسهام.

روى البخاري رحمه الله عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: إِذَا أَكْثَبُوكُمْ -يَعْنِي كَثَّرُوكُمْ- فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ(١).

٢ــ **القلب**: وهو الذي يكون في وسط الجيش، ويكون قائد الجيش فيه ومعه المستشارون والوزراء، ويكون الحماة من حوله لحمايته، ومهمته الإشراف على جميع تحركات الجيش وتوجيهها، ومساعدة الميْمَنةِ والميْسَرة، ولا يتحرك في اتباع العدو إلا إذا هرب، أو يتحرك لدفع عدوه إذا أقبل عليه.

٣ــ **الميمنة**: وهي التي تكون على يمين القلب، ومهمتها أن يبدؤوا بالحملة على ميسرة عدوهم، ليزيلوهم عن مراكزهم لإحداث الخلل في جيش العدو، ويكون أكثرهم من الفرسان.

٤ــ **الميسرة**: وهي التي تكون على يسار القلب، ومهمتها الثبات في أماكن تمركزهم، ومنع الأعداء من اختراق الجيش، وليس مهمتهم الهجوم إلا إذا اضطروا إلى ذلك اضطراراً ملزماً.

٥ــ **الساقة**: وهم الذين يكونون في مؤخرة الجيش، ومهمتهم الأساسية حماية الجيش من الخلف حتى لا تتزعزع صفوفه الأمامية،

---

(١) صحيح البخاري رقم ٣٩٨٥.

ويقومون بجمع ما يخسره العدو، ويكون معهم مؤن الجيش وما يحتاجه من عتاد[١].

هذه هي الأقسام الأساسية للجيش وقد تكون هناك فرق أخرى ولها مهمات كالاستطلاع والتقدم أمام الجيش لكشف الأخبار والأحول عن تحركات العدو، أو حماية الجيش من مَنْفَذٍ قد يأتي العدو منه، كفرقة الرماة الذين وضعهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على جبل الرماة يوم غزوة أحد.

قال ابن هشام رحمه الله أثناء حديثه عن غزوة أُحد:.. ومضى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حتى نزل الشِعب من أحد، في عدوة الوادي[٢] إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتلنَّ أحدٌ منكم حتى نأمرَه بالقتالِ.

وأمَّر على الرماة عبد الله بن جُبير ﷺ، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثياب بيض، والرماة خمسون رجلاً، فقال: انضحِ الخيلَ عنَّا بالنبلِ، لا يأْتُونا من خلْفِنا، إنْ كانتْ لنا أو علينا، فاثبتْ مكانَك لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِكَ[٣].

---

(١) صيد الذاكرة الباصرة من آثار الوطن الحبيب: قائمة أو داثرة. د. تنضيب الفايدي ص١٨٤.

(٢) أي جانب الوادي.

(٣) سيرة ابن هشام ١٢/٤ يراجع القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلمَ للدكتور عبد الله مُحَمَّد الرشيد ص٤٢٤.

٦٧.تحصين الجند.

قال الله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ٨١} [النحل].

إنَّ من أكبر مهمات القائد في الحفاظ على حياة جنده هو تحصين جنوده في لباسهم وسلاحهم من أذية الأعداء، وهذا له أشكال متعددة بعضها يتعلق بالجندي كلباسه، وبعضها خارجة عنه كالستائر الترابية أو الحديدية.

وقد يكون بصناعة الأكنان أو المخابئ في الجبال حيث يحتمي بها الجنود، وما يملكونه من عتاد، فلا تصيبهم نيران العدو، كما توحي بذلك الآية السابقة.

فيلزم أن يكون لباس الجند من دروع وغيرها مانعاً من أن يصل ضرر سلاح العدو إليه في الحرب، وهذا ما امتنَّ الله به على عباده في الآية السابقة؛ لأنه هو الذي علم الإنسان وألهمه كيف يتحصَّن من عدوه.

ولقد جاء التصريح بفضل الله تعالى ومِنَّتِه على داود عندما علمه صناعة اللباس الذي يحمي المقاتل من ضرر سلاح العدو، وهذه الصنعة استفادت منها البشرية فقال تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ٨٠} [الأنبياء].

وكان من أساليب تحصين الصحابة يوم غزوة الأحزاب في مواجهة

ضرباتهم، أن جعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التراب النَّاتِجَ عن حفرِ الخندقِ إلى جهة المدينة؛ ليحقق ارتفاعاً أكبرَ له، ويكون ساتراً طبيعياً يحميهم من ضربات المشركين.

وأما عن مظاهر حماية الأجساد باللباس المدعم بالدروع والحِلَق الحديدية فحَدِّث ولا حرج، فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله سلم أحياناً يلبس دِرْعين، لتأمين حماية أكبر لجسده الشريف كما فعل في غزوةِ أُحُد، وقد جاء وصف لباس النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته في حديث العباس مع أبي سفيان رضي الله عنهما يوم فتح مكة..

حيث قَالَ ﷺ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَسْلِمْ، وَاشْهَدْ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قَالَ: فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا.

قَالَ: نَعَمْ؛ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ[1]، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا.

---

(١) تقدم بيان هذا المكان تحت عنوان: السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.

قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنْ أَحْبِسَهُ قَالَ: وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ، قَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ، قَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ؟ حَتَّى تَعَدَّتِ الْقَبَائِلُ لا تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلا قال: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: بنو فُلانٍ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِبَنِي فُلانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي الْخَضْرَاءِ؛ كَتِيبَةٌ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لا يَرَى مِنْهُمْ إِلا الْحَدَقَ [أي العيون]، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَنْ هَؤُلاءِ يَا عَبَّاسُ؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، قَالَ: مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طَاقَةٌ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مِلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ[1].

٦٨.اختبار كفاءة الجند.

قال الله تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩} [البقرة].

الكفاءة الحربية للجند تعني التجهيز المادي والمعنوي من سلاح وعتاد

(١) المعجم الكبير للطبراني رقم ٧١١٥.

ومعنويات، ومعرفة مدى قدراتهم القتالية الفورية والمستقبلية، وقد كان من دأب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل خوض أي معركة أن يقوم على تفقُّدِ جاهزية جيشه، ينظم الصفوف، ويعدل القوى في موازنة الجيش، ويتفقد الأقوياء ويضعهم في مكانهم الصحيح، ويتفقد الضعفاء ويرتب أحوالهم للحفاظ على أرواحهم، وإن لم يكن بالمقاتل قدرة على القتال ردَّه، ولم يسمح له بخوض المعركة.

ومن أساليب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في انتقاء المقاتلين ممن يُشَكُّ في قدراتهم هو إجراء الاختبار الحربي عليهم، كالمصارعة والرماية.

ومن الشواهد على ذلك ما ذكره ابْنُ هِشَامٍ في معرض غزوة أُحُد: وَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَوْمئِذٍ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ الْفَزَارِيّ وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ وَهُمَا ابْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ قَدْ رَدّهُمَا، فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ إنّ رَافِعًا رَامٍ، فَأَجَازَهُ فَلَمّا أَجَازَ رَافِعًا، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ، وَرَدّ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ وَالْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ وَعَمْرَو بْنَ حَزْمٍ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجّارِ وَأُسَيْدَ بْنَ ظُهَيْرٍ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ ثُمّ أَجَازَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً[1].

٦٩.تفقد الموارد الطبيعية.

(١) الروض الأنف ٣/٢٤٩.

قال الله تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ١١} [الأنفال].

الماء والطعام للجند والكلأ للدواب من أهم حاجات الجيش في ساحات الوغى، وهذا ما امتنَّ الله به على المسلمين يوم معركة بدر، حيث أنزل عليهم المطر ليطهرهم به، كما يفهم من الآية السابقة، ثمَّ تمم فضله عليهم بأن هداهم ليأخذوا أفضل المواقع في معركة بدر، بالاستيلاء على آبار بدر.

فكان من أعظم سياسة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في إدارة المعارك هو دراسة الأرض التي يحارب عليها، بكل ما تحويه من موارد طبيعية كمياه الآبار والينابيع، أو تضاريسية كمعرفة مواقع الجبال والوديان، وماذا عسى أن يستفيد منها.

وقد مرَّ معنا كيف قام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومعه أبو بكر الصديق ﷺ، بجولة استطلاعيَّة لميدانِ معركة بدر لمعرفة مكان نزول المشركين، ثم اختار مكان المعسكر عند آبار بدر بحيث يشرب المسلمون منها، ولا يشرب المشركون.

قال ابن هشام رحمه الله تعالى أثناء حديثه عن غزوة بدر: نزل رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصديق ﷺ حَتّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمّدٍ

وَأَصْحَابِهِ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ.

فَقَالَ الشّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتّى تُخْبِرَانِي مِمّنْ أَنْتُمَا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إذَا أَخْبَرْتَنَا أَخْبَرْنَاك.. [1].

ثم أخذ منه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جميع المعلومات عن موطن نزول قريش، ولم يعطه معلومة واحدة.

وذكر ابن هشام وغيره في غزوة بدر أَنّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟

قَالَ: بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلِ فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرّأْيِ[2].

وفضلاً عن ذلك كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوم بالإشراف الصحي على موارد المياه، حتى لا يتضرر أحد من الجند بالماء، كأن يكون بالماء ضرر؛ من تلوث أو غيره، وقد عُرِضَ عليه صلى الله عليه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٦١٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠.

وعلى آله وسلم يوم أحدٍ ماءٌ قد تغَيَّر طعمه فلم يشرب منه.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه مسلم رحمه الله عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ ﷺ في معرض الحديث عن غزوة تبوك، أنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إن شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوكَ(١)، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حتى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فلا يَمَسَّ من مَائِهَا شيئاً حتى آتِيَ.

فَجِئْنَاهَا وقد سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ [أي الشريط الجلدي فوق النعل] تَبِضُّ بِشَيْءٍ من مَاءٍ [أي قليل].

قال: فَسَأَلَهُمَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: هل مَسَسْتُمَا من مَائِهَا شيئا؟

قالا: نعم، فَسَبَّهُمَا النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقال لَهُمَا ما شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ.

قال: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ من الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حتى اجْتَمَعَ في شَيْءٍ.

قال: وَغَسَلَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيه يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فيها، فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، ــأو قال: غَزِيرٍــ.. حتى

---

(١) عين تبوك في مدينة تبوك وتسمى البركة، وبجانبها قلعة صغيرة، وعندها على نحو ٢٠٠ متر مسجد للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى فيه مدة إقامته في تبوك.

الاحداثيات: "٣٨.٢٢'٣٣°٣٦ "٠٦.٥٨'٢٢°٢٨ .

اسْتَقَى الناس.

ثُمَّ قال أي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يُوشِكُ يا مُعَاذُ إن طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى ما ها هنا قد مُلِئَ جِنَانًا(١).

والشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم منع أيَّ واحد من مسِّ الماء ما لم يأت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا المنع كان لمصلحة الجند، ولم يحدِّد في الحديث سبب المنع، فيحمل على وجود ضرر بالماء قد يلحق الجيش، أو على أن الماء قليل وأراد النبي صلى الله عليه على آله وسلم تكثير الماء، معجزة من الله تعالى كي يفيَ الماء للعدد الكبير من الجيش، والمهم أن مسؤولية حفظ موارد الطاقة من أكل وشرب هي منوطة بقائد الجيش.

ملحظ: يُحمل السبُّ الوارد في الحديث على التوبيخ الشديد، وليس كما يتبادر للذهن من اللعن والشتم، إذ ليس من أخلاقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا.

٧٠.تحسس الأحوال الجوية والاستعداد لكوارثها.

قال الله تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١ .. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ٣} [العاديات].

أشارت الآية السابقة إلى أنَّ الخيل من أفضل سلاح الحرب لما لها من جرأة في الإغارة وما تتميز به من السرعة، ثم بيَّنَ الله أنَّ أفضل الأزمنة في

(١) صحيح مسلم رقم٧٠٦.

نشاطها القتاليّ هو الصبح.

فإذا كانت الخيل يُختار لها أفضل الأوقات لِعَدْوِها، فمن باب أولى أن يُختار أفضل الأحوال الجوية لقتال الجند.

وتقدم أن ذكرت أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعمد إلى استغلال الظروف الجوية عند إجراء القتال؛ كأن يتناسب مع الطقس من حرٍّ وبرودة وهبوب رياح، ومع الاتجاهات الغربية والشرقية، كاستقبال شمس واستدبارها، واستغلال وجود غيم وما أشبه ذلك؛ وقد جاء في صحيح البخاري: أنه كَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، انْتَظَرَ حَتَّى تَهُبَّ الأَرْوَاحُ، وَتَحْضُرَ الصَّلَوَاتُ[1].

لأن الرياح تهب غالباً بعد الزوال فيحصل بها تبريد حدة السلاح والحرب وزيادة في النشاط[2].

وزيادة على ذلك فقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَتَحَسّسُ الأحوال الجوية؛ سواء كان بوحي من الله تعالى، أم باجتهاد منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويُنذِر بالاستعداد لها، وما قد يلاقيه الجُندُ بسببها من كوارثَ ومتاعب.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه مسلم عن أبي حُمَيْدٍ سَهْلِ بن سَعْدٍ

(١) صحيح البخاري رقم ٣١٦٠.

(٢) فتح الباري ٦/١٢٠.

السَّاعِدِيِّ في أحداث غزوة تبوك أنه قال: خَرَجْنَا مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم غَزْوَةَ تَبُوكَ.. حتى قَدِمْنَا تَبُوكَ، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فلا يَقُمْ فيها أَحَدٌ مِنْكُمْ؛ فَمَنْ كان له بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حتى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طيء..(١).

٧١.اتخاذ المُساندين في أرض المشركين.

كان من عظيم خطط النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتخاذ الأنصار في أرض الأعداء، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، ولهؤلاء المساندين مهمَّات متعددة أعلاها توصيل الأخبار للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن مهماتهم تشكيل دروع قتالية أو دفاعية حربية للفصل بين دولة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين دولة المشركين، ومن مهماتهم حرب العصابات على المشركين، ومن مهماتهم مساعدة المسلمين الضعفاء في أرض الكفر، وغير ذلك.

---

(١) صحيح مسلم رقم١٣٩٢.

وجبلي طيء هما من جبال حائل، واسمهما أجأ وسلمى .

جبل سلمى: "٤٢°٢٧'١٧.٨٩ "٢٧° ٩'٢٥.٥٧

جبل أجا: "٤١°٢٣'٥٢.٦٤ "٢٧°٢٨'٤.١٤ .

ومن الشواهد على ذلك من القرآن ما ذكره عن رجلين كانا مساندين لموسى عليه السلام، أولهما كان من آل فرعون من داخل القصر الفرعوني، والثاني من شيعة موسى عليه السلام.

قال الله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ٢٨} [غافر].

ومن الشواهد على ذلك من السيرة النبوية ما مرَّ معنا مما ذكره ابن هشام أنه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سأل وَفْد هَوَازِنَ بعد غزوة الطائف عَنْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ: مَا فَعَلَ؟

فَقَالُوا : هُوَ بِالطّائِفِ مَعَ ثَقِيفٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَخْبِرُوا مَالِكًا: أَنّهُ إنْ أَتَانِي مُسْلِمًا رَدَدْت عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَيْته مِئَةً مِنْ الْإِبِلِ.

فَأُتِيَ مَالِكٌ بِذَلِكَ، فَخَرَجَ إلَيْهِ مِنْ الطّائِفِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ خَافَ ثَقِيفًا عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَالَ لَهُ مَا قَالَ، فَيَحْبِسُوهُ، فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ، فَهُيِّئَتْ لَهُ وَأَمَرَ بِفَرَسٍ لَهُ فَأُتِيَ بِهِ إلَى الطّائِفِ، فَخَرَجَ لَيْلًا، فَجَلَسَ عَلَى فَرَسِهِ فَرَكَضَهُ حَتّى أَتَى رَاحِلَتَهُ، حَيْثُ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُحْبَسَ فَرَكِبَهَا، فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَدْرَكَهُ

بِالْجِعْرَانَةِ[1] أَوْ بِمَكّةَ، فَرَدّ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَاهُ مِئَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إسْلَامُهُ..

فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ ثُمَالَةُ وَسَلِمَةُ وَفَهْمٌ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا، لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ إلّا أَغَارَ عَلَيْهِ حَتّى ضَيّقَ عَلَيْهِمْ[2].

٧٢.لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد.

قال الله تعالى: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً.. ٩٥} [النساء].

وقال تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٨٨} [التوبة].

تقدَّم أن ذكرت في المقدمة أن الجهاد ينقسم إلى عدة أقسام وهي: جهاد العلم واللسان والقلب واليد والقتال والرباط، وهذه الأنواع تكمل بعضها الآخر، لكن أعلاها في الجهاد من جمع بين جميع تلك الأنواع، وقد مدح الله تعالى في الآية السابقة مَنْ جمع بين نوعين من أنواع الجهاد، وهما جهاد القتال والمال، فكيف بِمَنْ جمع بين جميع أنواع الجهاد، فلا شكَّ في عِظَمِ مكانته عند الله تعالى وتكون منزلته أكبر من السابق.

---

(١) تقدم الحديث عن موقعها تحت عنوان كسب العدو بالطرائق الودية.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٩٠.

ومن الأدلة على تضافر جهاد المال مع النفس ما رواه أبو داود وغيره عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ما مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فيها أَحَبُّ إلى اللَّهِ من هذه الْأَيَّامِ؛ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ ولا الْجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ؟

قال: ولا الْجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ، إلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فلم يَرْجِعْ من ذلك بِشَيْءٍ(١).

ومن عظيم فضل الله تعالى على بعض الناس أنه كتبهم في المجاهدين وأعطاهم مثل أجورهم، وإن لم يسيروا مع جيش المسلمين، وهؤلاء كانوا أشبه بِمَنْ جاهد بماله وحبسه العُذر أن يجاهد بنفسه، وذلك فيما رواه الشيخان عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ: مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا(٢).

٧٣.العدد الأكمل في تعداد الجيش.

إن الغالب على حروب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتي حصل فيها قتال لم يكن هناك تكافؤ في عدد الجند بين جيش المسلمين والمشركين، بل الغالب كثرة عدد المشركين عن المسلمين، وكثرة العدد أو التكافؤ في القتال ليس بالقيمة الأساس في حدِّ الانتصار، بل هو كما قال

(١) سنن أبي داود رقم ٢٤٣٨، سنن الترمذي رقم ٧٥٧.

(٢) صحيح البخاري رقم٢٨٤٣، ومسلم رقم٥٠١١.

الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧} [مُحَمَّد].

والمعيار الثاني المأمور به هو قوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ..٦٠} [الأنفال].

لذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجهز العدد الذي يقدر عليه، ولا يُضُرُّه نقص العدد في تغيير مسار المعركة، فقد سبق أن أشرت أن زعيم المنافقين عبد الله بن أُبَي ابن سَلُول انسحب يوم أُحُدٍ بثلث جيش المسلمين، فلم يكن هذا الانسحاب هو السبب في خسارة المسلمين في الغزوة، بل لترك الرماة أمر النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الثبات على الجبل لحماية ظهر المسلمين.

وحاصل ما في الأمر أن الأمر في الحرب إعداد القدر الكافي منَ الجند، مع الأخذ بمفهوم الآيات السابقة، ففي أوائل غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي غزاها كان عدد جنوده نحو مائتين، وأما آخر غزوة غزاها وهي غزوة تبوك، فقد كان تعداد الجيش ٣٠٠٠٠ ثلاثون ألف مقاتل.

وعلى هذا درج الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فهم يعدون ما يقدرون عليه، والباقي يتكفل الله تعالى به، إن عملوا بكل ما استطاعوه، فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن عِيَاض الْأَشْعَرِي، قَالَ: شَهِدْتُ الْيَرْمُوكَ[1]، وَعَلَيْنَا خَمْسَةُ أُمَرَاءَ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَابْنُ حَسَنَةَ،

(١) تقدم الحديث عنها تحت عنوان: الأقسام الجهادية في التخطيط الاستراتيجي.

وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعِيَاضٌ.

قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: إِذَا كَانَ قِتَالٌ فَعَلَيْكُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ.

قَالَ: فَكَتَبْنَا إِلَيْهِ، إِنَّهُ قَدْ جَاشَ [أي تدفَّق] إِلَيْنَا الْمَوْتُ، وَاسْتَمْدَدْنَاهُ.

فَكَتَبَ إِلَيْنَا: إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكُمْ تَسْتَمِدُّونِي، وَإِنِّي أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَعَزُّ نَصْرًا وَأَحْضَرُ جُنْدًا؛ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْتَنْصِرُوهُ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَدْ نُصِرَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي أَقَلَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ، فَإِذَا أَتَاكُمْ كِتَابِي هَذَا فَقَاتِلُوهُمْ، وَلا تُرَاجِعُونِي.

قَالَ: فَقَاتَلْنَاهُمْ فَهَزَمْنَاهُمْ(١).

لكن جاءت البشرى من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أنَّ عدد جيش المسلمين لو وصل تعدَادُه إلى اثني عشر ألفَ مقاتل، ولا يستطيعون الزيادة عليه، فهؤلاء لن يُغلبوا بسبب القِلَّة، مهما بلغ تعداد عدوهم، بل بسبب آخر من تقصير مع الله، أو تقصير في الاستعداد المطلوب للمعركة، وهم قادرون على استكماله، فقد روى الترمذي وغيره عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أربعمائة، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، ولا يُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا من قِلَّةٍ(٢).

تنبيه: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن

(١) مسند الإمام أحمد ٣٢٦.

(٢) سنن الترمذي رقم١٥٥٥، سنن أبي داود رقم ٢٦١١، المستدرك رقم٢٤٨٩.

يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ٦٥ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٦٦} [الأنفال].

هذه الآية تتحدث عن المصابرة أمام العدو ومتى يجوز الفِرار منه، وأنه يجوز الفرار من العدو عندما يزيد عدد الكفار على ضعف عدد المسلمين، روى الطبراني رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: مَنْ فَرَّ مِنْ اثنينِ فقدْ فرَّ، ومَنْ فَرَّ مِنْ ثلاثةٍ لمْ يَفِرَّ(١).

والآية جاءت بلفظ الخبر لكن مفهومها الأمر، لأنه لو كان خبراً لم يقع الخبر بخلاف المخْبَر عنه، فدلَّ على أنه أمر المائة بمصابرة المائتين وأمر الألف بمصابرة الألفين.

٧٤.تعليم الجند الفنون الحربية.

قال الله تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ١٢} [الأنفال].

هذه الآية أصل عظيم في تعليم الفنون القتالية، إذ أمرهم الله تعالى بالضرب على الأعناق وهي مكمن القتل في الإنسان، وهذه المهارة لا تأتي

(١) المعجم الكبير رقم١١١٥١، ورجال الحديث ثقات. مجمع الزوائد ٣٢٨/٥.

إلا بتعليم الفنون القتالية.

من هنا تعددت أساليب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في التربية العلمية والعملية القتالية لجنده، كتعليم المصارعة بين الجند، والمسابقة بين الخيل ورفع الأثقال.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي اله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ سَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي أُضْمِرَتْ مِنَ الحَفْيَاءِ، وَأَمَدُهَا ثَنِيَّةُ الوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ فِيمَنْ سَابَقَ بِهَا[1].

وروى ابن ماجه وغيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ بِنَفَرٍ يَرْمُونَ فَقَالَ رَمْيًا بَنِي إِسْمَعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا[2].

وروى البيهقي أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لَا سَبَقَ إِلَّا فِي خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ[3].

٧٥.تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها.

إن تصنيع الأجهزة الحربية واتقان صناعتها داخل في الأمر الإلهي: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ

(١) صحيح البخاري رقم ٤٢٠، صحيح مسلم رقم ١٨٧٠.

والمواقع الواردة في الحديث تقدم الحديث عنها تحت عنوان: التربية البدنية للجنود.

(٢) سنن ابن ماجة رقم٢٨٠٥.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي رقم١٩٧٤٧.

وَعَدُوَّكُمْ ..٦٠} [الأنفال].

ولقد جاء الأمر بتصنيع الأجهزة الحربية واتقان صناعتها لداود عليه السلام؛ قال الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١} [سبأ].

وقال تعالى أيضاً: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ٨٠} [الأنبياء].

فهذا أمرٌ منَ الله تعالى لداود وامتنان عليه بأن يُتْقِنَ صناعة الدروع، ويجعل السَّرْد وهو نسج الحلقات الحديدية بشكل مُنْتَظم، بحيث لا تكون كبيرة فتؤذي مَنْ يلبسها، ولا تكون صغيرة فلا تؤدي في الحماية وظيفتها.

ولقد كانت الآية الأولى نِبراساً للمؤمنين في إعداد السلاح وتجهيزه وتصنيعه؛ لأنه من مقتضيات الإعداد للجهاد[1]، فكانت الصناعات الحربية الإسلامية في عصور العز للمسلمين تترافق مع متطلبات حاضرهم.

ويبدأ الإعداد للسلاح من إعداد الخيل ويقابله كل مركوب من طيَّارةٍ ودبَّابة وسيارة إلى غير ذلك، ودليل الاعتناء بكل آلة حرب ما رواه الشيخان عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: الخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ: لِرَجُلٍ أجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعَلى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فأمَّا الَّذي لَهُ أجْرٌ؛ فَرَجُلٌ ربَطَهَا في سَبِيلِ الله فأطالَ في مَرْجٍ أوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أصابَتْ في طِيَلِها ذَلِكَ مِنَ المَرْجِ أو الرَّوْضَةِ كانَتْ لَهُ حَسَناتٍ، ولَوْ أنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها فاسْتَنَّت شَرَفاً أوْ شَرَفَيْنِ، كانَتْ

(١) الحرف والصناعات في الحجاز ص٢١٠.

أَرْوَاثُهَا وآثَارُهَا حَسَناتٍ لَهُ، ولَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فشَرِبَتْ مِنْهُ، ولَمْ يُرِدْ أنْ يَسْقِيَهَا، كانَ ذَلِكَ حَسناتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا، وَلاَ ظُهُورِهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ.

وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَنِ الحُمُرِ، فَقَالَ: مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلاَّ هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨}[الزلزلة][1].

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجاب السائل الذي سأل عن اقتناء الحمير للجهاد بأن فيها الأجر، بسبب النية التي نواها في الخير، وبناء على ذلك فإنَّ كلَّ آلة تعدُّ للركوب له بها أجر إن نوى بها خدمة دين الله تعالى.

ولقد ذكرت من قبلُ أن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أمر بعض الصحابة كسلمان الفارسي ﷺ بصناعة المنجنيق ونصبه على حصن الطائف.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٧٣٥٦، صحيح مسلم رقم ٩٨٧.

قوله: "في مرج أو روضة" المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيها الدواب أي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت والروضة الموضع الذي يستنقع فيه الماء، قوله: "طيلها" بكسر الطاء المهملة وفتح الياء آخر الحروف بعدها لام وهو الحبل الذي ترتبط به ويطول لها لترعى، قوله: "فاستنت" من الاستنان وهو العدْو، و"الشرف" الشوط. عمدة القاري ١٥١/١٤، النهاية لابن الأثير ٣١٥/٤.

وَقد جاء في الصحيح الترغيبُ بصناعة الأسلحة فعَنِ المِقْدَامِ بنِ مَعْدِي كَرِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ(١).

٧٦.الدعاية الحربية.

قال الله تعالى واصفاً حال المنافقين: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٤٧} [التوبة].

إن الدعاية الحربية هي من أجلِّ العمليات الحربية النفسية وهي من أهمِّ الأسباب تأثيراً، ولا تقتصر على العدو بل تشمل الجند والشعب أيضاً، وغالب تخطيطها للمستقبل، لهدف ينشده القائد في نفس المدعو، ومن أهمها زرع الثقة في نفوس المجاهدين وطرد وساوس الشياطين، وهذا من مفهوم الآية السابقة.

وقد مرَّ معنا من قبل في قِصَّة غزوة بني المصْطَلِق وما قاله زعيم المنافقين عَبْدُ اللهِ بْنِ أُبَيّ ابن سلول من قول آثم في حق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لئنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنّ الْأَعَزّ مِنْهَا الْأَذَلّ.

فلما بَلَغَ ولده عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ الّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ .. أَتَى رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إنّهُ بَلَغَنِي

(١) صحيح البخاري رقم٢٠٧٢.

أَنّك تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ فِيمَا بَلَغَك عَنْهُ؛ فَإِنْ كُنْت لَا بُدّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إلَيْك رَأْسَهُ، فَوَاَللهِ لَقَدْ عَلِمَتْ الْخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرَّ بِوَالِدِهِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلُهُ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ يَمْشِي فِي النّاسِ، فَأَقْتُلُهُ فَأَقْتُلُ (رَجُلًا) مُؤْمِنًا، بِكَافِرٍ فَأَدْخُلُ النّارَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: بَلْ نَتَرَفّقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا.

وفي لفظ عند الترمذي فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: **دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**..

وَقَالَ: لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَا تَنْقَلِبُ حَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العَزِيزُ، فَفَعَلَ.

وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إذَا أَحْدَثَ ابن سلول الْحَدَثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الّذِينَ يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعَنّفُونَهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لِعُمَرِ بْنِ الْخَطّاب، حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ عنهم مِنْ شَأْنِهِمْ: كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ!؟ أَمَا وَاَللهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي اُقْتُلْهُ لَأُرْعِدَتْ لَهُ آنُفٌ [أي انتفخت واضطربت أنوفهم حميَّةً وعصبيَّة له] لَوْ أَمَرْتُهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْته.

قَالَ: فقَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاَللهِ عَلِمْتُ لَأَمْرُ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى

آلهِ وسلَّمَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي[1].

ومن نماذج الدعاية الحربية إنشاد الشعر فهو بمثابة القنوات الفضائية، ومن أقوى أنواع الجهاد العمل الإعلامي.

ومن الشواهد ما روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ..

قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَقُولُ لِحَسَّانَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ[2].

٧٧.الإعلام الحربي.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ

---

(١) الروض الأنف ١٤/٤، سيرة ابن هشام ٣٠١/٣.

(٢) صحيح مسلم رقم٦٤٧٨.

وقال في نهاية الأرب في فنون الأدب (٣٤٥/١) : قال حسان في أبي سفيان بن الحارث قبل إسلامه:

أبوك أبٌ حرٌ وأمك حرةٌ ... وقد يلدُ الحرانِ غيرَ نجيب

فلا تعجبن الناس منك ومنهما ... فما خبثٌ من فضةٍ بعجيب

عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١} [المائدة].

إن في مقابل الدعاية الحربيَّة الإعلام الحربي وهو من أجلِّ الوسائل العملية في نشر ثقافة الجهاد الصحيحة، وفي توجيهه في المسار الصحيح، وتطهيره من كل ما يشوبه أفكار سيئة وهدامة.

ومن جانب آخر لا يقتصر الإعلام الحربي على الجند والمسلمين، بل يشمل العدو، للعمل على إيصال الدعوة بِطُرُق سِلْميَّة قبل القيام بأي عمل حربي، ويشمل أيضاً الوسائل والطرائق النفسية في إدخال الرعب على قلوب الأعداء، أو إدخال الإسلام بالطرائق الودية، وهذا من مفهوم قول الله تعالى السابق.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الطبراني وغيره عن مُحَمَّدِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ أنه قَالَ: جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْحِجْرِ [حِجر إسماعيل عتد الكعبة] بِيَسِيرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَصْحَابَهُ، وَيَلْقَوْنَ مِنْهُمْ عَنَتًا إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى أَصْحَابِ بَدْرٍ.

قَالَ: فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ [بئر بدر] بِمَصَائِبِهِمْ.

فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللهِ ما فِي الْعَيْشِ خيْرٌ بَعْدَهُمْ.

وَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ: صَدَقْتَ، وَاللهِ لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي قَضَاؤُهُ، وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ،

فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً؛ ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ.

فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَانُ فَقَالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُسْوَتُهُمْ مَا بَقُوا لَا يَسَعَهُمْ شَيْءٌ نَعْجِزُ عَنْهُمْ.

قَالَ عُمَيْرٌ: اكْتُمْ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنَكَ.

قَالَ: أَفْعَلُ.

قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ فَشُحِذَ وَسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَذَاكَرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ قَدْ أَنَاخَ بِبَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ فَقَالَ: هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرٍّ، هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا وَحَذرَنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا عَدُوُّ اللهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ.

قَالَ: فَأَدْخِلْهُ.

فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَبَّبَهُ بِهَا، وَقَالَ عُمَرُ لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فاجْلِسُوا عِنْدَهُ وَاحْذَرُوا هَذَا الْكَلْبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ.

ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَعُمَرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ.

فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ، ادْنُ

يَا عُمَيْرُ، فَدَنَا.

فَقَالَ: أَنْعِمُوا صَبَاحًا ـ وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلَامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ الْعَهْدِ بِهَا.

قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟

قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ.

قَالَ: فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟

قَالَ: قَبَّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئًا.

قَالَ: اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟

قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِهَذَا.

قَالَ: بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَتَذَاكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ فَقُلْتَ: لَوْلَا دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ صَفْوَانُ لَكَ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي، وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ.

قَالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللهِ، نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلَّا اللهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَسَاقَنِي هَذَا الْمَساقَ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ جَاهِدًا عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ، شَدِيدَ الْأَذَى عَلَى مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللهِ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَقْدُمَ مَكَّةَ فَأَدْعُوَهُمْ إِلَى اللهِ، وَإِلَى الْإِسْلَامِ لَعَلَّ اللهَ يَهْدِيهِمْ، وَإِلَّا آذَيْتُهُمْ كَمَا كُنْتُ أُؤْذِي أَصْحَابَكَ فِي دِينِهِمْ.

فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ صَفْوَانُ حِينَ خَرَجَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ قَالَ لِقُرَيْشٍ: أَبْشِرُوا بِوَاقِعَةٍ تَأْتِيكُمُ الْآنَ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وَكَانَ صَفْوَانُ يَسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبَانَ حَتَّى قَدِمَ رَاكِبٌ فَأَخْبَرَهُ عَنْ إِسْلَامِهِ، فَحَلَفَ أَنْ لَا يُكَلِّمَهُ أَبَدًا وَلَا يَنْفَعَهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا.

فَلَمَّا قَدِمَ عُمَيْرٌ مَكَّةَ أَقَامَ بِهَا يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ، ويُؤْذِي مَنْ يُخَالِفُهُ أَذًى شَدِيدًا، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ[1].

ومن نماذج ذلك أيضاً رسائل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعث السفراء للرؤساء والملوك، وكذلك مقابلة الوفود وخطابهم.

٧٨.رفع الكفاءة الحربية.

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...٦٠} [الأنفال].

هذا أمر من الله تعالى بوجوب الاستعداد الحربي للحاضر والمستقبل.

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٥٨، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ٢٨٦.

ورفع الكفاءة القتاليَّة على جميع المستويات سواء كان في التخطيط، أم في التدريبات وفق الأمر الإلهي السابق.. كان من أولى مهام الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التخطيط العسكري.

ففي أوائل الغزوات قد لا يجد المجند من جند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما يستر جسمه مما يَقِيهِ من بأس الحرب، كالدرع مثلاً، بينما في غزوة فتح مكة كانت كتيبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كلها في لباس من الحديد، كما مرَّ معنا في وصف ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي الْخَضْرَاءِ؛ كَتِيبَةٌ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لا يَرَى مِنْهُمْ إِلا الْحَدَقَ [أي العيون]، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَنْ هَؤُلاءِ يَا عَبَّاسُ؟

قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ.

قَالَ: مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طَاقَةٌ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مِلْكَ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا.

قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ[1].

وفي الغزوات الأولى قد يوجد الفرس الواحد أو الاثنين فقط، بينما عدد الأفراس في غزوة تبوك ١٠٠٠٠ عشرة آلاف أفراس.

وفي الغزوات الأولى كانت أكثر آلة القتال هي السيف والرمح، بينما

(١) المعجم الكبير للطبراني رقم ٧١١٥.

في غزوة الطائف استخدم نصب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ المنجنيق على أهل الطائف، واستعمل الدبابة، ونثر حول الحصن الحَسَك، وهو من وسائل الدفاع الثابتة.

في أوائل الغزوات كان التكتيك العسكري يجنحُ إلى المواجهة العسكرية العَلنيَّة، فقد قام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعدة غزوات الهدف منها التضييق الاقتصادي على قريش في تجارتها بسبب الأموال التي سلبتها منهم؛ مثل غزوة الأبواء[١] وبواط[٢] والعشيرة[٣] وغزوة بدر الكبرى، ولم ينجح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أي واحدة منها في

---

(١)في الأبواء أو ودان وهو واد وقرية شرق مستورة، وتعرف اليوم باسم الخريبة

الاحداثيات: "٤'٧.١٠ °٣٩ "٦'٢١.٩٧ °٢٣

(٢) في وادي بواط مقابل جبال رضوى، وكانت تمر فيه القوافل.

الاحداثيات: "٣٠'١٠.٨٨°٣٨ "٣٤'٦.٥٧°٢٤

(٣) العشيرة قرية اندثرت في أول ينبع النخل.

الاحداثيات: "٢٢'٥٣.٨٦°٣٨ "١٦'٢٢.٦٢°٢٤

ملحظ: ويراجع تفاصيل الغزوات من كتابي مصور غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة.

الاستيلاء الاقتصادي عليها، بينما في الغزوات الأخيرة والسرايا اعتمد أسلوب التخفي والكرّ والفَرّ، وسرعة النكاية والانسحاب.

كما مر معنا في غزوة فتح مكة والتهيؤ لها عندما بعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا قَتَادَة بن رِبْعي ﷺ في ثمانية نفر سرية إلى بَطْنِ إِضَمٍ، ليظنَّ ظانٌّ أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم توجه إلى تلك النَّاحية؛ ولِأنْ تذهبَ بذلك الأخبارُ إلى مَكَّة[1].

ومن ذلك أيضاً ما مرّ معنا عندما وجه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى غزو أهل أُبْنَى قَالَ له: يَا أُسَامَةُ سِرْ عَلَى اسْمِ اللهِ وَبَرَكَتِهِ حَتّى تَنْتَهِيَ إِلَى مَقْتَلِ أَبِيك، فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ، فَقَدْ وَلّيْتُك عَلَى هَذَا الْجَيْشِ، فَأَغِرْ صَبَاحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى، وَحَرّقْ عَلَيْهِمْ، وَأَسْرِعِ السّيْرَ تَسْبِقِ الْخَبَرَ، فَإِنْ أَظْفَرَك اللهُ فَأَقْلِلِ اللّبْثَ فِيهِمْ، وَخُذْ مَعَك الْأَدِلّاءَ وَقَدّمِ الْعُيُونَ أَمَامَك وَالطّلَائِعَ[2].

وكل ذلك يتماشى مع المبدأ القرآني الذي أمر الله تعالى به: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ..٦٠} [الأنفال].

---

(١) الطبقات لابن سعد ١٣٣/٢.

مر التعريف بالموقع تحت عنوان: التورية المكانية عند اختيار الجهة المقصودة للجهاد.

(٢) مغازي الواقدي ١١١٧/١.

مر التعريف بالموقع تحت عنوان: التورية المكانية عند اختيار الجهة المقصودة للجهاد.

فيلزم أن يترافق هذا الإعداد مع تطوُّرِ الزمان ومناسبة المكان.

٧٩.استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية.

قال الله تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ١٩٥} [البقرة].

إنّ الأصلَ في تمويل الجيوش وتسليحها والإنفاق عليها هو بيتُ مالِ المسلمين، لأنه من مهمات وليّ أمر المسلمين، وموارد بيت المال كثيرة، كالفيء [وهو كلّ مَالٍ أُخِذَ مِنَ الْكُفَّارِ بِغَيْرِ قِتَالٍ] والزكاة، وموارد باطن الأرض، والضرائب، والجمارك..

قال الله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠ } [التوبة].

وقال تعالى أيضاً: { مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ.. ٧} [الحشر].

وقد مرَّ على بيت مال المسلمين فتراتٍ لا مالَ فيه للإنفاق على الجيش، فكان من عظيم التخطيط الاستراتيجي عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هيَّأ جيشاً يعتمد على نفسه في تسديد نفقاته، فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أوَّلاً يُخرج مِنْ ماله لتجهيز الجيش، فقد روى الإمام أحمد وغيره عن عمر ضي الله عنه: إِنَّ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ كَانَتْ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، مِمَّا لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ بِخَيْلٍ، وَلا رِكَابٍ[1]،

(١) الغنائم التي لم تؤخذ بواسطة الحرب على الخيول والجمال، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةَ سَنَتِهِ، وَمَا بَقِيَ جَعَلَهُ فِي الْكُرَاعِ وَالسِّلَاحِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ(١).

وكان للصحابة جُهد كبيرٌ في تمويل الجيوش أيضاً، وكلٌّ على قدر استطاعته، فبعضهم لا يستطيع غير تجهيز نفسه، وبعضهم يستطيع تجهيز الاثنين والثلاثة، عملاً بقول رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: مَنْ لِمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِياً أَوْ يخلُفْ غَازِياً في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِقَارِعةٍ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَة(٢).

وقد أثنى الله على المؤمنين من أهل المدينة الذين أنفقوا أموالهم وكانوا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ .. ١٢٠ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [التوبة].

وجاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ما من أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فيها أَحَبُّ إلى اللَّهِ من هذه الْأَيَّامِ؛ يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ ولا الْجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ؟

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم٣٣٧.

(٢) أبو داود رقم ٢٥٠٣، وسنن ابن ماجه رقم (٢٧٦٢). وإسناد الحديث صحيح، رياض الصالحين ٢٤٧/١، وينظر مشارع الأنوار لابن النحاس ص١١١. قوله (أو يخلف) أي لم يقم بعده في خدمة أهله، بأن يصير خليفة له ونائباً عنه في قضاء حوائجه. قوله (بقارعة) أي: بداهية مهلكة، يقال: قرعه أمر، إذا أتاه فجأة. وجمعها قوارع.

قال: ولا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إلا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فلم يَرْجِعْ من ذلك بِشَيْءٍ(١).

واستطاع عثمان بن عفان ﷺ تجهيز جيشٍ بأكمله، هو جيش العُسْرة، فقد روى الطبراني وغيره عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ شَهِدَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ أَيَّامَ غَزْوَةِ تَبُوكٍ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِالصَّدَقَةِ، وَالْقُوَّةِ وَالتَّأَسِّي، وَكَانَتْ نَصَارَى الْعَرَبِ كَتَبُوا إِلَى هِرَقْلَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي خَرَجَ يَنْتَحِلُ النُّبُوَّةَ قَدْ هَلَكَ وَأَصَابَتْهُمْ سُنُونَ فَهَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَلْحَقَ دِينَكَ فَالْآنَ.

فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يُقَالُ لَهُ: الضَّنَادُ وَجَهَّزَ مَعَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَتَبَ فِي الْعَرَبِ، وَكَانَ يَجْلِسُ كُلَّ الْيَوْمِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَيَدْعُو اللهَ وَيَقُولُ: اللهُمَّ إِنْ تَهْلَكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ قُوَّةٌ، وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَدْ جَهَّزَ عِيرًا إِلَى الشَّامِ يُرِيدُ أَنْ يَمْتَارَ عَلَيْهَا [أي للتجارة]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ مِئَتَا بَعِيرٍ بِأَقْتَابِهَا وَأَحْلَاسِهَا، وَمِئَتَا أُوقِيَّةٍ، فَحَمِدَ اللهَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَكَبَّرَ النَّاسُ، ثُمَّ قَامَ مَقَامًا آخَرَ وَأَمَرَ بِالصَّدَقَةِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَاتَا مِئَتَانِ وَمِئَتَا أُوقِيَّةٍ، فَكَبَّرَ اللهَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، وَأَتَى عُثْمَانُ بِالْإِبِلِ، وَأَتَى بِالْمَالِ، فَصَبَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَا يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ(٢).

(١) سنن أبي داود رقم ٢٤٣٨، سنن الترمذي رقم ٧٥٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني رقم٥٧٧، وانظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رقم١٠٣٣١.

٨٠.تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله.

قال الله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ٢} [يوسف].

اللغة العربية معجزة إلهية وضعها الله في خلقه، وحفظها بقرآنه الكريم، ولولا القرآن الكريم لما نالت أفضل درجة بين لغات الأمم.

ولما كانت الأمة الإسلامية رائدة على الأمم فَرضَت لغتها، لا بالقَسْر بل بالمحبة والرغبة في أخذ جميع العلوم الطبيعية منهم عن طريق اللغة العربية، وبهذا تشهد كتب التاريخ.

وإن من أسوأ ما ابتليت به هذه الأمة في هذا العصر هو عجمية جميع العلوم الكونية من طب وصيدلة وهندسة وعلوم وغيرها ومثلها دفاتر التعريف بالأجهزة الإلكترونية وهذا في أكثر البلاد العربية، وهذا ما أخر التصنيع المحلي في البلاد العربية خاصة.

ويلاحظ أن كل البلاد التي تفوقت بصناعاتها قد اعتزت بلغتها، ولغة العلوم في هذه البلاد هي لغة بلدهم مثل تركيا واليابان والصين وفرنسا وغيرهم.

وأما العلوم العسكرية بما فيها التعريف بالأجهزة الحربية من طائرات ودبابات وأجهزة اتصال وتَنَصُّت فكلها من العُجْمة بمكان، إلا ما ندر منها، وفي الغالب لا يستطيع الجندي استخدامها ولا معرفة جميع فوائدها ما لم يتعلم لغتها، فما الفائدة أن تمتلك أفضل الأجهزة العسكرية أو الطبية أو

غيرها ولا يوجد مَنْ يفهمُ عليها بلغته؟!

ولقد دعا القرآن الكريم المسلمين إلى الصناعات الحربية، ومن ذلك قول الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١} [سبأ].

وقال الله تعالى أيضاً: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥} [الحديد].

فهذه الآيات من أعظم الآيات التي تقرن بين قوة الدين وقوة الحديد في تصنيعه المعدات الحربية، لأن العِدَّة الحربية إذا تصنَّعت على يد أي إنسان أخذت لغة المصنع أو لغة المصنعين.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير الآية الأخيرة: يَقُولُ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} أَيْ: بِالْمُعْجِزَاتِ، وَالْحُجَجِ الْبَاهِرَاتِ، وَالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ، {وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ} وَهُوَ: النَّقْلُ الْمُصَدِّقُ {وَالْمِيزَانَ} وَهُوَ: الْعَدْلُ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الْمُخَالِفَةُ لِلْآرَاءِ السَّقِيمَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} أَيْ: بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَهُوَ: اتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَطَاعَتُهُمْ فِيمَا أَمَرُوا بِهِ، فَإِنَّ الذي جاؤوا بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ حَقٌّ.

وَقَوْلُهُ: {وَأَنزلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} أَيْ: وَجَعَلْنَا الْحَدِيدَ رَادِعًا لِمَنْ

أَبَى الْحَقَّ وَعَانَدَهُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً تُوحَى إِلَيْهِ السُّوَرُ الْمَكِّيَّةُ، وَكُلُّهَا جِدَالٌ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَبَيَانٌ وَإِيضَاحٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَتِبْيَانٌ وَدَلَائِلُ، فَلَمَّا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ خَالَفَ شَرَعَ اللَّهُ الْهِجْرَةَ، أَمَرَهُمْ بِالْقِتَالِ بِالسُّيُوفِ لِمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ وَكَذَّبَ بِهِ وَعَانَدَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} يَعْنِي: السِّلَاحَ كَالسُّيُوفِ، وَالْحِرَابِ، وَالسِّنَانِ، وَالنِّصَالَ، وَالدُّرُوعِ، وَنَحْوِهَا. {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} أَيْ: فِي مَعَايِشِهِمْ كَالسِّكَّةِ وَالْفَأْسِ وَالْقَدُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} أَيْ: مَنْ نِيَّتُهُ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ نُصْرَةُ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} أَيْ: هُوَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، يَنْصُرُ مَنْ نَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ مِنْهُ إِلَى النَّاسِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ الْجِهَادَ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ(١).

وقد نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن استعمال الأجهزة الأجنبية مع وجود الأجهزة العربية، فقد روى ابن ماجة وغيره عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ قَوْسٌ عَرَبِيَّةٌ، فَرَأَى رَجُلًا بِيَدِهِ قَوْسٌ فَارِسِيَّةٌ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟! أَلْقِهَا وَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ وَأَشْبَاهِهَا، وَرِمَاحِ الْقَنَا فَإِنَّهُمَا يَزِيدُ اللَّهُ لَكُمْ بِهِمَا فِي الدِّينِ وَيُمَكِّنُ لَكُمْ فِي

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧.

الْبِلَادِ[1].

ولقد جاء النهي عن الاستعانة بالمشركين بكافة أنواع الاستعانة، من سلاح وقوة وغيرهما، إلا ما كان من ضرورة أو وجود معاهدة، ودليل ذلك ما رواه مسلم وغيره رحمه الله عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ[2] أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى وآله وسلم حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: جِئْتُ لأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ.

قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟

قَالَ: لاَ.

قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ.

قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ[3] أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ؛ قَالَ: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ.

---

(١) سنن ابن ماجة رقم ٢٨١٠.

(٢) حرة الوبرة على امتداد كبير في غرب المدينة المنورة، وتطل على وادي العقيق.

(٣) الشجرة في مسجد ذي الحُلَيفة، والحليفة: ميقات أهل المدينة ومن جاء من ناحيتهم، ويعرف اليوم «آبار علي»، وقد ذكرنا الاحداثيات تحت عنوان: تجنب المواجهة القتالية.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ[1]، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: فَانْطَلِقْ[2].

٨١. تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية.

قال الله تعلى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ.. ٦٠} [الأنفال].

إنَّ المؤسسة العسكرية هي المؤسسة الوحيدة التي هي بحاجة لجميع المؤسسات، وكذلك تحتاجها جميع المؤسسات، وهذه المؤسسات تنطوي على علماء في الطب والرياضيات والفيزياء والعلوم والجغرافيا وعلم الطوائف والفِرَقِ وعلم اللغات حتى علم الطبخ وعلم النفس وغير ذلك، وكل هذه الأمور تحتاجها المؤسسة العسكرية، فلا يمكن صناعة سلاح بدون علم الرياضيات والفيزياء مثلاً، ولا يمكن لجيش أن يحارب بدون أطباء، وطباخين..

وهكذا كانت المؤسسة العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تنطوي على جميع التخصصات، من تخصص الدعاية والإعلام، والطب والجغرافيا والصناعة والنُّظُمِ الدِّفَاعية..، كل ذلك عملاً بقوله تعالى: {..وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩} [آل عمران]، فالمشاورة تقتضي إشراك جميع أهل التخصُّصَات،

(١) هو الفسحة الكبيرة الذي قدام الحليفة، باتجاه طريق مكة.

(٢) صحيح مسلم رقم ٤٨٠٣.

وهذا من مقتضيات قوه تعالى السابق{قُوَّةٍ}، فهذه عامة في كل أمر نستطيع القيام به وجب علينا معرفته.

فكان أبو بكر الصديق ﷺ من أهم الوزراء للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الاستشارة في جميع شؤون الحرب، واستعان بالخبرة العسكرية في حفر الخندق بسلمان الفارسي ﷺ، وبالْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ ﷺ في تحديد مواقع الجيش، وكانت بعض الصحابيات كفاطمة الزهراء ﷺ يعملن كممرضات في معالجة جرحى المسلمين، واستعان ببُسْرِ بْنِ سُفْيَانَ الخُزاعيّ بالتجسس على قريش وقت الحديبية، ثم أخذ بدلالة بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيبِ لعلمه بالطرق في الدلالة على الطريق إلى الحديبية حينما أراد تجنُّبَ المواجهة مع خالد بن الوليد قبل إسلامه.

وأخيراً في غزوة الحديبية أخذ برأي أمِّ سلمة ﷺ بعد الانتهاء من الصلح فيه، وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أصعب الظروف بسبب ما لقيه من كفار قريش من صده عن المسجد الحرام، ثم لما أَمَرَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحابة بالتحلُّل من العمرة لم يستجب واحد منهم له، فكان لرأيها دور حاسم في حل عقدة الأمر.

روى البخاري وغيره عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أنه لَمَّا فَرَغَ ــالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلمــ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأَصْحَابِهِ: قُومُوا، فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا.

قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ.

فَخَرَجَ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[1].

٨٢.استراتيجية الاستثمار في المؤسسة العسكرية، والمحافظة على أموالها.

قال الله تعالى: {فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ١٧٤} [آل عمران].

روى النسائي رحمه الله وغيره في أسباب نزول الآية السابقة عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَغُوا الرَّوْحَاءَ، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرْدَفْتُمْ، وَبِئْسَ مَا صَنَعْتُمُ ارْجِعُوا.

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَنَدَبَ النَّاسَ فَانْتَدَبُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسْدِ..[2]، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: { الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ

---

(١) صحيح البخاري رقم٢٧٣١و٢٧٣٢.

(٢) تقدم التعريف بموضع غزوة حمراء الأسد عند قاعدة اختيار المواقع الاستراتيجية.

وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.. ١٧٢} [آل عمران].

وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم [في نهاية غزوة أحد]: مَوْعِدُكَ مَوْسِمُ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا.

فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أَهُبَّةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّقُوا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}(١).

إن أسوأ ما ابتليت به المؤسسات العسكرية في بعض الدول هو اعتمادها على باقي الوزارات في تغطية نفقاتها، بحيث تكون عالة على كل الوزارات، وليس لها دور إلا الاستهلاك، واستنزاف أموال الدولة على حساب الوزارات ونفقات الشعب.

وهذا ليس من الحكمة بمكان؛ لأن اقتصاد الوزارات في كثير الدول يتعرض لِنَكَبَات، تهوي به إلى الأسفل، وبالتالي ستتأثر المؤسسة العسكرية في نفقاتها، وتأثُّرها يعني ضعفها، وهذا الضعف له عواقب وخيمة لا تُحمد عقباها.

لذا كان من سياسة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل المؤسسة العسكرية مكتفية ذاتياً، وعلى هذا دلَّ القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما مرَّ في أسباب نزول الآية السابقة، فقد خرج المسلمون للقتال لميعاد أبي سفيان ومعهم تجارتهم، فجبنَ أبو سفيان وخارت عزيمته عن المواجهة ووصل

(١) سنن النسائي الكبرى رقم١١٠١٧.

المسلمون بدراً، فلم يجدوا مواجهة بل باشروا تجارتهم وربحوا الضعف حيث لا منافس لهم.

وقد أشرت من قبل في معرض الترغيب بصناعة الأسلحة إلى ما جاء في الصحيح عَنِ المِقْدَامِ بنِ مَعْدِي كَرِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ(١).

ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن ماجة رحمه الله عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ أنه قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ أَبِي عَنْ الرَّجُلِ يَغْزُو فَيَشْتَرِي وَيَبِيعُ وَيَتَّجِرُ فِي غَزْوَتِهِ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلَى آلِهِ وسَلَّمَ بِتَبُوكَ نَشْتَرِي وَنَبِيعُ وَهُوَ يَرَانَا وَلَا يَنْهَانَا(٢).

فهذه الأحاديث تحضُّ على جعلِ المؤسسة العسكرية ذات إنتاج ذاتي ومكتفية بنفسها، بل وتقوم على مساعدة غيرها، فقد كان جُلُّ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يقوم بتجهيز نفسه من سلاح وعتاد ومؤونة للحرب، وهذا من عظيم التخطيط الاستراتيجي في الاكتفاء العسكري للحرب، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١} [الصف].

(١) صحيح البخاري رقم٢٠٧٢.

(٢) سنن ابن ماجة رقم٢٨١٣.

فهذه الآية تدل على أن أعظم أنواع الجهاد هو ما اشترك الإنسان فيه بماله وجسده، وهذا ينطبق على من قام باستثمار أموال المؤسسة العسكرية، سواء كان من ماله الخاص بأن يخصص جزءاً من أرباح شركاته لصالحها، أو يقوم باستثمار أموال المؤسسة العسكرية نفسها في كافة الوجوه الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وأمنية وعلمية؛ كأن تستثمر أموالها في التعليم الجامعي وغير ذلك.

ويمكن للمؤسسة العسكرية اليوم الانخراط في كل الوزارات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، بحيث يكون لها رأس مال تعقد شراكات مع الوزارات الأخرى وغيرها، وتقوم على توظيف الجند في شتى القطاعات، وتقوم مثلاً على أخذ دور الحماية الأمنية للقطاع الحكومي والخاص، وتكون لها أراض مخصصة لها تقوم بزراعتها، وتخصص بعض الساعات للعمل في الأرض، ويكون لها مصانع، وهكذا، ويمكن أن تساهم في حماية دول أخرى مقابل أجر معلوم..

ومن أهم الأسباب في العناية بأموال المؤسسة العسكرية هو الائتمان عليها، وعدم سرقتها، أو تبذيرها، أو توكيل من لا يُحسن إدارتها.

لذا جاء من أعظم الوصايا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما يتعلق بالأمر السابق وغيره وهو ما رواه أحمد وغيره عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ: جَلَسَ مَعَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ،

وَالْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيِّ (رضي الله عنهم)، فَتَذَاكَرُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ فَقَالَ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، لِعُبَادَةَ: يَا عُبَادَةُ كَلِمَاتُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فِي غَزْوَةِ كَذَا، فِي شَأْنِ الْأَخْمَاسِ؟

فَقَالَ عُبَادَةُ..: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم صَلَّى بِهِمْ فِي غَزْوِهِمْ إِلَى بَعِيرٍ مِنَ الْمَقْسِمِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَتَنَاوَلَ وَبَرَةً بَيْنَ أُنْمُلَتَيْهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ مِنْ غَنَائِمِكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي فِيهَا إِلَّا نَصِيبِي مَعَكُمْ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ، وَأَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَصْغَرَ، وَلَا تَغُلُّوا؛ فَإِنَّ الْغُلُولَ نَارٌ وَعَارٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَجَاهِدُوا النَّاسَ فِي اللهِ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَلَا تُبَالُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَقِيمُوا حُدُودَ اللهِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عَظِيمٌ يُنَجِّي اللهُ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ[1].

٨٣.تعلم العلوم الشرعية، والحفاظ على الكفاءات العلمية.

مَنْ عَبَدَ اللهَ عَلَى جَهْلٍ فَكَأَنَّمَا عَصَاهُ.

إن الجهاد من أوجب العبادات التي يُتَقَرَّب بها إلى الله تعالى لما فيه من حفظ الدين وأهله، ولا يتحقق أداء هذا الواجب صحيحاً إلا بتعلم أحكامه خاصة، وتعلم باقي أحكام الدين عامة، وإن من أوضح الأدلة على وجوب تفقه الجندي قول الله تعالى: {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ

(١) مسند الإمام أحمد رقم٢٢٦٩٩.

فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ١٢٢} [التوبة].

ففي هذه الآية عدة أمور:

الأول: ساوى بين الجهادَين في النفير؛ جهاد العلم وجهاد السيف.

الثاني: أوجب على من نفروا إلى تعلم العلوم الشرعية أن يُعَلِّموا غيرهم من المجاهدين وغيرهم، وأن يتعلم هؤلاء منهم.

الثالث: حماية أهل العلم؛ لأن نفيرهم في جهة غير جهة القتال، فدل على أنهم بمنجىً عن الخطر.

وهذا لا يعني أن العلماء، وأهل المشورة ليس لهم مشاركة في الجهاد، بل لهم مشاركة لكن ينبغي الاحتياط على أرواحهم، لما ذكره أهل السيرة أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق في يوم بدر [وذلك قبل إسلامه] دعا إلى البراز، فقام إليه أبوه أبو بكر ﷺ ليبارزه، وقَالَ لرَسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم دَعْنِي أكن فِي الرَّعْلَة الأولَى [طليعة الخيل]، فقَالَ رسُول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : متعنَا بِنَفْسِك يَا أَبَا بكر، أما تعلمُ أَنَّك عِنْدِي بِمَنْزِلَة سَمْعِي وبصري[1].

هذا ومن أهم الأمور التي يلزم أن يتعلمها المجاهد، الوضوء، والتيمم، وأحكام النجاسات، وصلاة الخوف، وصلاة الجنائز، والمسح على الجبائر وغيرها مما يحتاجه المجاهد.

(١) السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ٢/٢٣١.

فتعلم هذه الأمور فيه تبرِئة لذمَّة المسلم بأن تكون عبادته على الوجه الصحيح، وقد يكون تعلم هذه الأمور سبباً لإنقاذ حياة مسلم، أو يكون الجهل بها سبب لموت مسلم، كما مر معنا من حديث أبي داود عن جَابِرٍ ﷺ أنه قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فقال: هل تَجِدُونَ لي رُخْصَةً في التَّيَمُّمِ؟

فَقَالُوا: ما نَجِدُ لك رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ على الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ.

فلَمَّا قَدِمْنَا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فقال: قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمْ الله! ألا سَأَلُوا إِذْ لم يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إنما كان يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِبَ على جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عليها وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ(١).

٨٤.دعم المؤسسة العَسْكَريَّة بالعلوم النفسية.

قال الله تعالى:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ٢٥} [التوبة].

قال الله تعالى:{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨} [التوبة].

من عظيم تكوين النفس أنه أقسم الله تعالى بها، وبما أودعه الله تعالى فيها من قابليتها للضلال أو الهدى، وكل إنسان يعمل بما تواطأت عليه

(١) سنن أبي داوود رقم٣٣٦.

نفسه، فكانت السبب الأول في نجاته أو هلاكه.

وتبقى مُهِمَّة علماء النفس هي تحليل المواقف الإيجابية والسلبية، ثم تعزيز المواقف الإيجابية، وتقديم الحلول للمواقف السلبية، وهذا الأمر يشمل جميع من يعمل في المؤسسة العسكرية من القائد العام مرورًا بالجندي إلى الطباخ، بل يقوم هؤلاء المختصون على تحليل نفسية العدو الخصم، وبيان ما عنده من دوافع ورغبات، وكيفية الوصول إليه، والحيازة عليه، وفي الآية الأولى بين الله سبب الهزيمة في حنين وهو إعجاب النفوس بكثرة الجنود، فأراد الله أن يعلمهم أن الكثرة ليست من أسباب النصر، وأن الناصر الحقيقي هو الله تعالى.

وكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستعين بوزراء كأبي بكر ﷺ لتحليل المواقف، والحكم عليها، ومن ثمَّ تقديم الحلول لها.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه أحمد وغيره عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ.. قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ زَمَانَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعِ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ.

وَسَارَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ قَرِيبٌ مِنْ عُسْفَانَ[1]، أَتَاهُ عَيْنُهُ الْخُزَاعِيُّ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ

(١) تقدم التعريف بالأماكن تحت عنوان: الشورى.

كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ قَدْ جَمَعُوا لَكَ.. الْأَحَابِيشَ وَجَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ.. أَوْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقَاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: فَرُوحُوا إِذًا..

فَرَاحُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[1] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُوَ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ[2]، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ..

ثُمَّ قَالَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

---

(١) الغميم أي كُراع الغميم: يقع جنوب عسفان بـ ١٦كم بين الجموم وعسفان، على الطريق المتجهة لمكة على بعد ٦٤كم من مكة، وتعرف اليوم ببرقاء الغميم. معجم المعالم الجغرافية ٢٦٣/١. وقريباً منه قرية الشامية.

الاحداثيات: "٢١°٤٩'٣٨.٥٥"٣٩°٢٧'١٧.٦٦ .

(٢) الغبار الأسود الذي تثيره حوافر الدواب.

لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ..

وقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَأَصْحَابِهِ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ، فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوْمُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

قَالَ: فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَلَمْ أَرَ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِهِ.

فَقَالُوا: ائْتِهِ.

فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ.

فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُهُ، إِذْ جَاءَهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: سَهُلَ مِنْ أَمْرِكُمْ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا الْكَاتِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله

وسلم: اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ..[1].

وفي هذا الحديث بتمامه من الفوائد التربوية النفسية الكثيرة، ومنها:

١ــ استشارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحابة بقوله: ((أَشِيرُوا عَلَيَّ)) فهذا من أعظم مفاتيح استشراف النفوس ومعرفة ما بداخلها، ومعرفة توجهاتها، ومرامي قصدها.

٢ــ يلاحظ من موقف قريش أنها بعثت خالداً (قبل إسلامه) بكل زُهُوٍّ وتكبر لصدِّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، وكيف استطاع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تَجَنُّبَهُ، لا خوفاً منه، بل إنه ليس من أهدافه، وبهذا أشار أبو بكر الصديق ﷺ عندما قال: إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقَاتِلُ أَحَدًا..

٣ــ لما جاء الرجل الكنَاني أمرَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصحابة باستقباله بالجمال التي أُشْعِرت لنحرها في البيت الحرام قربةً لله تعالى، فأدخل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى قلبه أن هو رجل سِلْمٍ وليس برجلِ حرب، وانعكس هذا على نفسه بأن طلب من قريش ترك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والصحابة زيارة البيت الحرام.

٤ــ لما جاء مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ قال عنه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنه فاجر، لا يحترم شعائر الله، ولا يجري على يديه صلح.

٥ــ وبقدوم سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٨٩٢٨.

بأنه ستسهُل الأمور، وهذا من خبرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأحوال الرجال ونفسياتهم ومستوى أخلاقهم وفِراسته بهم.

ومن الشواهد التي مرَّ ذكرها معنا والتي تدل على خبرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بنفسية عدوه، وما لها من طاقات تؤثر في الآخرين ما رواه أحمد وابن حبان وغيرهما عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ أنه قَالَ: دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم **فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خالدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنَ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيَّ جَمَعَ لِيَ النَّاسَ لِيَغْزُوَنِي وَهُوَ بِنَخْلَةَ أَوْ بِعُرَنَةَ**[1] **فَأْتِهِ.**

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! انْعَتْهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ؟

قَالَ: آيَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ قُشَعْرِيرَةً.

قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى دُفِعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي ظُعُنٍ يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلاً حِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنَ الْقُشَعْرِيرَةِ..[2].

٨٥.حماية الحدود وتحصينها.

قال الله تعالى: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٢٠٠} [آل عمران].

كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أشد القادة تيقُّظاً لما يحيكه أعداؤه من كيد ضِدَّ دولته، وقد عمل على تحصين الدولة بإعداد

---

(١) تقدم الحديث عن هذه المناطق تحت عنوان التجسس على الأعداء.

(٢) مسند أحمد بن حنبل رقم ١٦٠٩٠ ، صحيح ابن حبان رقم ٧١٦٠ .

المرابطين في جميع أطراف دولة الإسلام، فكانت الأخبار تأتيه مباشرة عن أي تحرك هجومي ضد المسلمين، لذا حث الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ كما تقدم معنا عند الحديث عن فضل الرباط في سبيل الله وذكرنا بعض الأدلة ــ على ذلك ومنها ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: رباطُ يومٍ في سبيلِ اللهِ خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضعُ سوطِ أحدكم منَ الجنةِ خيرٌ منَ الدنيا وما عليها، والروحةُ يروحُها العبدُ في سبيلِ اللهِ أوِ الغدوةُ، خيرٌ منَ الدنيا وما عليها[1].

والرباط هو المقام في كل مكان يتوقع هجوم الأعداء منه، استعداداً للجهاد، إذا احتيج إليه؛ لإعزاز الدين وحراسة المسلمين، ودفع شر المشركين عنهم.

ومن أهم عدة الرباط رباط الخيل، ويقاس عليها جميع أنواع المراكب من طيارات وسيارات ومدرعات ودبابات.. والأصل فيه قوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ٦٠} [الأنفال].

ورباط الخيل يكون في كل مكانٍ، سواء كان في قرب العدو، أو في

(١) صحيح البخاري رقم ٢٧٣٥. و قوله: موضع سوط في الجنة يريد ما صغر في الجنة من المواضع كلها من بساتينها وأرضها

وسط البلاد؛ فكل من اتخذ خيلا بنية الرباط، صحَّت نيته وجوزي عليها خيراً؛ لما ذكرناه من حديث الشيخين عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه أَنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قال: الخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعَلى رَجُلٍ وِزْرٌ، فأَمَّا الَّذي لَهُ أَجْرٌ؛ فَرَجُلٌ ربَطَهَا في سَبِيلِ الله فأطالَ في مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أصابَتْ في طِيَلِها ذَلِكَ مِنَ المَرْجِ أو الرَّوْضَةِ كانَتْ لَهُ حَسَناتٍ، ولَوْ أَنَّها قَطَعَتْ طِيَلَها فاسْتَنَّت شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ، كانَتْ أَرْوَاثُهَا وآثَارُهَا حَسَناتٍ لَهُ، ولَوْ أَنَّها مَرَّتْ بِنَهْرٍ فشَرَبَتْ مِنْهُ، ولَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا، كانَ ذَلَكَ حَسناتٍ لَهُ.. (١).

والرباط في ثغور المسلمين وحياطتها، وعمارتها بكل مستلزماتها من أجهزة المراقبة واجب كالجهاد(٢)؛ بمعنى أنه فرض كفائي عندما يكون المسلمون متغلبين على أعدائهم، وفرضٌ عينيٌّ إذا قارب الكفار أرض الإسلام أو دخلوا بلداً مسلماً، ودليل ذلك ما مرَّ من قوله تعالى السابق {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ.. ٢٠٠}.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٧٠٥، صحيح مسلم رقم ٩٨٧.

قوله: "في مرج أو روضة" شك من الراوي والمرج موضع الكلأ وأكثر ما يطلق على الموضع المطمئن، والروضة أكثر ما يطلق على الموضع المرتفع وقال ابن الأثير: المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيها الدواب أي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت والروضة الموضع الذي يستنقع فيه الماء، قوله: "طيلها" بكسر الطاء المهملة وفتح الياء آخر الحروف بعدها لام وهو الحبل الذي ترتبط به ويطول لها لترعى، قوله: "فاستنت" من الاستنان وهو العدْو، و"الشرف" الشوط. عمدة القاري ١٤/١٥١، النهاية لابن الأثير ٤/٣١٥.

(٢) الفواكه الدواني ١/٤٠٦.

وقوله تعالى: {فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلاَةَ وَآتَوُاْ ٱلزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٥} [التوبة].

هذا ومحل الشاهد على وجوب الرباط هو قوله: {رابطوا}، وقوله تعالى: {وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}.

والمِرْصادُ: المكانُ يُرْصَدُ فيه العَدُوُّ، والرَّصَدُ: القوم يَرْصُدون كالحَرَس، قال الطبري رحمه الله تعالى: معناها: اقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كلّ طريق ومرقب، وهو من قول القائل رصدت فلاناً أرصُده رَصْداً، بمعنى: رقَبْتُه[1].

(١) تفسير الطبري ١٠/٥٥، لسان العرب مادة رصد.

الفصل الخامس: منطلق الخطط العسكرية.

٨٦. الجاهزية القتالية.

٨٧. التورية المكانية.

٨٨. اختيار المواقيت الزمانية.

٨٩. اختيار المواقع الاستراتيجية.

٩٠. استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب.

٩١. قطع الإمداد عن الأعداء.

٩٢. حرب العصابات في أرض الأعداء.

٩٣. الترشيد في استخدام الأسلحة.

٩٤. السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.

٩٥. تجنب المواجهة القتالية.

٩٦. مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها.

٩٧. نقل الحرب إلى أرض العدو.

٩٨. تبييت الغارات.

٩٩. المراسلات في المهمات العسكرية.

١٠٠. توحيد صفوف المسلمين.

٨٦.الجاهزية القتالية.

قال الله تعالى: {..وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ١٠٢} [النساء].

مَرَّ معنا أنَّ الله تعالى أباح في الحرب الصلاة بكيفية تختلف عما هو عليه في الصلاة العادية، وهي عبارة عن صلاة الخوف، والهدف من ذلك هو بقاء الجندي على أهبة الاستعداد القتالي، وحتى لا يجد العدو فرصة للغدر أو النيل من المسلمين؛ وإن كانت هناك ثمة عبادة، فكان من عظيم الشرع أن وازن بين سلامة الأبدان وصلاح الأديان.

ومن الشواهد على جاهزية القتال ما رواه الشيخان عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال كان رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَحْسَنَ الناس، وكان أَجْوَدَ الناس، وكان أَشْجَعَ الناس، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم رَاجِعًا، وقد سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ وهو على فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ، وهو يقول: لم تُرَاعُوا لم تُرَاعُوا، قال: وَجَدْنَاهُ [أي الفرس] بَحْرًا أو إنه لَبَحْرٌ، قال: وكان فَرَسًا يُبَطَّأُ[1].

وهذه شجاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما لها مثيل!

٨٧.التورية المكانية.

قال الله تعالى: {..وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ .. ١٠٢} [النساء].

لا يقتصر الحذر على تَرَقُّبِ الأمورِ السلبية والحساب لها، بل يشمل إعداد الخطط وتوقع المخاطر، وتداركها قبل وقوعها، فمعرفة العدو كيفية

(١) صحيح البخاري رقم٥٦٨٦، صحيح مسلم رقم ٢٣٠٧.

تحرك الجيش هو من المخاطر التي توقعه في شباك الصيد، وإخفاء التحركات عن العدو بإحدى الطرق وهي التورية هو من أخذ الحذر الذي أمر الله تعالى به، كما في الآية السابقة.

فالتورية عند اختيار الجهة المقصودة للجهاد أن تتكلم بكلام يفهم السامع منك شيئاً وتريد أنت شيئاً آخر تحاشياً للكذب، وهي من وسائل التمويه في الحرب، والأصل فيها ما رواه البخاري ومسلم عن جَابِر رضي الله عنهما أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: الْحَرْبُ خَدْعَةٌ(١).

والخداع إظهار أمر وإضمار خلافه وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن انعكاس الأمر عليه، ويصير بالتعريض وبالكمين والتزوير ونحو ذلك.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه الشيخان عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه قال: كان رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إلا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حتى كانت غَزْوَةُ تَبُوكَ(٢)، فَغَزَاهَا رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أهبة عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ

(١) صحيح البخاري رقم ٣٠٣٠، صحيح مسلم رقم ٤٦٣٧.

(٢) تقدم ذكر احداثيات الغزوة تحت عنوان "أهمية التعرف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي".

الذي يُرِيدُ[١].

وقد تكون التورية بالفعل، كما فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عندما أراد فتح مكة؛ إذ وجَّه سريةً بقيادة أَبِي قَتَادَةَ الْحَارِثِ بْنِ رِبْعِيٍّ ﷺ إلى بطن إِضَمٍ[٢]، بين ذي خُشُب[٣] وذي المروة[٤]، فظن الناس أنه

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٧٨٨، صحيح مسلم، رقم ٢٧٦٩. ويراجع فتح الباري ٨ / ١١٧.

(٢) بطن إضم: ويسمى بوادي إضم، لتضام السيول عنده، حيث تجتمع سيول أودية بطحان، وقناة، والعقيق، وتكوّن مسيلاً واحدًا، يصل إلى البحر الأحمر، وبعد ذلك يسمّى "وادي الحمض". المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص٢٩.

ويقدر بعد المكان عن المدينة المنورة/تبوك ٦٧كم.

الاحداثيات: "٣٨°٥٩'١٨.٥٧ "٢٤°٥٦'٥٢.٨٤

(٣) ذي خشب سبق ذكرها أنها المندسة على طريق المدينة المنورة/تبوك نحو ٣٥كم عن المدينة.

الاحداثيات: "٣٩°٢١'٣٣.٩١ "٢٤°٣٥'٢٧.١٧

(٤) ذي المروة وتسمى اليوم أم زرب، شمال غرب المدينة المنورة على بعد ١٨٠كم. يراجع موقع فريق الصحراء.

قال في المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٢٥١ : ((وروي أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ نزل بذي المروة، وصلى بها الفجر، وتعدّ من وادي القرى، أو بين خشب ووادي القرى، وهي من مراحل طريق رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى تبوك)).

الاحداثيات: "٣٨°٢٦'٥١.٨٨"٢٥°٣٨'٧.٥١

متوجه إلى غزو تلك الناحية، حتى تذهب بذلك الأخبار إلى مكة[١].

ومن التورية الفعلية ــما تقدم ذكرهــ عن غزوة بني لِحْيان ما قاله ابن سعد رحمه الله تعالى في سيرته: ثم غزوة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بني لحيان، وكانوا بناحية عُسفان[٢] في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره، قالوا وجد رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام، وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران، حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد..[٣].

٨٨.اختيار المواقيت الزمانية.

قال الله تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا [٤]٢ فَالْمُغِيرَاتِ

---

(١) الرحيق المختوم ص ٣٨٥.

(٢) تقدم ذكر الاحداثيات تحت عنوان "البعد الروحي في التعرف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية".

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٧٨.

(٤) الْعَادِيَاتُ: جمعُ عَادِيَةٍ، وَهي الخيلُ المسرِعَاتُ فِي مَسِيرِهَا، والمراد أن الله تعالى أَقْسَمَ بِالخيل الْمُسْرِعَاتِ فِي سَيْرِهَا.

ضَبْحًا أي أَنَّهَا تَضْبَحُ ضَبْحًا، بحيث يخرج الصَوْتُ من أجوَافِها عندَ جَرْيِهَا.

والمورِيات: هي الخيلُ حين تُسرع فتضرب الحجارةَ بحوافرها فتقدَحُ النارُ منها. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٩/ ٦١.

صُبْحًا } [العاديات].

في الآية السابقة جمع الله بين أفضل الآلات القتالية في الحرب وهي الخيل لما لها من جرأة في الإغارة وما تتميز به من السرعة، وبين اختيار أفضل الأزمنة لِعَدْوِهَا وهو الصبح.

فكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُعِدُّ العدة في سبيل الله تعالى ويختار زمن الخروج ووقت الوصول، فأما وقت الوصول فكان مما يختاره الليل حيث يكون الناس نيام، وينتظر طلوع الفجر ليتبين إسلامهم بالأذان أو لا، لاحتمال دخولهم في دين الله تعالى، مع علمه سابقاً بأنهم باقون على كفرهم، وأنه بلغتهم دعوة الله تعالى، وأنهم ناصبوه العداء من قبل، ولتتحقق المباغتة من جانب آخر، كما ذكرنا من قبل في اختيار المواقيت المكانية، فقد وصل إلى خيبر ليلاً، وبدأ الحصار والمباغتة لأهل مكة ليلاً.

وكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يحب الخروج في جهاده يوم الخميس، ومن الشواهد على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى عن كعب بن مالك ﷺ أن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ خرجَ يومَ الخميسِ في غزوةِ تبوك وكانَ يحبُ أنْ يخرجَ يومَ الخميسِ[1].

قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: ينبغي للمجاهد أن يخرج يوم الخميس اقتداءً برسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في أسفاره، لأن الأعمال تعرض على الله تعالى يوم الخميس، فيُعرَض عليه أن فلاناً خرج

(١) صحيح البخاري رقم ٢٧٩٠.

مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك[١].

٨٩.اختيار المواقع الاستراتيجية.

قال الله تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١} [آل عمران].

فكان صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يدرس ميدان القتال، ويختار أفضل الأمكنة المناسبة، بحيث تكون في صالحه عند قتال عدوه، كأن يختار جبلاً لتأمين عنصر الحماية، أو تلاً للمراقبة، كاختياره صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ميدان القتال في بدر، وميدان القتال في أحد، وميدان المرابطة في غزوة حمراء الأسد[٢] وتبوك، واختيار مكان الخندق يوم غزوة الخندق، وإليك الشاهد من غزوة بدر[٣]:

---

(١) أحكام الجهاد للعز بن عبد السلام ص٧٩.

(٢) حمراء الأسد: جبل أحمر جنوب غرب المدينة المنورة على طريق بدر على مسافة ٢٠كم، ويقع على الجانب الأيمن للطريق السريع، بعد أن تترك طريق الهجرة (مكة- المدينة) وتتجه باتجاه طريق بدر وينبع، يأتيك الجبل على يمينك بعد المفرق بنحو ٤كم.

الاحداثيات: "٢٦.٤١'٣٠°٣٩"١٠.١٤'٢٢°٢٤

(٣) تقدم بيان إحداثيات هذه المواقع.

انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَأَصْحَابُهُ وَمَضَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلُوا بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الْوَادِي، وَالْقُلُبُ [الآبار] بِبَدْرٍ فِي الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا مِنْ بَطْنِ التَّلِّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ السَّمَاءَ، وَكَانَ الْوَادِي دَهِسًا [تغيب الأقدام في رماله] فَأَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَأَصْحَابَهُ مِنْهَا مَا لَبَّدَ لَهُمُ الْأَرْضَ وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنَ الْمَسِيرِ، وَأَصَابَ قُرَيْشًا مِنْهَا مَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ.

فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يُبَادِرُهُمْ إِلَى الْمَاءِ حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا فَسَبَقَ قُرَيْشًا إِلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ بَدْرٍ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَعَدَّاهُ وَلَا نُقَصِّرُ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ.

فَقَالَ الْحُبَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، وَلَكِنِ انْهَضْ حَتَّى تَجْعَلَ الْقُلُبَ كُلَّهَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ، ثُمَّ غوِّرْ كُلَّ قَلِيبٍ بِهَا إِلَّا قَلِيبًا وَاحِدًا، ثُمَّ احْفِرْ عَلَيْهِ حَوْضًا، فَنُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

فَقَالَ: قَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَغُوِّرَتِ الْقُلُبُ، وَبَنَى حَوْضًا

عَلَى الْقَلِيبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ فَمُلِئَ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الآنِيَةَ[1].

وقد ذكر الله بعض ميادين المعركة فقال: {إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢} [الأنفال].

ويمكن مراجعة بعض الصور الواقعية لغزوة بدر من كتابي "مصور غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريق الهجرة".

٩٠.استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب.

قال الله تعالى: {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ ..٦٢} [الأنفال].

وقال تعالى: { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ١ .. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥ } [العاديات].

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ..٦٠} [الأنفال].

تنوعت أساليب الخطط الهجومية عند النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ومنها استخدام عنصر المباغتة، بأن يأتيه في وقت لا يتوقع العدوُّ وصولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلا يكون للعدو قدرة على التجهُّز للملاقاة، وخاصة لمن أضمر حربه، فهذا الأسلوب وفَّر جهد

(١)سيرة ابن هشام ٣/ ١٦٨، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبد الجبار ٩/٣٨٥.

المواجهة المباشرة مع أعدائه، وهذا من تأييد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو حسيبه وكفيله في رد خداع الأعداء ومكرهم.

وقد أشارت الآية الثانية إلى قدرة الخيل بفوارسها في توسُّط جمع العدوّ ومداهمتهم، وهو نوع من الإعداد المأمور به كما في الآية الثالثة.

ومن الأمثلة على استخدام عنصر المفاجأة ما فعله النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مع أهل مكة حين فتحها مع أن المسافة نحو ٤٥٠ كم، فما وجدوا أنفسهم إلا وهم محاصرون..

وفي ذلك قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: اللهمَّ خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريشٍ حتى نَبْغَتَهَا في بلادِها..[1].

ومثله فتح خيبر، وهي تبعد عن المدينة المنورة ١٥٠ كم، ولم يعلموا بمجيء النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، إلا عندما وصلهم صباحاً عندما خرجوا إلى حقولهم للعمل فيها.

روى الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ.

قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ، وَرَكِبْتُ خَلْفَ أَبِي طَلْحَةَ، وَإِنَّ قَدَمِي لَتَمَسُّ قَدَمَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ.

---

(١) السيرة النبوية ٥/ ٥٢، تاريخ الطبري ٢/١٥٥.

قَالَ: فَخَرَجُوا إِلَيْنَا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوُا النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ(١) وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ(٢) وَالخَمِيسُ.

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ {فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ١٧٧} [الصافات](٣).

وبعض ما سبق بيانه هو من عظيم رحمة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مع جنده وعظيم رحمته بالمغلوب أيضاً، لما في ذلك من تقليل سفك الدماء، وحباً منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في أن يُسلموا عند أسرهم، بدل قتلهم على الكفر، كما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، أنه قَالَ: عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ(٤).

يعني الأسارى الذين يأتي بهم أهل الإسلام في الأغلال والقيود ثم بعد ذلك يسلمون، وتصلح سرائرهم وأعمالهم فيكونون من أهل الجنة(٥).

---

(١) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٢) صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٣)صحيح البخاري رقم ٥٨٥، صحيح مسلم رقم ١٣٦٥.

قوله: (مكاتلهم ومساحيهم) الزنبيل والمجارف من حديد، وقوله: الخميسُ: الجيش، سُمّي به لأنه مَقْسوم بخَمْسة أقسام: المقَدّمة، والسَّاقة، والميْمنَة، والميْسرة، والقَلْب.

(٤) صحيح البخاري رقم٣٠١٠.

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٦٢/٧.

٩١.قطع الإمداد عن الأعداء.

قال الله تعالى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ٥٧} [الأنفال].

قال الله تعالى: {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ٥} [الحشر].

قطع المدد عن الأعداء يعني منع وصول المعونة لهم سواء أكانت مادية كمنع وصول قريش إلى الماء في غزوة بدر، أم كانت بشرية مثلما فعل النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في التفريق بين يهود خيبر ومد غطفان لهم بالمعونة والمناصرة، وهذا من أنواع التنكيل والتشريد المأمور به في الآية السابقة.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حين خرج من المدينة إلى خيبر.. أقبل بجيشه حتى نزل بواد يقال له: الرَّجيع[١]، فنزلَ بينهمْ وبين غطفانَ[١]، ليحولَ بينهم وبين أن يمدوا أهل

---

(١) وادي الرَّجيع يقع في شمال خيبر، ويمر منه الطريق السريع المتجه لتبوك، وهو قبل خيبر للقادم من تبوك بـ ١٠ كم.

وفيه عسكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومنه يذهب جيش المسلمين للقتال ويرجع، وفيه بقي عتاد الجيش والنساء والجرحى. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٤/ ٧٩.

الاحداثيات: "٣٩°١٧'٣.٧٥ "٢٥°٤٦'٧.٩١ .

خيبرَ، وكانوا لهم مُظَاهِرِين [مؤيدين] على رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فلما سمعت غطفانُ بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهودَ عليه، حتى إذا ساروا مَنْقَلَةً [أي مرحلة] سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حِسَّاً، ظنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهاليهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله وبين خيبر.. يفتحها حصناً حصناً[٢].

وهذا الحديث له جانب التقاء مع الحديث الوارد في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنَّهُ قَالَ: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ[٣].

فالنصر بالرعب جند من جنود الله كان معجزة للنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وهو الآن كرامة للمجاهدين الصادقين من أمته، فمن

---

(١) غطفان قبيلة كبيرة ولها امتداد واسع في نجد، وقد حاربوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيراً، فغزاهم في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة ٣هـ، وكان مكانهم عند بلدة النُّخيل، وهي بلدة وواد شمال الحناكية تبعد عنها نحو (١٥)كم، وتبعد النُّخيل عن المدينة المنورة ١٣٠كم، على طريق المدينة المنورة الرياض القديم.

الاحداثيات: "١٩.٨'٢٦°٤٠"١٣.١٤'٤°٢٥.

(٢) سيرة ابن هشام٣/٣٤٥.

(٣) صحيح مسلم رقم ٨١٤.

خاف الله تعالى خافه كل شيء.

٩٢.حرب العصابات في أرض الأعداء.

قال الله تعالى: {..قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩} [البقرة]

حرب العصابات أقل الحروب تكلفة وأقدرها على الفتك بالدول المعادية، وهذه الحرب جائزة في الشرع ولها ــفي كثير من أحوالهاــ حُكم الحربِ المعروفة في الإسلام، إذ لا يجوز شَنُّها على من أسلمَ أو سالم.

والعصابة الحربية على قسمين: فإما أن تكون موجَّهة من القائد أو بتكوين من شباب مُسلم في بلد غير مسلم، وحربهم هنا لا تجوز إنْ كان بينهم وبين البلد الذي يسكنونه عهد ودخلوا إليه بتأشيرة، [والمسألة هنا تحتاج إلى مزيد بحث وقرارات من مجامع فقهية].

ومثال القسم الأول: ما رواه أبو داود عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ أنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ، وَكَانَ نَحْوَ عُرَنَةَ وَعَرَفَاتٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ.

قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا إِنْ أُؤَخِّرِ الصَّلَاةَ، فَانْطَلَقْتُ أَمْشِي وَأَنَا أُصَلِّي أُومِئُ إِيمَاءً، نَحْوَهُ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟

قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْمَعُ لِهَذَا الرَّجُلِ، فَجِئْتُكَ فِي ذَاكَ.

قَالَ: إِنِّي لَفِي ذَاكَ، فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي عَلَوْتُهُ بِسَيْفِي

حَتَّى بَرَدَ[1].

ومثال ذلك أيضا قتل كعب بن الأَشْرف فقد كَانَ يَهْجُو النَّبِيّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُحَرِّض قُرَيْشًا عَلَيْهِمْ.

فقد روى الشيخان عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ؟

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا، وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ؟

قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ.

قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ: رُهِنَ بِوَسْقٍ، أَوْ وَسْقَيْنِ؟ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ -يَعْنِي السِّلاَحَ- فَوَعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ[2].

ومثال القسم الثاني: ما رواه البخاري من قصة أبي بَصِير بعدما تمَّ صُلح الحُديبية، (حيث ردَّه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع مَبعُوثي قريش فرجع معهما، فقتل أحدهما أثناء رجوعه، ثم عاد للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم): فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ،

---

(١) سنن أبي داود رقم ١٢٤٩.

(٢) صحيح الخاري ٢٥١٠، صحيح مسلم رقم ١١٩.

قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ.

قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: وَيْلُ أُمِّهِ، مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ(١).

قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لاَ يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ..(٢).

وكانوا لا يظفرون برجل من قريش إلا قتلوه، ولا يمرُّ بهمْ عيرٌ إلا اقتطعوها، حَتَّى كتبتْ فيهم قريشٌ إلى رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعلى آله وسَلَّمَ يسألونَه بأرحامهم لِمَا آواهم، فلا حاجةَ لنا بهم، ففعلَ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقدموا عَلَيْهِ المدينة(٣).

---

(١) أي جانب ساحل البحر الأحمر وهو طريق قريش إلى الشام.

والمكان الذي نزلوه هو العِيْص، وَكَانَ عددهم قريباً من ستين أوسبعين. أسد الغابة ٦/ ٣٢.

والعِيص بلدة تبعد عن المدينة نحو ٢٥٠ كم باتجاه الشمال الغرب للمتجه إلى ينبع.

الاحداثيات: "٣٤.٧٤'٦ °٣٨ "٣٢.٢٤'٣ °٢٥ .

(٢) صحيح البخاري رقم ٢٧٣١.

(٣) أسد الغابة ٦/ ٣٢.

٩٣.الترشيد في استخدام الأسلحة.

قال الله تعالى: {..وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ٣١} [الأعراف].

الإسراف والتبذير في الشرع حرام، وأشد ما يكون في وقت الحاجة، لكن قد يأتي وقت على بعض الجند يسيطر عليه الخوف أو ما شابه ذلك، فيعمد إلى تفريغ أسلحته من غير تركيز على الهدف، وهذا ممنوع شرعاً.

لهذا كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يعتمد سياسة الاقتصاد في حروبه، مع وضع السلاح المناسب في المكان المناسب والوقت المناسب فلا يستخدم سلاحاً إلا في مكانه، وفي وقته المناسب، ولا يبدأ برمي عدوه إلا إذا علم تحقق هدفه.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ: إِذَا أَكْثَبُوكُمْ [يَعْنِي كَثَّرُوكُمْ] فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ(١).

فالرسول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول لهم: لا تطلقوا هذه السهام إلا عندما يقتربون ويصبحون في مرمى السهام، وبعد ذلك ابدؤوا في ضربهم، وقوله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: (واستبقوا نبلكم) أي: حافظوا على الذخيرة، ولا تقوموا بإهدار هذه السهام، ثم يقول صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في حديث آخر عند أبي داود: وَلَا تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى

(١) صحيح البخاري رقم ٣٩٨٥.

يَغْشَوْكُمْ[1].

أي: لا ترفعوا السيوف من أغمادها إلا بعد أن يقترب الجيش تماماً.

٩٤.السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.

قال الله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ..٦٠} [الأنفال].

قال الله تعالى: {..سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ١٢} [الأنفال].

اشتملت الآيات الكريمة على معيارين في الاستعداد الحربي، الأول الاستعداد المادي الكامل بكل عدَّة وسلاح بحيث لا ينقص ميدانُ المعركة أيَّةَ مُتَطَلَّب، والثاني الاستعداد المعنوي بإدخال الخوف والرعب في قلوب الأعداء بواسطة الاستعداد الأول، وهذا له شكل حقيقي كأنْ يكونَ السلاحُ فتَّاكاً، وشكل ظاهري كأن يكون بلون معيَّن، أو رسومات محددة، بحيث يخاف منها العدو.

ومن الأمثلة على السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو مع ترغيبه في الدخول في الإسلام ما حدث مع أبي سفيان في فتح مكة.

فقد روى الطبراني وأهل السير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَضَى رَسُولُ اللَّهِ

(١) سنن أبي داود رقم٢٦٦٤.

صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ[1] فِي عَشَرَةِ آلافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُزَيْنَةَ وَسُلَيْمٍ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلامٌ، وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَقَدْ عَمِيَتِ الأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ خَبَرٌ، وَلا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ، خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بن حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بن حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ يَتَحَسَّسُونَ وَيَنْتَظِرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ..

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ، إِنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ

---

(١) واد فحل من أودية الحجاز، ويمرّ شمال مكة على مسافة ٢٢كم، ويصب في البحر الأحمر جنوب جدّة، ومن قراه: الجموم، وبحرة. ومن أقسامه: وادي فاطمة نسبة إلى فاطمة زوجة بركات بن أبي نميّ، أحد الأشراف الذين حكموا مكة. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٢٥٠.

والمكان الذي عسكر فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان في الجموم، وعنده بُني مسجد سُمي بمسجد الفتح، وهو من المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. يراجع وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٣/ ١٧٢.

الاحداثيات: "٠٦٣'٠٤٢°٣٩ "٤٤.٣٧'٣٧°٢١ .

الدَّهْرِ.

قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الْبَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الأَرَاكَ(١)، فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ، أَوْ صَاحِبَ لَبنٍ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً، قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا، وأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ..

قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ.

فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي.

فَقَالَ: أَبُو الْفَضْلِ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: مَا لَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟!

فَقُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ

---

(١) الأراك هنا موضع من وادي مرّ الظهران بينه وبين مكة، فيه شجر الأراك، لقول أهل السيرة: ((فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، فَلَقِيَا بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ فَاسْتَتْبَعَاهُ فَخَرَجَ مَعَهُمَا، فَلَمّا بَلَغُوا الْأَرَاكَ مِنْ مَرّ الظّهْرَانِ رَأَوْا الْأَبْنِيَةَ وَالْعَسْكَرَ وَالنّيرَانَ)) مغازي الواقدي ٢/ ٨١٤، ودليل هذا أن العباس طلب الموضع الذي يكثر فيه شجر الأراك لعله يجد بعض الحطابة، أو بعض الرعاة، فيكون هذا الموضع في وادي مر الظهران أو قريباً منه.

وليس المقصود به الوادي الذي بقرب عرفة من ناحية الشام. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ١/ ١٣٤.

وسلَّمَ فِي النَّاسِ وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ.

قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟

قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ مَعِي هَذِهِ الْبَغْلَةَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَسْتَأْمِنُهُ لَكَ.

قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، فَحَرَّكْتُ بِهِ، كُلَّمَا مَرَرْتُ بنارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قَالُوا: عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ، حَتَّى مَرَرْتُ بنارِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الْبَغْلَةِ، قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ، عَدُوُّ اللَّهِ؟! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيءُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، وَدَخَلَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: لا وَاللَّهِ، لا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ، قُلْتُ: مَهْلا يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بني عَدِيِّ بن كَعْبٍ مَا قُلْتَ هَذَا، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ

رِجَالِ بني عَبْدِ مَنَافٍ.

قَالَ: مَهْلاً يَا عَبَّاسُ! فَوَاللَّهِ لإِسلامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إلا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مِنْ إِسْلامِ الْخَطَّابِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: اذْهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ، فَإِذَا أَصْبَحَ فَأْتِنِي بِهِ.

فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؟

قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا.

قَالَ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟

قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، هَذِهِ وَاللَّهِ كَانَ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الآنَ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَسْلِمْ، وَاشْهَدْ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ.

قَالَ: فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا.

قَالَ: نَعَمْ؛ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: يَا عَبَّاسُ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ(١)، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا.

قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أَنْ أَحْبِسَهُ.

قَالَ: وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا، كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ، قَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: سُلَيْمٌ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِسُلَيْمٍ؟

قَالَ: ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ، قَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: مُزَيْنَةُ، فَيَقُولُ: مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ؟

حَتَّى تَعَدَّتِ الْقَبَائِلُ لا تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلا، قال: مَنْ هَؤُلاءِ؟ فَأَقُولُ: بنو فُلانٍ، فَيَقُولُ: مَالِي وَلِبَنِي فُلانٍ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي الْخَضْرَاءِ؛ كَتِيبَةٌ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لا يَرَى مِنْهُمْ إِلا الْحَدَقَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَنْ هَؤُلاءِ يَا عَبَّاسُ؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) الموضع الذي حبس فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا سفيان ليرى جند الله يسمى المأزمين؛ لأنه بين جبلين، ويبعد عن مسجد الفتح نحو٣كم.

الاحداثيات: "٢١°٣٦'٣٤.٦٣"٣٩°٤٣'٨.٦٤ .

وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، قَالَ: مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ وَلا طَاقَةٌ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مِلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قُلْتُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، قَالَ: فَنَعَمْ إِذَنْ.

قُلْتُ: النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ.

فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بنتُ عُتْبَةَ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ، فَقَالَتْ: اقْتُلُوا الدَّسَمَ الأَحْمَسَ[1]، فَبِئْسَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ.

قَالَ: وَيْحَكُمْ، لا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ.

قَالُوا: وَيْلَكَ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ.

قَالَ: وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ[2].

٩٥.تجنب المواجهة القتالية.

قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ

(١) ((نَسَبَتْهُ إِلَى الضّخْمِ وَالسّمَنِ، وَالْأَحْمَسُ أَيْضًا الّذِي لَا خَيْرَ عِنْدَهُ)). الروض الأنف ٧/ ٩٤. تريد الأسود الدنيء.

(٢) المعجم الكبير للطبراني رقم ٧١١٥.

أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ٧٧} [النساء].

نزلت هذه الآية في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً كانوا يَلْقُون من المشْرِكِين أذًى شَديداً، قَبْل أن يهاجروا إلى المدِينَةِ، فَيَشْكُون ذلك إلى الرَّسُول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويقولون: ائْذَن لَنَا في قِتَالِهِم، ويقول لَهُم الرَّسُول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: كُفُّوا أيْدِيَكُم، فإني لَمْ أُومَر بقتالِهِمْ، واشْتَغِلُوا بإقَامَة دينكُم من الصَّلاة والزَّكَاة، فلمَّا هَاجَر رسُول اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلمَ إلى المدينَةِ، وأُمِرَ بقتالهم في وَقْعَة بَدْرٍ، كرهه بَعْضُهم وشقَّ عَلَيْه(١).

للقتال وقته ومكانه المحدد شرعاً، وما خرج عن نطاق الشرع كان محرماً، وبهذا التزم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم يقاتل إلا بعد ان أُمر به.

وكان للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سياسة الكف عن الاقتتال حيث لا داعي له، فهو كما وصفه الله تعالى أنه الرحمة للعالمين: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧} [الأنبياء]، رحمة بالمسلم وغير المسلم، فكان في أحد أساليبه العسكرية يتجنب المواجهة المباشرة لا خوفاً منه صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، بل اتقاء لسفك دماء المسلمين وغير المسلمين، وكان تجنب المواجهة بأحد أمرين إما عن طريق الغارات المفاجئة؛ كما فعل

(١)اللباب في علوم الكتاب ٦/ ٥٠٠.

في غزوة بني المصطلق، أو عن طريق تغيير الطريق، كما فعل في غزوة الحديبية.

فالأصل في غزوة الحديبية أنها كانت للعمرة، لكن تعاهدت قريش على صدِّ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ عن البيت الحرام، فَتَجَنَّب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قتالهم.

وشاهد ذلك ما أخرجه أحمد رحمه الله عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ زَمَانَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعٍ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ[1]، قَلَّدَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى

---

(١) ذو الحليفة: ذو الحُلَيْفَة: موضع قريب من المدينة المنورة، يُحْرِمُ منه أهل المدينة ومن أتى عن طريقهم كأهل الشام.

وتُعرف هذه المنطقة الآن باسم (أبيار علي)، وهي أبعد المواقيت عن مكة، على طريق مكة، وتبلغ المسافة بينها وبين مكة ٤٢٠كم تقريباً، وتبلغ المسافة من ضفة وادي ذي الحليفة إلى المسجد النبوي ١٣كم.

الاحداثيات: "٣٩°٣٢'٣٥.٠٩ "٢٤°٢٤'٤٩.٤٥ .

(١) الهَدْي: ما يُهدى من النعم إلى الحرم تقربًا إلى الله عزّ وجلّ، ويكون الهدي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم.

وتقليد الهدي: يعني تعليق قطعة من حبل في عنقه أو نعل أو أي شيء آخر؛ ليُعلم أنه لله تعالى في بيت الله الحرام؛ فيكفّ الناس عن طلبه في بيع أو شراء أو نهب.

وأما الإشعار فهو للبدن بأن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها، وتتلطخ بدمها،

آلِهِ وسلَّمَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ[1]، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ يُخْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ.

وَسَارَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ قَرِيبٌ مِنْ عُسْفَانَ[2]، أَتَاهُ عَيْنُهُ الْخُزَاعِيُّ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ قَدْ جَمَعُوا لَكَ.. الْأَحَابِيشَ وَجَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ.. أَوْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِيَّ اللهِ! إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقَاتِلُ أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: فَرُوحُوا إِذًا..

فَرَاحُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[3] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُوَ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ[4]، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ

إشعاراً بأنه هدي.

(٢) تقدم التعريف بغدير الأشطاط وعسفان تحت عنوان الشورى.

(٣) تقدم الحديث عن هذا المكان تحت عنوان: دعم المؤسسة العَسْكَرِيَّة بالعلوم النفسية.

(٤)الغبار الأسود الذي تثيره حوافر الدواب.

نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ..

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[1] أَوْ لَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ[2].

٩٦. مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها.

وصف الله تعالى أحد المواقف الصعبة على المسلمين في غزوة الخندق أو الأحزاب حيث بلغ بهم الخوف مبلغاً زاغت منه الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر فزعاً مما حلَّ بهم من أهل الكفر؛ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١} [الأحزاب].

فلم تخل مواجهة قتالية للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع صحابته من مواقف صعبة، وكاد من بعضها أن يوديَ بحياة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما في معركة أحد، بل كانت المهالك تحيط به وبجيشه من كل جانب، فكان قبلاً يتوقع هذه المصاعب ويحسب لها، ويضع الحلول المناسبة لها، ويعمل على سرعة إيجاد الحل

---

(١) مُقَدَّم العنق.

(٢) مسند الإمام أحمد رقم ١٨٩٢٨.

المناسب لها إن تفاجأ بها.

ومن المواقف الصعبة التي واجهها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الغدر، والخيانة، وترك بعض المسلمين ما اتمروا عليه، ونقل الأخبار، والتجسس على المسلمين.

فكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحسب لتلك المواقف، بل ويحسب للخسارة كما يحسب للنصر.

ومن تلك المواقف مباغتة الكفار له وتفرق الصحابة عنه كما صار في غزوة حنين، وترك الأوامر كما صار للرماة في غزوة أحد، ونقل الأخبار للمشركين كما صار في فتح مكة مع حاطب بن أبي بَلْتَعَة رضي الله تعالى عنه، ومنها قلة الأكل والجوع كما صار في غزوة الأحزاب، ومنها الغدر كما صار مع اليهود في غزوة الأحزاب وغزوة بني لحيان.

فكان من عظيم قدرة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية أنه صاحب عزيمة لا تثنيها الجراح، ولا تهوله المخاوف، ولا يهرب من مباغتة الأعداء، ويحسب لغدر أعدائه ويواجههم قبل تمام غدرتهم..

ومن الشواهد على ذلك أنه رغم ما حل به ــصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وسلمــ وبالصحابة الكرام من جراح يوم أُحُدٍ فقد بلغه أن أبا سفيان نوى الرجوع إلى المدينة المنورة، لقتل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فخرج النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في اليوم التالي إلى حمراءِ

الأسدِ[1] لصدِّ هُجُومِه إنْ حصلَ رجوعه فعلاً.

قَالَ ابن إسحاق: فَلَمّا كَانَ الْغَدُ أَذّنَ مُؤَذّنُ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فِي النّاسِ بِطَلَبِ الْعَدُوّ، فَأَذّنَ مُؤَذّنُهُ أَنْ لَا يَخْرُجَنّ مَعَنَا أَحَدٌ إلّا أَحَدٌ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالْأَمْسِ.

وَإِنّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مُرْهِبًا لِلْعَدُوّ وَلِيُبَلّغْهُمْ أَنّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيَظُنّوا بِهِ قُوّةً وَأَنّ الّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ عَدُوّهِمْ.

وَقَدْ مَرّ بِالنبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ مَعْبَدُ بْنُ أَبِي مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيّ ، وَكَانَت خُزَاعَةُ مُسْلِمُهُمْ وَمُشْرِكُهُمْ عَيْبَةَ نُصْحٍ لِرَسُولِ اللهِ [أي محل سِرّه وأمانته] بِتِهَامَةَ صَفْقَتُهُمْ مَعَهُ، لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِهَا، وَمَعْبَدٌ يَوْمئِذٍ مُشْرِكٌ فَقَالَ يَا مُحَمّدُ! أَمَا وَاَللهِ لَقَدْ عَزَّ عَلَيْنَا مَا أَصَابَك، وَلَوَدِدْنَا أَنّ اللهَ عَافَاك فِيهِمْ.

ثُمّ خَرَجَ مَعْبَدُ حَتّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرّوْحَاءِ[2]

---

(١) تقدم بيان مكان غزوة حمراء الأسد تحت عنوان: اختيار المواقع الاستراتيجية.

(٢) تقع الروحاء على بعد ٨٠ كيلو من المدينة المنورة على طريق مدينة بدر، كانت محطة للقوافل وهي على الطريق السريع، وعندها بئر يشرب منه المسافر، وهي من الآبار النبوية، وبجانبها مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الاحداثيات: "٩'٤١.٥١ °٣٩"٤'٤١.٩٨ °٢٤ .

وَقَدْ أَجْمَعُوا الرّجْعَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ وَقَالُوا: أَصَبْنَا حَدَّ أَصْحَابِهِ وَأَشْرَافَهُمْ وَقَادَتَهُمْ ثُمّ نَرْجِعُ قَبْلَ أَنْ نَسْتَأْصِلَهُمْ لَنَكُرّنّ عَلَى بَقِيّتِهِمْ فَلْنَفْرُغَنّ مَعَهُمْ، فَلَمّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ مَعْبَدًا، قَالَ مَا وَرَاءَك يَا مَعْبَدُ؟

قَالَ: مُحَمّدٌ قَدْ خَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ يَطْلُبُكُمْ فِي جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطّ، يَتَحَرّقُونَ عَلَيْكُمْ تَحَرّقًا، قَدْ اجْتَمَعَ مَعَهُ مَنْ كَانَ تَخَلّفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ وَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيهِمْ مِنْ الْحَنَقِ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطّ.

قَالَ: وَيْحَك مَا تَقُولُ؟

قَالَ: وَاَللهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتّى أَرَى نَوَاصِيَ الْخَيْلِ.

قَالَ: فَوَاَللهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكَرّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيّتَهُمْ.

قَالَ: فَإِنّي أَنْهَاك عَنْ ذَلِكَ.

قالَ: وَاَللهِ لَقَدْ حَمَلَنِي مَا رَأَيْت عَلَى أَنْ قُلْت فِيهِمْ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرٍ، قَالَ: وَمَا قُلْت؟

قَالَ: قُلْت:

كَادَتْ تُهَـدّ مِنْ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي ... إذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ

تَرْدِي بِأُسْـــــــــدِ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللّقَاءِ وَلَا مِيلٍ مَعَازِيـــــلِ

فَظَلّتْ عَـــــدْوًا أَظُنّ الْأَرْضَ مَائِلَةً ... لَمّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْـــــذُولِ

فَقُلْت:

وَيْلُ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إذَا تَغَطْمَطَتْ الْبَطْحَـــاءُ بِالْخَيْلِ

إنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسْلِ ضَـــــاحِيَةً لِكُلّ ذِي إرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ

مِنْ جَيْشِ أَحْمَـــدَ لَا وَخْشٍ تَنَابِلَةٍ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْت بِالْقِيلِ

فَثَنَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ(١).

هذا ومن عظيم قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية في تدارك المواقف الصعبة ما مرَّ معنا من أن زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول انسحب يوم أُحُدٍ بثلُث جيش المسلمين، فلم يكن هذا الانسحاب هو السبب في خسارة المسلمين في الغزوة، بل لترك الرماة أمر النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ في الثبات على الجبل.

٩٧. نقل الحرب إلى أرض العدو.

قال الله تعالى: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٢١ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣} [المائدة].

قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ١٢٣} [التوبة].

---

(١) الروض الأنف ٢٤٣/٣.

لقد فرض الله تعالى على المسلمين جهاد المشركين، وبيَّن أن أولى الجهات وأهمها في الجهاد هو قتال المشركين الأقربين إلى ديار المسلمين، وبهذا تكون أرض المشركين محلاً للقتال.

والدخول على أرض المشركين في أرضهم وهي أرض القدس هو ما أشار به الرجلان الصالحان على بني إسرائيل كما في الآية الأولى بأن يدخلوا على الجبابرة من باب المدينة مباغتة، لأنه بهذا يدخل الخوف والجبن إلى قلوب الجبابرة، فيقدرون على الانتصار عليهم.

فكان من عظيم سياسة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نقل الحرب إلى أرض العدو؛ ولا ينتظر قدوم العدو إليه، وهذا هو الأكثر في سياسته الحربية، إلا إنْ وَجَدَ أنَّ قُوَّة المسلمين وقوة المشركين غير متكافئة فقد يجعل الحرب على أرضه، وحتى في هذه هو من يختار تحديد المكان لتأمين الحماية للمسلمين، وزيادة النكاية بالمشركين، كما حدث في غزوة الخندق، فقد عرف صلى الله عليه وعلى آله وسلم مكان مجيئ المشركين، ثم حفره في وجههم، بالرغم من أنَّ الخندق لا يحيط بالمدينة إلا من الجهة الشمالية، واستطاع صدَّ هجومهم، ورجعوا خائبين خاسرين.

ونقل الحرب لأرض العدو فيه فوائد كبيرة ومن أعظمها الخلاص من الدمار البيئي والقتل البشري إن حصلت الحرب في أرض الإسلام، بل يبقى الدمار في أرض العدو.

ومن الفوائد أن جيش المسلمين لو فرَّ ــلا سمح اللهــ لفرَّ إلى أرض

أمان، فلا يقدر العدو على ملاحقته في أرض ليست أرضه في أغلب الأحيان، وفي الوقت نفسه سيحصل المسلمون على مسافة زمنية لتأمين مدد يمنع وصول الكفار إليهم.

ومن شواهد ذلك ما ذكرناه سابقاً عن ابن سعد رحمه الله في بداية حديثه عن غزوة تبوك: أنه بلغ رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ أن الروم قدْ جمعتْ جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رَزق أصحابه لسنةٍ، وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ قبائل لَخْمٌ، وَجُذَامُ، وَغَسّانُ، وَعَامِلَةُ، وقدموا مقدماتهم إلى البَلْقاءِ، فندب رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ الناس إلى الخروج، وأعلمهم المكان الذي يريده (وهو تبوك) ليتأهبوا لذلك[1].

ومثل ذلك ما حصل أيضاً في غزوة مؤتة، فقد بعث النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ إلى حدود أرض الروم مَنْ يقاتلهم، فقاتلوهم لأيام، ثم لما انسحب جيش المسلمين، لم يجرؤ الروم على اللحاق بالمسلمين، ولربما كان هَمُّ الروم في بادئ الأمر غزوَ المدينة المنورة، ففي تحويل المعركة إلى أرضهم إدخال الرعب إلى قلوبهم، وكفهم عن مرادهم، لما يتوقعه من تضاعف القدرات العسكرية والحربية في أرض الإسلام.

٩٨. تبييت الغارات.

قال الله تعالى: {قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ

(١) الطبقات ٢/١٦٥.

مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ٨١ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ٨٢} [هود].

مرَّ معنا تحت عنوان: اختيار المواقيت الزمانية، أن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ كان يُعِدُّ العدة في سبيل الله تعالى ويختار زمن الخروج ووقت الوصول، فالأصل أن القتال صالح لجميع الأوقات من ليل أو نهار.

لكن كان للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أساليب متعددة في إحكام السيطرة على عدوه، ومن ذلك الهجوم ليلاً على المشركين، بشرط أن يكون قد وصلتهم دعوة الإسلام، وهؤلاء كانوا قد أضمروا العِداء للإسلام والمسلمين، واستعدوا لحربهم، وهذا الأسلوب يتوافق مع ظاهر الآية السابقة مِنْ أن قوم لوط كان بدء مسيرهم في بعض الليل ليتمكنوا من البعد عن قريتهم كي لا يصيبهم ما سيصيب قومهم من العذاب، وكان موعد بدء هلاك قوم لوط مع الفجر، وينتهي مع شروق الشمس؛ قال الله تعالى عنهم في سورة الحجر {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ٧٤}.

هذا والهجوم ليلاً أوفر جهداً، وأقلُّ تَكْلُفَة منَ الحرب المعْلَنة.

فلقد اتخذت المباغتة منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أسلوباً جمع بين عظمة الرحمة، وذكاء العسكريين، دلَّت على عظيم شفقته بالناس المحَارَبين؛ لما في ذلك من أسرهم دون قتلهم، والأسر بحد ذاته هي فرصة أخرى للكافر لعرض الإسلام عليه، ومن بقي من ذرية المشركين عاش في

بيوت المسلمين معززاً مكرماً كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٠} [الأنفال].

وقد مرَّ معنا ما رواه البخاري وغيره عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: عَجِبَ الله من قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ في السَّلَاسِلِ[1].

وأما مَنْ قُتلَ من أهل الكفر في حال اللقاء فقد فاتت الفرصة عليه، وهو إلى جهنم وبئس المصير.

ومن الشواهد على تبييت الغارات ليلاً فتحُ مكَّة، فقد عسكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلاً قُبيل دخوله مكة في مرِّ الظهران[2] [في الجموم] وأشعل بها عشرة آلاف نار، ففزعت قريش وما عادت تفكِّر في الحرب، بل طلبوا الأمان، وقُبيل هذا لم تعلم قريش بتوجه الجيش الإسلامي إليها، رغم بعد المسافة الكبيرة بين مكة والمدينة، بسبب التكتيك السِّري الذي عمد إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كتم الأخبار.

ومن الشواهد أيضاً ما رواه أبو داود وغيره عَنْ جُنْدُبِ بْنِ مَكِيثٍ ﷺ أنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم عَبْدَ اللَّهِ بْنَ غَالِبٍ اللَّيْثِيَّ فِي سَرِيَّةٍ وَكُنْتُ فِيهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشُنُّوا الْغَارَةَ عَلَى بَنِي الْمُلَوِّحِ

(١) صحيح البخاري رقم٣٠١٠.

(٢) تقدم التعريف به تحت عنوان: السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.

بِالْكَدِيدِ[1].

٩٩.المراسلات في المهمات العسكرية.

قال الله تعالى: {وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢١} [القصص].

هذا الرجل كان يكتم إيمانه وهو من آل فرعون، كانت له المهمة البريدية بين القصر الفرعوني وموسى عليه السلام، فاستطاع أن يصل إلى

---

(١) سنن أبي داود رقم٢٦٧٨.

وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المَلَوّح، وكانت في صفر سنة ٨هـ.

ومكانها في الكَدِيد وهو واد يقع بين عُسْفَان وخليص ويسمى وادي الحمض، ويبعد عن مكة نحو ٦٠كم.

كان بنو المَلَوّح من المشركين الذين ناصبوا العداء لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالكيد للمسلمين، فبعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غالب بن عبد الله الليثي في مئة وثلاثين رجلاً، وقيل بضعة عشر رجلاً، وأمرهم أن يشنوا الغارة على بني الْمُلَوّحِ بِالْكَدِيدِ فشنوا عليهم الغارة وقتلوا من قاتلهم، واستاقوا النعم، فتنادى المشركون لقتالهم، فجاء من المشركين بما لا قِبَلَ لهذه السرية بقتالهم، فخرجوا من ديارهم، فأدركهم المشركون وليس بينهم إلا الوادي، فبعث الله تعالى سيلاً يملأ جنبتيه ماء، وما كان في ذلك اليوم سحاب ولا مطر، فلم يستطع أحد من المشركين أن يجتاز الوادي لكثرة مائه، فوقفوا ينظرون إليهم وتملأ قلبهم الحسرة، ثم وصلت السرية سالمة غانمة إلى المدينة المنورة.

الاحداثيات: "٣٤.٥٧'١٩°٣٩ "٣٠.١٨'٤°٢٢ .

معرفة الأخبار السِّرِّيَة لمجلس الشورى الفرعوني، وما صدر عنه من قرار في قتل موسى عليه السلام، واستطاع أيضاً أن يصل لموسى بالخبر قبل أن يصلوا إليه، واستطاع موسى أنْ يهربَ منهم بسرية، ويفلت من القتل الذي تقرر عليه.

فلا بد للمهمات الحربية من المراسلات وأن تكون سِّرية وسريعة في الوقت المناسب والمكان المناسب، فلقد مرَّ معنا أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يُخفي في كثير من أحيانه مكان توجهاته الحربية، ومن شواهد ذلك عندما دخل أبو بكر ﷺ على ابنته عائشة ﷺ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فسألها عن مكان توجهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم تعرف(١).

بل عمد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أبعد من ذلك في الكتمان وهو إخفاء المراسلات في الخطَّة الحربية نفسها أول البدء بالقيام بها، حتى يُحقِّق أقصى نجاح للعملية العسكرية.

والشاهد لهذه الأمور ما رواه أهل السِّيَر عن عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ رضي الله عنه: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم حِينَ صَلّى الْعِشَاءَ، فَقَالَ: وَافِ مَعَ الصُّبْحِ مَعَك سِلَاحُك؛ أَبْعَثُك وَجْهًا(٢).

---

(١) السيرة النبوية ٥٢/٥ ، تاريخ الطبري ١٥٥/٢.

(٢) اسم هذه السرية: سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، وكانت في رجب ٢هـ، ونَخْلَة هي النخلة اليمانية وتقع قبل ميقات قرن المنازل (السيل الكبير) بنحو ٩كم، على طريق مكة

قَالَ: فَوَافَيْت الصّبْحَ وَعَلَيّ سَيْفِي وَقَوْسِي وَجَعْبَتِي[1] وَمَعِي دَرَقَتِي[2]، فَصَلّى النّبِيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِالنّاسِ الصّبْحَ ثُمّ انْصَرَفَ فَيَجِدُنِي قَدْ سَبَقْته وَاقِفًا عِنْدَ بَابِهِ، وَأَجِدُ نَفَرًا مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم أُبَيّ بْنَ كَعْبٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَأَمرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَكَتَبَ كِتَابًا، ثُمّ دَعَانِي فَأَعْطَانِي صَحِيفَةً مِنْ أَدِيمٍ خَوْلَانِيّ[3] فَقَالَ: قَدْ اسْتَعْمَلْتُك عَلَى هَؤُلَاءِ النّفَرِ،

الطائف، قبيل الطائف بنحو ٣٥كم.

حيث سار إليها، ونزلت السرية تترصد قريشًا، فمرت بهم فافلة لقريش تحمل أصنافاً من التجارة، وكانوا في آخر يوم من رجب من الأشهر الحرم، فأخذوا القافلة، ورجعوا المدينة بعدما قتلوا واحداً وأسروا اثنين، فقالت قريش: قد أحلَّ مُحَمَّد وأصحابه الشهر الحرام..، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، ثم نزل قول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ..} [البقرة ٢١٧].

ثم إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أطلق سراح الأسيرين، فأسلم أحدهما وهو الحكم بن كَيْسان ﷺ، ورجع الآخر إلى مكة ومات بها كافراً.

الاحداثيات: "٤٠°٢٠'٥٦.٥٤ ٢١°٣٨'٣١.٤٢".

(١) الجعبة ما يوضع فيه السهام.

(٢) الدرقة: ترس من جلد..

(٣) رسالة مكتوبة على جلد مصنوع في نواحي اليمن.

فَامْضِ حَتّى إذَا سِرْت لَيْلَتَيْنِ فَانْشُرْ كِتَابِي، ثُمّ امْضِ لِمَا فِيهِ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ.. فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: سِرْ حَتّى تَأْتِيَ بَطْنَ نَخْلَةَ عَلَى اسْمِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِك عَلَى الْمَسِيرِ مَعَك، وَامْضِ لِأَمْرِي فِيمَنْ تَبِعَك حَتّى تَأْتِيَ بَطْنَ نَخْلَةَ فَتَرَصّدَ بِهَا عِيرَ قُرَيْشٍ.

فَلَمّا قَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ قَالَ: لَسْت مُسْتَكْرِهًا مِنْكُمْ أَحَدًا، فَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الشّهَادَةَ فَلْيَمْضِ لِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَمَنْ أَرَادَ الرّجْعَةَ فَمِنْ الْآنِ، فَقَالُوا أَجْمَعُونَ: نَحْنُ سَامِعُونَ وَمُطِيعُونَ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَك، فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ حَيْثُ شِئْت[1].

١٠٠. توحيد صفوف المسلمين.

قال الله تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١} [آل عمران].

وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ ٤} [الصف].

إنَّ من أعظم الصفات المحبَّبَة لله تعالى والتي وصفها الله تعالى المسلمين حالة القتال هو انتظام الصفوف وتكاملها مع بعضها، وأساسه انتظام الأبدان وصفاء الجَنَان [القلب] للملك الدَّيَّان.

وأساس هذا الاتحاد ناتج عن المحبة بين الصحابة وبين النبي صلى الله

(١) مغازي الواقدي ١/١٤.

عليه وعلى آله وسلم وبين الصحابة أنفسهم، قال الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ.. ٢٩} [الفتح].

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُسوِّي صفوف القتال كما يسوي الصفوف للصلاة؛ لأن في استواء الأبدان استواء القلوب، كما مر في قصة سَوَّاد ﷺ[1].

(١) كما مرَّ تحت قاعدة: العدل بين جند المسلمين.

الفصل السادس: التخطيط العسكري المستقبلي.

وفيه محوران:

المحور الأول: وضع تصور عن آلية تحقيق المنظور العسكري في التخطيط المستقبلي.

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري.

ثانياً: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية.

ثالثاً: آلية استمرار التخطيط العسكري.

المحور الثاني: بيان سمات التخطيط العسكري المستقبلي.

مقدمة

إنَّ مِنَ المستلزمات الأساسية المتصلة بفريضة الجهاد الاعتناء بالتخطيط المستقبلي لها، وكذا الاعتناء بتطبيقاته على واقع الدعوة الإسلامية ومستقبلها، فكما جاء الأمر بالجهاد، جاء الأمر بالتخطيط له، ففي القرآن الكريم والسنة المطهرة كثير من الإضاءات التي تؤسس للفكر الجهادي، وتنوه بأهمية ترتيبه وتنظيمه قبل البدء به.

وتزداد أهمية البحث في التخطيط المستقبلي للجهاد بالنظر لما تواجهه الأمة الإسلامية من أعدائها من كيد عظيم، فقد امتدت بعض خططهم وأهدافهم إلى عشرات السنين من أجل القضاء على هذه الفريضة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره بهذه الفريضة، قال الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٣٢} [التوبة].

وإذا كان الأعداء يقومون بهذه الجهود صدًا عن سبيل الله تعالى، وإمعانًا في المكر والكيد لدين الله، فالأولى بالمسلمين أن يقوموا بالتصدي لهذه المخطَّطات، والعمل على وضع ما بوسعهم من دراسات وبحوث، لِتُحوَّلَ بعدها إلى أعمال وواقع؛ تطبيقًا لقول الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١١} [التوبة].

فهذه المبايعة من الله تعالى تحتاج إلى تخطيط حتى تتم على الوجه المطلوب كما أمر الله تعالى، ولها سمات تدل عليها، وإليك بيانها.

فإذا اكتملت المعارف الجهادية لدى المجاهد من معرفته بسنن الجهاد وآدابه وواجباته ومحذوراته، فلا بدَّ له من آلية للتخطيط فيه، يسير عليها لإحكام طريقه، وتتشمل هذه الآلية بعدة أمور، ومن أهمها:

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري.

ثانيًا: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية.

ثالثًا: آلية استمرار التخطيط العسكري.

وتحقيق هذه الآليات فيه فوائد هامة ومنها:

الأولى: تضيء الطريق أمام المخَطِّطِ ومتخذ القرار، ليكون تخطيطه أحكم، وقراره أصوب، ولهذا تأثير إيجابي على المستقبل المتوقع.

الثانية: يعدُّ التخطيط للجهاد وسيلة تطوير ووقاية، فهو من أهم الوسائل لترقية الدعوة وللحفاظ على واقع الدعوة من الضعف، وهو من أهم الوسائل للحفاظ على الموارد الاقتصادية والصناعية والتجارية والاجتماعية..

الثالثة: بالتخطيط المستقبلي للجهاد نكتشف الأخطاء التي مرت معنا في ماضي الجهاد وحاضره، بمقارنة الأحداث مع بعضها البعض، وبه يمكننا تجنب كثير من الأخطاء والعقبات في مستقبل الأمة الجهادي.

الرابعة: للتخطيط المستقبلي الجهادي دور كبير في اكتشاف الطرق والأساليب الحديثة، التي تساهم في رفع مستوى الجهاد المادي (الوسائل والمعدات) والمعنوي (الروح المعنوية في الجهاد).

المحور الأول: وضع تصور عن آلية تحقيق المنظور العسكري في التخطيط المستقبلي.

أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري[1]:

إن تحقيق النقلة النوعية في التخطيط المستقبلي العسكري الجهادي، وترجمة هذا التخطيط إلى نشاطات بحثية هادفة، لا بد من آلية يسير عليها، وأهم الأمور التي تتحقق بها آلية التخطيط في الجهاد هي:

١_ العمل على توضيح أهداف الجهاد:

إن وضوح المقصود بالتخطيط المستقبلي في الجهاد، ومعرفة الهدف من القيام به، في أذهان القادة السياسيين، ورجال الفكر والدعوة وغيرهم، يعد أهم حافز للبدء فيه، وتحويله من أماني إلى مشاريع بحثية هادفة، تساهم نتائجها في توفير المعطيات الضرورية للقرارات التي تصدر عن السياسيين، والنشاطات الفكرية التي يقررها رجال الفكر والدعوة.

٢_ عمل الكفاءات العلمية المتخصصة:

وللقيام بالدراسات التخطيطية لمستقبل الجهاد لا بد من تهيئة العدد المناسب من الدعاة المتخصصين في مجال الدراسات المستقبلية، وتوفير الفرص المناسبة لهم للتدريب على هذا النوع من الدراسات، وتأمين الإمكانات للاحتكاك بالقادة والعلماء والمتخصصين في هذا المجال، وأخذ

---

(١) يراجع أثر التخطيط المستقبلي في دعوة غير المسلمين للإسلام في ضوء السنة النبوية للدكتور نزار الشيخ.

خبراتهم وتجاربهم.

والهدف هو بناء قاعدة عريضة من المتخصصين الأكفاء في جميع اختصاصات الدراسات المستقبلية في الجهاد، فبعضهم يتخصص بالدراسات المستقبلية في جهاد وقتال غير المسلمين، أو يتخصص في الجهاد الهجومي، أو يتخصص في الجهاد الدفاعي، أو يتخصص في جهاد العصابات، أو يتخصص في الجهاد الإلكتروني، أو يتخصص في الجهاد الإعلامي..

فهذه التخصصات يمكن تقسيمها من حيث نوع العمل كما سبق، ومن حيث نوع المجاهَد (كالكفار الأصليين، والمسلم الموالي لأهل الكفر، أو غير مسلم (كالعلمانيين وبعض الشيعة الكفرة، والأحمديين والقرآنيين..)، ومن حيث المستوى الثقافي، ومن حيث التنوع الجغرافي وهكذا.

٣_ تضامن الأبحاث العلمية الجماعية المتنوعة:

التخطيط المستقبلي للجهاد العسكري لا يقتصر على علماء الشريعة، فهو يحتاج إلى انضمام جهود مسلمين من علماء مسلمين في مقارنة الأديان، وعلماء مسلمين مستشرقين ومستغربين، وعلماء في الاجتماع والإحصاء والسياسة والاقتصاد والعلوم الطبيعية، والعلوم الحربية، والعسكرية وغيرهم، فكل واحد منهم يستطيع أن يدلي بدلوه في صياغة البحث والدراسة، واقتراح الأساليب المستقبلية للجهاد، ووضع الخطط العسكرية.. ومن ثَمَّ تجتمع هذه الأفكار لتتكامل مع بعضها.

ونتيجة هذا الانضمام أننا سنخرج بدراسة مستقبلية وخطط استراتيجية

عسكرية نستطيع بها مواجهة جميع الأصناف من غير المسلمين على اختلاف أقاليمهم وعقائدهم وقدراتهم العقلية والعسكرية، ويكون هذا العمل بمثابة الجهاد العقلي المنظم، لفتح قلوب وعقول غير المسلمين، وتطهيرها من دنس الشرك بالله تعالى.

٤ــ العمل المؤسسي في مجال الدراسات المستقبلية للجهاد:

تحتاج الدراسات المستقبلية إلى العمل المؤسسي المنظم والمتخصص، فالمؤسسات هنا تحتاج إلى عدد من أمور، ومن أهمها:

- التنظيم الإداري المتقن.
- الدعم المالي للنشاطات البحثية.
- توفير البيانات والمعلومات الضرورية لتلك الدراسة.
- الأدوات المناسبة لمعالجة تلك البيانات، كأجهزة الحاسب الآلي وتوابعها، ووسائل الاتصال الحديثة ومتطلباتها.

ثانياً: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية.

قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩} [آل عمران].

هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات في تدبير سياسة الحكم، وسياسة الحرب، فالمدير والحاكم وكل مسؤول في التنظيم الجهادي هو من يمتلئ قلبه

بالرحمة للمؤمنين، ولا يعامل المتبوعين بسوء الخُلق، بل يشاورهم فيما يتعلق بمجموعهم، ويأخذ بخبرة الدراسات الجهادية، ثم يتوج عمله هذا بحسن التوكل على الله تعالى في إمضاء ما أراد، وهذه هي أهم مواصفات القائد العسكري النَّاجح.

وبعد أن يتوفر في المؤسسة التنظيمية المتخصصة في مجال الدراسات المستقبلية في الجهاد التيارُ الفكري للتوعية بطبيعة تلك الدراسات، وتتوفر متطلبات القيام بها، ويتوفر لهم الباع الكبير في الجهاد، يمكن البدء بتنظيم وهيكلة المؤسسة الجهادية على النحو التالي:

١ــ تشرف على هذه المؤسسة هيئة تأسيسية عليا، تتكون من مجموعة متميزة من العلماء في التخصصات المختلفة، المشهود لهم بالريادة والإسهام الأصيل في مجال الدراسات المستقبلية في الجهاد، بحيث تتوفر فيهم مواصفات القائد الموصوف في الآية السابقة.

٢ــ تتولى الهيئة العليا للمؤسسة القيام بما يلي:

- الإشراف على إعداد الأطر التنظيمية والإدارية للمؤسسة.
- وضع الاستراتيجية العامة لتحقيق الأهداف للمؤسسة.
- رسم السياسات التي تحكم خططها وبرامجها.
- وضع استراتيجية تمويل نشاطات المؤسسة والسياسات المالية لها.
- تحديد المشاريع البحثية المطلوبة في الدراسات المستقبلية مع

أولوياتها ومراحلها.

- إقرار الدعم والتشجيع للمشاريع البحثية المقترحة من خارج المؤسسة.
- فتح باب الحوار عن طريق المؤتمرات والندوات، مع أصحاب الجهاد من مناطق بعيدة، بغية معرفة الواقع الذي هم عليه، ومعرفة أساليب أعدائهم القتالية، ومن ثمَّ الانطلاق من ذلك الواقع لرسم التخطيط المستقبلي الجهادي لكل من ينشده.
- متابعة الخطط الجهادية المستقبلية السابقة سواء كانت على مستوى الأفراد أو الجماعات، أو الحكومات.

٣_ عمل الترتيبات اللازمة لضمان استقلالية المؤسسة، والعمل على تحصينها من الوقوع تحت التأثيرات والضغوط والتدخلات المختلفة وذلك عن طريق:

- التأكيد على الطابع العلمي والأكاديمي للمؤسسة والالتزام بذلك.
- محاولة التقليل إلى الحد الأدنى من الاعتماد على مصادر التمويل الخارجية.
- تشجيع أبناء الأمة أفرادًا ومؤسسات في تمويل مشاريع المؤسسة ودعم نشاطاتها المختلفة.
- فتح كافة المجالات أمام المفكرين والمتخصصين المسلمين القادرين على خدمة أهداف المؤسسة.

٤_ تقوم المؤسسة بفتح فروع لها في كل دولة متى ما توفرت فيها الشروط الضرورية لذلك.

والاستفادة من العلماء والخبراء ومصادر المعلومات المتاحة في تلك الدول.

ثالثاً: آلية استمرار التخطيط العسكري.

إن تحقيق الدراسات المستقبلية لقضية الجهاد وتوفير متطلبات القيام به، يعد الخطوة الأولى الرئيسة على طريق طويلة، يحتاج استمرار السير فيها إلى صبر وعزم ووضوح رؤية، بالإضافة إلى عوامل وشروط تعزز هذا الصبر، وتؤكد هذا العزم، وتساعد على استمرار ووضوح الرؤية.

ونذكر هنا أهم النشاطات العملية التي ترسخ الفكر المستقبلي الجهادي، وتدعم آلية استمرار البحث في هذه المؤسسة:

١_ التعريف بالدراسات المستقبلية الجهادية:

ويكون التعريف بالدراسات المستقبلية الجهادية عن طريق:

- إصدار دوريات متخصصة بالدراسات المستقبلية الجهادية.
- نشر الكتب المتخصصة تأليفًا وترجمة.
- نشر المقالات التعريفية الموجَّهة لعموم القراء في الصحف والمجلات الواسعة الانتشار.
- استخدام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في التوعية بموضوع

الدراسات المستقبلية في معنى الجهاد في الإسلام.

- إدخال التعريف بالدراسات المستقبلية الجهادية ضمن البرامج الدراسية في جميع المستويات.
- ترجمة كتب المستشرقين والمستغربين والمنصِّرين التي تحدثت عن الجهاد بلغات أخرى إلى اللغة العربية، وبيان ما فيها مِنْ مهالك.

٢_ تنفيذ الدراسات المستقبلية للجهاد.

وذلك عن طريق:

- تكوين فرق بحث للدراسات المستقبلية للجهاد في جوانبها المختلفة، وتكليفها بالقيام بدراسات محددة.
- دعوة بعض الجهاديين العالميين للاشتراك في فرق البحث المكونة للتدرب واكتساب الخبرة العالمية.
- إتاحة الفرصة لأعضاء فرق البحث لحضور المؤتمرات الجهادية لتبادل الخبرة والمعرفة، والاطلاع على المستجدات.
- فتح فرع متخصص بالجهاد في بعض الجامعات.
- تشجيع بعض الجهات والمؤسسات المتخصصة لإنشاء مراكز للدراسات المستقبلية الجهادية تابعة لها، مثل مراكز البحوث العلمية، وبعض الوزارات كوزارة العدل، والاقتصاد، والمنظمات المهنية، والأحزاب السياسية.
- الاهتمام ببناء مراكز للمعلومات، وتجهيزها بكل نظم المعلومات، وتتضمن:

ـ شمول وعمق المعلومات والبيانات المتوفرة.

ـ دقة المعلومات وحسن تنظيمها وتخزينها.

ـ سهولة استرجاع هذه المعلومات والوصول إليها وملاءمتها للدراسات المستقبلية.

العناية بالجهاديين الجدد، وتتضمن:

ـ الخطط المستقبلية في تثقيفهم.

ـالدعم المادي وغيره المتتالي والمنظم.

ـ وضع برامج للتربية الروحية لمتابعة المستوى الإيماني والأخلاقي للجنود.

المحور الثاني: سمات التخطيط الجهادي المستقبلي

إن من أكثر ما يميز التخطيط الاستراتيجي عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو البعد الزماني والمكاني المستقبلي، فقد تميز باشتراكهما بالأهداف الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولأجل هدف واحد هو صلاح الدين والدنيا والنجاة يوم القيامة.

لذا بشَّر النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ ببلوغ هذا الدين جميع أهل الأرض بإحدى وسائل الدعوة وهي الجهاد، فقد روى الإمام أحمد كما ذكرنا سابقاً عن تَمِيمٍ الداري ﷺ أنه قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يقول: لَيَبْلُغَنَّ هذا الأَمْرُ ما بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلا أَدْخَلَهُ الله هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ.

وكان تَمِيمٌ الداري يقول: قد عَرَفْتُ ذلك في أَهْلِ بيتي؛ لقد أَصَابَ من أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كان منهم كَافِراً الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ[1].

وسيبلغ هذا الدين بالجهاد وبغيره من الوسائل الجهادية الدعوية مشارق الأرض ومغاربها، كما أشار في الحديث الشريف، ويأتي هذا مِن كون الجهاد واجباً على مجموع الأمة في جميع أطراف الأرض وفي

(١) مسند أحمد بن حنبل رقم١٦٩٩٨، المعجم الكبير رقم١٢٨٠، ورجال أحمد رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ١٤/٦.

جميع الأزمنة، بأن يخصصوا من أشخاصهم، وأموالهم وقدراتهم، وخبراتهم، ووسائلهم المختلفة للقيام بواجب هذه الفريضة، لقوله تعالى{انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٤١} [التوبة].

ودليل ذلك من السنة ما رواه أحمد رحمه الله عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ: وَعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ غَزْوَةَ الْهِنْدِ، فَإِنْ أَدْرَكْتُهَا أُنْفِقْ فِيهَا نَفْسِي وَمَالِي، فَإِنْ أُقْتَلْ كُنْتُ مِنْ أَفْضَلِ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ أَرْجِعْ فَأَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْمُحَرَّرُ(١).

وروى أبو داود أيضاً عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ(٢).

هذا وإن لكل تخطيط مظاهر تدل على نجاحه أو فشله، والله تعالى لم يعطنا علم الغيب في النتائج لكن أرشدنا إلى التمسك بمظاهر التخطيط المنهجي للجهاد للنجاح فيه، لذا تعددت السمات المستقبلية للجهاد وإليك أهمها:

---

(١) رواه أحمد في مسنده رقم ٧١٨٠، (٧١٢٨) والنسائي رقم٤٣٨٢، قال المحقق: "إسناده حسن لغيره".

(٢) سنن أبي داود رقم ٢٥٣٢، والحديث حسن لغيره. انظر كلام المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي.

١_ سمو الهدف:

الجهاد في الإسلام غاية ما فيه هداية الناس ودلالتهم على الله للظفر بدخول الجنة، لما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ، أنه قَالَ: عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ(١).

٢_ الشمولية الزمانية والمكانية.

لا يتحدد الجهاد بزمان ولا بمكان، فهو قائم من لدن عصر النبوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لما رواه أحمد رحمه الله وغيره عن عدي بن حَاتِمٍ رضي الله عنه أنه قال: ..دَخَلْتُ على رسول اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ فقال لي: يا عديُّ بن حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ ثَلاَثاً.

قال: قلتُ: إني على دِينٍ.

قال: أنا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ.

فقلت: أنت أَعْلَمُ بديني مني!؟

قال: نعم، أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَا عَ قَوْمِكَ؟

قلت: بَلَى.

قال: فإنَّ هذا لاَ يَحِلُّ لك في دِينِكَ.

قال: فلم يَعْدُ أَنْ قَالَهَا فَتَوَاضَعْتُ لها.

قال: أَمَا إني أَعْلَمُ ما الذي يَمْنَعُكَ مِنَ الإِسْلاَمِ، تَقُولُ: إنما اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ

(١) صحيح البخاري رقم ٣٠١٠.

الناس، وَمَنْ لاَ قُوَّةَ له، وقد رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ! أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ؟

قلت: لم أَرَهَا وقد سمعت بها.

قال: فوالذي نفسي بيده لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأَمْرَ، حتى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ في غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بن هُرْمُزَ.

قال: قلت: كِسْرَى بن هُرْمُزَ!؟

قال: نعم كِسْرَى بن هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حتى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ.

قال عدي بن حَاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحِيرَةِ(١)، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ في غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كنت فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بن هُرْمُزَ، والذي نفسي بيده لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ؛ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ قد قَالَهَا(٢).

٣_ شمولية الأشخاص:

فالجهاد شامل لكل شخص مؤمناً كان أو غير مؤمن، فإما عليه فعل

---

(١) الحيرة هي مدينة تاريخية قديمة تقع في جنوب وسط العراق وهي عاصمة المناذرة، تقع أنقاضها على مسافة ٧كم إلى الجنوب الشرقي من مدينتي النجف والكوفة..

الاحداثيات: "٣١°٥٣'٣٤.٣٩ "٤٤°٢٧'٣٣.٧٦ .

(٢) أخرجه أحمد رحمه الله في مسنده رقم١٨٢٦٠، والحديث صحيح. انظر المستدرك على الصحيحين ٥٦٤/٤.

قوله: من الرَّكوسية، وهم النصارى.

مِرْباع القوم: كان الرئيس في الجاهلية يأخذ ربع مال الرعية، ويسمي ذلك الربع: المِرْباع.

فلم يَعْدُ، من عدا يعدو، أي: فما تجاوز قولَ هذه المقالة حتى تواضعتُ لهذه المقالة.

الجهاد أو واقع عليه، وذلك حسب مفهوم الجهاد العام الذي تقدم في بيان أقسام الجهاد.

فالواجب على المؤمن أن يعمل بأحد أنواع الجهاد التي مرت معنا وهي جهاد اللسان، وجهاد القلب والنفس، وجهاد اليد، وجهاد القتال، وجهاد الرباط.

وأما الكافر فالجهاد واقع عليه بأحد أقسام الجهاد حتى يسلم أو يُسالم، حتى يُؤمن شره، وتصل دعوة الله تعالى إلى جميع غير المسلمين.

وقد قَصَرَ بعض جهلة المجاهدين الجهاد على جهاد القتال لقصور فهمهم وقلة فقههم، فغرَّرَوا بالكثير من شباب المسلمين وساقوهم إلى ساحات الموت، فهؤلاء جميعاً من القسيم الجاهلي الذي يقاتل تحت راية عمية قال عنهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ..مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أو يَدْعُو إلى عَصَبَةٍ أو يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ على أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ولا يتحاش من مُؤْمِنِهَا، ولا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ منه[1].

٤_ استيعاب الجوانب الدينية والدنيوية معًا:

غاية الجهاد الرقي الحضاري بكافة جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والمدنية..، فالمسلمون لما فتحوا البلاد عمروها أفضل مما كانت عليه، ورقوا بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي والخلقي.. الشامل للمسلم وغير المسلم.

قال الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ

(١) صحيح مسلم رقم١٨٤٨.

فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ١٩٣} [البقرة].

وروى الشيخان في حديث طويل عن عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بن حَرْبٍ قال: إنَّ هِرَقْلَ سأله عن النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قبل أَنْ يَقُولَ ما قال؟

قلت [أي أبو سفيان]: لا

قال: فَهَلْ يَغْدِرُ؟

قلت: لا، وَنَحْنُ منه في مُدَّةٍ لا نَدْرِي ما هو فَاعِلٌ فيها.

قال: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟

قلت: يقول: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا وَاتْرُكُوا ما يقول آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فقال لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ له: سَأَلْتُكَ هل كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قبل أَنْ يَقُولَ ما قال، فَذَكَرْتَ أَنْ لا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لم يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ على الناس، وَيَكْذِبَ على اللَّهِ.

وَسَأَلْتُكَ هل يَغْدِرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ بِمَ يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، ولا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا، وَيَنْهَاكُمْ عن عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كان ما تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وقد كنت أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ،لم أَكُنْ أَظُنُّ

أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إليه لَتَجَشَّمْتُ[1] لِقَاءَهُ، وَلَوْ كنت عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمِهِ[2].

فالمسلمون لما فتحوا دمشق والأندلس وغيرها حولوها إلى منارات علمية، ومعالم اقتصادية..، يقصدها القاصي والداني، بخلاف الدول غير المسلمة لما دخلوا بعض البلاد الإسلامية أو غير الإسلامية حرباً تعدَّت الخسائر الاقتصادية بسببهم مئات المليارات، وخسرت الكثير من البلاد من الأرواح ما يتعدى المليون ونصف المليون من الناس قتلاً وتشريداً.

لذا لو كان للمسلمين منْ قبلُ جهادٌ حقيقيٌ لما وصل أعداؤهم إليهم، كما قال الله تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ٨٤} [النساء].

أي فجاهد -أيها النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ - في سبيل الله لإعلاء كلمته، وحُضَّ المؤمنين على القتال والجهاد، ورغِّبهم فيه، لعل الله يمنع بك وبهم صولة الكافرين وطغيانهم وشدتهم وأطماعهم، والله تعالى أشد قوة وأعظم عقوبة للكافرين.

وروى أبو داود وابن ماجه رحمهما الله تعالى ــ بإسناد حسن ــ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ: مَن لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِياً أَوْ يخلُفْ غَازِياً في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِقَارِعةٍ، قَبْلَ يَوْمِ

(١) أي: لَتَكَلَّفْت الْوُصُول إِلَيْهِ وَارْتَكَبْت الْمَشَقَّة فِي ذَلِكَ.

(٢) صحيح البخاري رقم٧، صحيح مسلم رقم١٧٧٣.

الْقِيَامَةِ[1].

وروى أبو داود أيضا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ يَقُولُ: إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ[2].

ومعنى هذا الحديث أن المؤمنين لو انشغلوا بالتجارة والصناعة والزراعة مع إهمال الجهاد، فإن الله سيسلط عليهم عدوَّهم؛ ويسلبهم أموالهم وكرامتهم وأرواحهم..، ولا سبيل لهم في العزة والكرامة إلا بالموازنة بين الأمور الدينية والدنيوية.

---

(١) أبو داود رقم ٢٥٠٣، وسنن ابن ماجه رقم (٢٧٦٢). وإسناده صحيح.
وقوله (أو يخلف) أي لم يقم بعده في خدمة أهله، بأن يصير خليفة له ونائباً عنه في قضاء حوائجه، وقوله (بقارعة) أي: بداهية مهلكة، يقال: قرعه أمر، إذا أتاه فجأة، وجمعها قوارع.
(٢) أبو داود رقم ٣٤٦٢.

الخاتمة

وفيها أيضاً وجوب اتباع شخصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في القيادة العسكرية.

وبعد فإن الشخصية العسكرية عند الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهي جزء من نبوته، فهو نبي مؤيد ومسدد من الله تعالى في أقواله العسكرية وأفعاله، قال الله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٧} [الأنفال].

قال الطبري رحمه الله تعالى: ((قوله لنبيه عليه السلام: ((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى)) فأضاف الرميَ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جَلَّ ثَنَاؤُه هو الموصلُ المرميَّ به [وهو التراب] إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب الرمية لرسوله..))[1].

ولقد جاء الأمر الإلهي بالاقتداء بهذه الشخصية العسكرية صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عندما أمر المؤمنين باتباعه في أصعب الظروف التي مرت عليهم في معركة الخندق، قال الله تعالى: {يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن

---

(١) تفسير الطبري "جامع البيان" ١٣/ ٤٤٢.

وقوله: (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً) معناه: كي ينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم، ويغنّمهم ما معهم، ويكتب لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك "البلاء الحسن"، هو رمي الله هؤلاء المشركين، ويعني ب"البلاء الحسن"، النعمة الحسنة الجميلة.

يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ٢٠ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢١ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ٢٢} [الأحزاب].

فلقد جعل الله تعالى في الآية السابقة علامة القبول من الله تعالى وطلب رضاه والإكثار من ذكره هو اتباع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وجعل أيضاً من نواتج الاقتداء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم التوبة من الله تعالى، قال الله تعالى: {لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧} [التوبة]

فلا نجاح لقائد ولا لتابع مالم يجعلوا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم محل اقتدائهم.

فهي الشخصية التي رقَتْ إلى أعلى السُّدَدِ في القيادة الاستراتيجية، قد عَلَّمَتِ البشرية القيادة الإنسانية في الحروب.

بل جمعت شخصيته الكريمة بين الشجاعة والتواضع.

ووازنت بين القدرات العسكرية وما هو مطلوب لربح المعركة القتالية.

ويتوقع الخسارة ويخطط لتلافيها إن حصلت.

هو نبي الرحمة شملت رحمته حتى الأعداء.

لم يقتل أحداً منهم في بَطَرٍ، ولا انتقاماً لنفسه، بل دعاهم إلى الله تعالى قبل أي قتال، وحاورهم بأبلغ الكلام، وأعذب الألفاظ.

فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطط لغزواته من أول ابتدائها إلى وقت انتهائها.

على بصيرة بعقلية مَن يقودهم.

بل على بصيرة بعقلية من يحاربهم.

مع وضعِ الجندي المناسب في المكان المناسب.

يحدد الزمان الذي يسير فيه.

ويقَدِّر الزمنَ الذي يستغرقه للوصول للعدو.

مع أعلى مقاييس السرعة بالاتصال بين القائد وجنده.

ويحدد المكان الذي يسلكه، ويستفيد من تضاريسه.

ويقدِّر العتاد والعدة لجيشه.

بل ويقدِّر العتاد والعدة لجيش عدوه، ولا يدع سبباً للنصر إلا ويعمل عليه.

ويكتم الأخبار في مواطن فلا يدري بها أقرب الناس إليه.

ويضع الخطط البديلة لو تبدلت مجريات أحداث الحرب.

فلم يكن أسرع منه لتدارك أي خطر محتمل.

ويدرس طبيعة العدو النفسية.

يُمهلُ العدو ولا يهمله لكن ضمن وقت لا يأتيه ضرره، وإلا كان عليه كالشهاب الثاقب.

ويحسب للصغيرة والكبيرة.

يُسَبِّق العيون (الجواسيس) لعدوه قبل غزوه.

ويعرف أرض عدوه ومكامِن تحصينه.

ولا يعرف عدُوُّه متى سيأتيه.

ما ظلمَ عدواً، بل ردَّ بالمثلِ وأكثر حاله العفو.

ويقدم الرحمة على الانتقام من عدوه.

إذا ضرب عدوه أصابه في الصميم.

وإن عفا عن عدوه صار كأنه وليٌّ حميم.

لم يمدح في مثل هذا الموطن بمثل بيت كعب بن زهير ﷺ:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ[1].

عزَّ وصف الواصفين فيه فلم يكن أبلغ من مدح الله فيه {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧} [الأنبياء].

رحمةً في السِّلم رحمةً في الحرب رحمةً بالمسلم رحمةً بالكافر رحمةً بالكبير والصغير رحمةً بالرجل والمرأة رحمةً بجميع العَوَالم.. صلى الله عليه وعلى آله

(١) المستدرك على الصحيحين رقم ٦٤٧٩.

وسلم.

فداك أبي وأمي

من مربٍّ

وناصحٍ

وأمينٍ

وعفوٍ

وكريمٍ

ورحيمٍ..

وبعد فهذا الكتاب قد شمل على مئة قاعدة استراتيجية في التخطيط العسكري، بينتُ فيها بعض الجوانب الإنسانية والحضارية في القيادة العسكرية عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكيفية إدارة المعارك من أول التفكير بها إلى الانتهاء منها، وكيفية التعامل مع المسلم وغير المسلم، وكيفية الأخذ بالأسباب لكسب المعارك مع حسن التوكل على الله تعالى، وصدق الإخلاص له.

ولقد سلكت في بيان التخطيط الاستراتيجي عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفق قواعد، شرحتها من خلال المسلك الوسطي، فلم أسهب في الشرح، ولم أقصر.

فأرجو من الله تعالى أن يكون هذا الكتاب لَبِنَةً لكل قائد، ولكل جنديٍّ تابع، كي يقتدي بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حق الاقتداء

في التخطيط العسكري، فلا يبقى لأحد عذر في الجهل في الأخلاقيات المحمدية في القيادة العسكرية.

بعض الصور التفصيلية لمواقع أهم غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

غزوة بدر

غزوة أحد

غزوة الخندق

غزوة فتح مكة

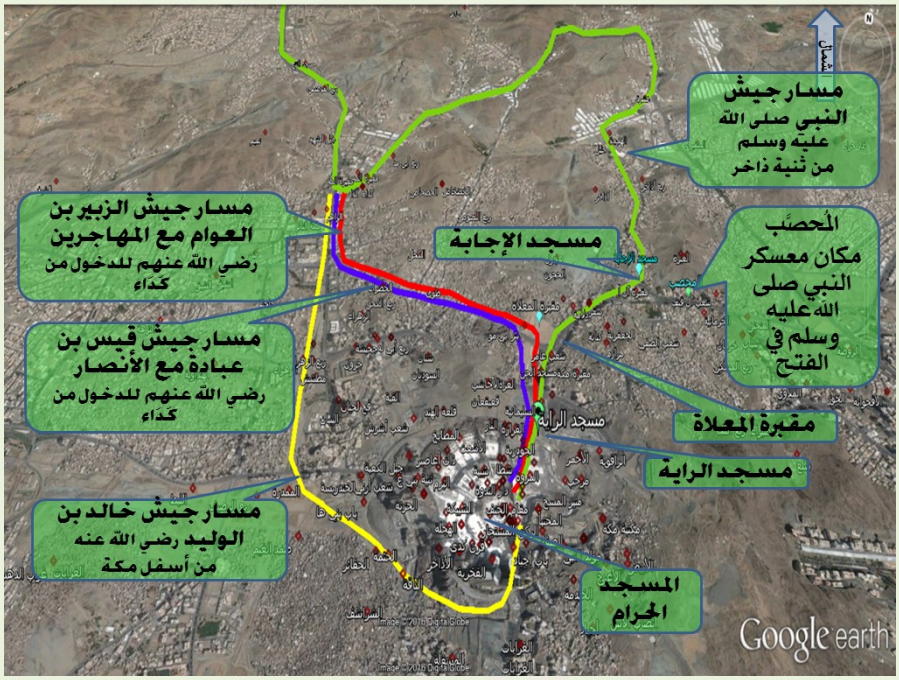
مسار جيش النبي صلى الله عليه وسلم من ثنية ذاخر
مسار جيش الزبير بن العوام مع المهاجرين رضي الله عنهم للدخول من كداء
مسجد الإجابة
المُحصَب مكان معسكر النبي صلى الله عليه وسلم في الفتح
مسار جيش قيس بن عبادة مع الأنصار رضي الله عنهم للدخول من كداء
مسجد الراية
مقبرة المعلاة
مسجد الراية
مسار جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه من أسفل مكة
المسجد الحرام
Google earth

مسجد الفتح في الجموم

وعنده كان معسكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة الفتح في وادي مر الظهران

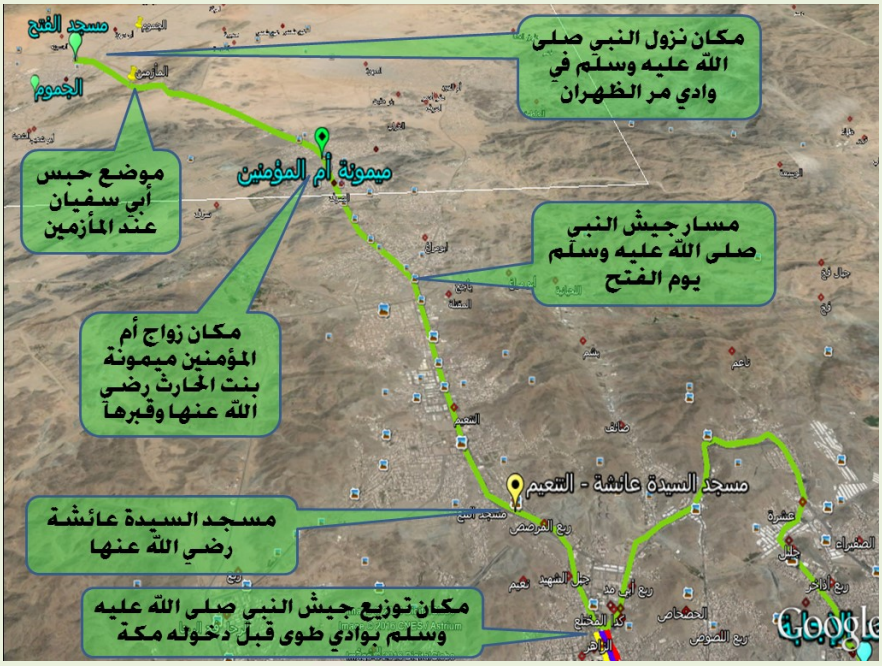

غزوة فتح خيبر

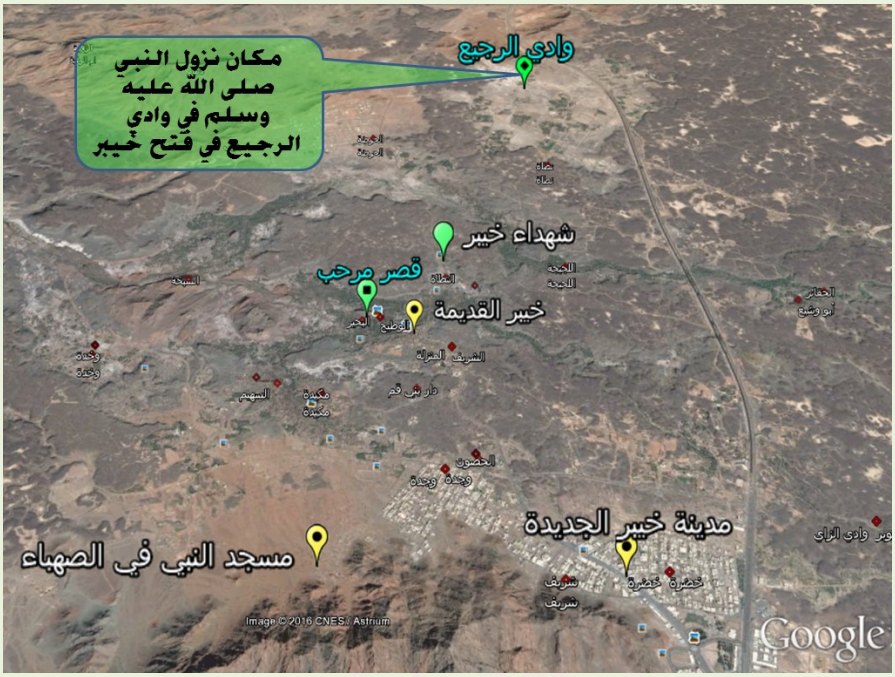

غزوة الطائف

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب

العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع[1]

أحكام الجهاد، عبد العزيز، العز بن عبد السلام ، تحقيق نزيه حماد ، دار الوفاء جدة.

الأحكام السلطانية، علي بن مُحَمَّد الماوردي ، دار الكتب العلمية.

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الأذكار النووية أو "حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار"، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المحقق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي

(١) ملحظ بعض المراجع هنا لا تتوافق مع المصدر المحال في داخل البحث، لوجود أكثر من طبعة مستخدمة في هذا البحث من المكتبة الشاملة وغيرها.

الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ.

الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم مُحَمَّد عطا، مُحَمَّد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

البلدان، المؤلف: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ.

تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، محيي السنة أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ١٤٢٠هـ.

تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن"، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوى و مُحَمَّد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة.

الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ٢٠١٤م [الكتاب غير مطبوع كما ذكر في المكتبة الشاملة].

الحِرَف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري، دار إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. مُحَمَّد الأمين مُحَمَّد محمود أحمد الجكيني.

الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع، منصور بن يوسف البهوتي، تحقيق سعيد مُحَمَّد اللحام، المكتبة التجارية مكة المكرمة.

سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، المحقق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

سنن الترمذي "الجامع الكبير" مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار

الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون" علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ..

السِّيرةُ النّبوية ــ عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، المؤلف: عَلي مُحَمَّد مُحَمَّد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو مُحَمَّد، دار النشر: دار الجيل، بيروت، ١٤١١، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٧هـ.

السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، المؤلف: أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

الشرح الكبير للدردير، أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير، دار إحياء الكتب العربية.

شرح صحيح مسلم للنووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية ببومباي، الهند.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: مُحَمَّد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسننه وأيامه، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم" أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل بيرت.

صيد الذاكرة الباصرة من آثار الوطن الحبيب: قائمة أو داثرة. د. تنضيب الفايدي

الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

الطبقات الكبرى، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد بن مُحَمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي» المحقق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة ــ بيروت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن ــ الرياض.

المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو

إسحاق، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان.

المستدرك على الصحيحين، تأليف: مُحَمَّد بن عبدالله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق_ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد البكري الأندلسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، الناشر:

المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر.

موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ــ محمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة:	**٥**
• تعريف التخطيط الاستراتيجي	٢٢
• أهمية التعرف على مواقع الغزوات وأزمنتها في التخطيط الاستراتيجي.	٢٣
• الأقسام الجهادية في التخطيط الاستراتيجي.	٢٦
• فضل الجهاد والرباط وفضل الشهادة في سبيل الله	٣٧
• البعد الروحي في التعرف على شخصية النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية.	٤٢
منطلقات التخطيط الاستراتيجي في قيادة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلَّمَ العسكرية	**٥١**
الفصل الأول: منطلق التعامل مع غير المسلمين في الحرب.	**٥٢**
١. الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.	٥٤
٢. حوار الأديان قبل التحام السِّنَان.	٥٧
٣. لغة التأثير في العدو.	٥٨
٤. كسب العدو بالطرائق الودية.	٦٠
٥. رعاية أسرى الحرب.	٦٢
٦. وفاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعدائه.	٦٥
٧. إعلام العدو بالحرب عند نقض العهد.	٦٨

٨. العفو والصفح والسماحة مع المغلوب.	٦٩
٩. منع التمثيل بجثث الأعداء أو تعذيب جرحاهم.	٧٢
١٠. حرمة الاعتداء على الأعداء بغير حق.	٧٣
١١. النهي عن قتل غير المقاتلين.	٧٥
١٢. الوفاء بتأمين المحاربين والمسْتَأْمَنِين.	٧٥
١٣. الاستجابة للسلم، والتمسك بالثوابت.	٨٠
١٤. قبول جوار غير المسلم.	٨٣
١٥. حرمة الغدر بالكافر بعد إعطائه الأمان.	٨٤
١٦. الرفق بالعدو إنْ حصلت النِّكاية بما يردُّه عن كيده.	٨٥
١٧. عرض الإسلام العملي على الأسير.	٨٨
١٨. رعاية حق الرَّحِم.	٩٠
١٩. تعويض الخطأ في دماء المشركين في الحرب.	٩٢
٢٠. حرمة الاعتداء على البيئة في الحرب بغير حق.	٩٥
الفصل الثاني: منطلق المجلس العسكري.	٩٨
٢١. الشورى.	١٠٠
٢٢. رسم الخطة الحربية.	١٠٤
٢٣. الجمع بين العبقرية العسكرية والسياسة الحربية.	١٠٨
٢٤. تعزيز القيم الحضارية.	١١٠
٢٥. اختيار القادة.	١١١
٢٦. لغة المحبة بين القائد وجنده.	١١٦

٢٧. بين المركزية واللامركزية في القيادة العسكرية.	١٢٦
٢٨. صلاحية ولي الأمر في الأسرى.	١٢٨
٢٩. السمو الأخلاقي مع الجند.	١٣٠
٣٠. العناية بأُسرِ الشهداء.	١٣٢
٣١. رعاية الحالة النفسية عند الجنود.	١٣٤
٣٢. المكافأة المادية للجند.	١٣٧
٣٣. المكافأة المعنوية للجند.	١٣٩
٣٤. وجوب طاعة القائد.	١٤٢
٣٥. تعويض الحقوق المعنوية للجند.	١٤٤
٣٦. الاهتمام بفك أسرى المسلمين.	١٤٥
٣٧. التربية البدنية للجنود.	١٤٧
٣٨. تأمين رسل العدو.	١٤٩
٣٩. الموازنة بين المرونة والحزم.	١٥٠
٤٠. العدل بين جند المسلمين.	١٥٣
الفصل الثالث: منطلق التربية الأخلاقية في الحرب.	١٥٦
٤١. تحديد المنطلق إلى الله تعالى.	١٥٧
٤٢. التعبئة الإيمانية.	١٦٣
٤٣. شجاعة القائد وأثرها في توجيه الجند.	١٦٤
٤٤. استنهاض الهمم وجمع الشمل.	١٦٨
٤٥. الانتصار على الهزيمة وتحريم الفرار.	١٧١

٤٦. تعزيز الولاء للدين وسرعة حل الخلافات الداخلية.	١٧٤
٤٧. التربية الروحية والأخلاقية للجنود.	١٧٩
٤٨. جهاد النساء والكهول والصبيان.	١٨٣
٤٩. التماس الرخص.	١٨٧
٥٠. الصبر.	١٩٠
٥١. التحري في دماء المسلمين عند اختلاطهم بأهل الكفر.	١٩٢
٥٢. الخطأ في دماء المسلمين في الحرب.	١٩٥
٥٣. الإخلاص لله تعالى.	١٩٧
٥٤. الشكر لله تعالى واليقين بنصره.	١٩٩
٥٥. معالجة حالات الضعف في الجُنْد.	٢٠١
الفصل الرابع: منطلق الاستعداد العسكري.	٢٠٣
٥٦. الإعداد المادي الشامل.	٢٠٥
٥٧. المبادرة بغزو العدو إن همَّ بالحرب.	٢٠٧
٥٨. التخذيل بين الأعداء.	٢٠٩
٥٩. التجسس على الأعداء.	٢١٠
٦٠. أفضل الجهات في الحرب.	٢١٣
٦١. المعرفة التامة بعتاد العدو وعُدَّته ومكانه.	٢١٦
٦٢. استغلال الظروف الجوية.	٢١٩
٦٣. السرية التامة في التخطيط العسكري.	٢٢١
٦٤. تحضير فِرَقِ الإنقاذ والفرق الطبية.	٢٢٤

٦٥. تأمين الجبهات الداخلية.	٢٢٦
٦٦. هيكلة الجيش.	٢٢٨
٦٧. تحصين الجند.	٢٣٢
٦٨. اختبار كفاءة الجند.	٢٣٤
٦٩. تفقد الموارد الطبيعية.	٢٣٥
٧٠. تحسس الأحوال الجوية والاستعداد لكوارثها.	٢٣٩
٧١. اتخاذ المساندين في أرض المشركين.	٢٤١
٧٢. لزوم تضافر جميع أنواع الجهاد.	٢٤٣
٧٣. العدد الأكمل في تعداد الجيش.	٢٤٤
٧٤. تعليم الجند الفنون الحربية.	٢٤٧
٧٥. تصنيع الأجهزة الحربية وإتقان صناعتها.	٢٤٨
٧٦. الدعاية الحربية.	٢٥١
٧٧. الإعلام الحربي.	٢٥٣
٧٨. رفع الكفاءة الحربية.	٢٥٧
٧٩. استراتيجية الإنفاق في المؤسسة العسكرية.	٢٦١
٨٠. تعريب الأجهزة الحربية والاستقلال الحربي بجميع أشكاله.	٢٦٤
٨١. تضافر العلوم الكونية مع العلوم العسكرية.	٢٦٨
٨٢. استراتيجية الاستثمار في المؤسسة العسكرية، والمحافظة على أموالها.	٢٧٠
٨٣. تعلم العلوم الشرعية، والحفاظ على الكفاءات العلمية.	٢٧٤

٨٤. دعم المؤسسة العَسْكَريَّة بالعلوم النفسية.	٢٧٦
٨٥. حماية الحدود وتحصينها.	٢٨١
الفصل الخامس: منطلق الخطط العسكرية.	٢٨٤
٨٦. الجاهزية القتالية.	٢٨٦
٨٧. التورية المكانية.	٢٦٨
٨٨. اختيار المواقيت الزمانية.	٢٨٩
٨٩. اختيار المواقع الاستراتيجية.	٢٩١
٩٠. استخدام عنصري المفاجأة والمداهمة في الحرب.	٢٩٣
٩١. قطع الإمداد عن الأعداء.	٢٩٦
٩٢. حرب العصابات في أرض الأعداء.	٢٩٨
٩٣. الترشيد في استخدام الأسلحة.	٣٠١
٩٤. السياسة الحربية في إدخال الرهبة والخوف في قلب العدو.	٣٠٢
٩٥. تجنب المواجهة القتالية.	٣٠٨
٩٦. مواجهة المواقف الصعبة بالتدابير المناسبة لها.	٣١٢
٩٧. نقل الحرب إلى أرض العدو.	٣١٦
٩٨. تبييت الغارات.	٣١٨
٩٩. المراسلات في المهمات العسكرية.	٣٢١
١٠٠. توحيد صفوف المسلمين.	٣٢٤
الفصل السادس: التخطيط العسكري المستقبلي.	٣٢٦
المحور الأول: وضع تصور عن آلية تحقيق المنظور العسكري في	٣٣٠

التخطيط المستقبلي.	
أولاً: آلية تحقيق التخطيط المستقبلي العسكري.	٣٣٠
ثانياً: الهيكلة التنظيمية للمؤسسات العسكرية.	٣٣٢
ثالثاً: آلية استمرار التخطيط العسكري.	٣٣٥
المحور الثاني: بيان سمات التخطيط العسكري المستقبلي.	٣٣٨
الخاتمة	٣٤٦
بعض الصور التفصيلية لمواقع أهم غزوات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.	٣٥٢
المصادر والمراجع	٣٥٨
الفهرس	٣٦٦